الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٥٧ ـ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ـ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٥م

هديتك مع العدد براعم الإيمان

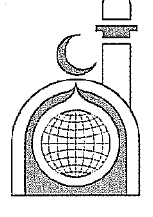
انحراف الطفولة وعلى من نلقي اللوم؟

المدارس الإسلامية في دمشق رمز الحضارة الإسلامية



نحو تأصيل إسلامي للمعرفة الإنسانية

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

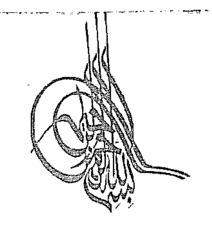


بناء مساجد ، حفر آبار ، بناء مراكز تعليمية ، إنشاء مراكز إنتاجية

N
O
E
S

نعمل في كل الاتجاهات

الهيئة في انتظاركم على عنوانها: الشرق ـ شارع أحمد الجابر ـ دروازة عبدالرزاق ـ مقابل مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ ص.ب: 3434 ـ
الصفاة ـ الرمز البريدي 13035 الكويت ـ هاتف: 2448786 ـ 2402812 ـ فاكس: 2402817 ـ رقم الحساب 3/ 23 تبرعات ـ 5/ 19 زكاة ـ
بيت التمويل الكويتي فرع محافظة الأحمدي: الرقة ـ جانب شبرة الخضار وفرع بيت التمويل ـ هاتف: 3964480 ـ 3964481 ـ فاكس



الوعي الإسلامي

AlWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥٧ – السنة الثانية والثلاثون – جمادى الأولى ١٤١٦هـ/ اكتوبر (ت١) ١٩٩٥م

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥) داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

كلمة العدد

التاريخ والمعاصرة

قدّمت الحضارة الإسلامية جملة إنجازات لم تقتصرْ الاستفادة منها على أبناء المجتمع المسلم فقط، وإنما امتدت لتوفر ظلها لكل لاجيء ظاميء للأمن، ساعٍ للحقيقة، طالب للعلم، فكان أبناء البشرية، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم يتوافدون إلى أقطار العالم الإسلامي وحواضره لتلقي العلم، والاستفادة من الخبرة الميدانية، وتحصيل المعرفة المتعلّقة بشتى فنون الفكر والزراعة والصناعة والتجارة والفنون إلخ..

وفي عددنا هذا تغطية تاريخية لمدارس دمشق، التي حملت شعاع النور في الماضي المشرق، يوم كانت دمشق الشام قبلة أهل العلم والسياسة، يقابلها نقلة عصرية بتغطية واقع تعليم ابناء الجاليات العربية والاسلامية في أوستراليا، بما تحمله من مؤشرات مستقبلية، وأفق حضاري..

ولئن لمس القارىء – في هذا العدد – مزيداً من الاهتمام بالدراسات الاجتماعية فذلك لأهمية قوّة النسيج الاجتماعي في بناء الأمة، ومن هنا جاءت مواضيع (الزواج.. مفهومه وحكمته)، وظاهرة (انحراف الطفولة وسبل معالجتها) وأثر الاحتياج في البنية الاجتماعية، لتغطي – بنظرنا – جانباً مهماً واستراتيجياً في حياتنا المعاصرة والمستقبلية، بحيث لا نقف عند حدود التنظير، وإنما ننطلق إلى آفاق المعالجة..

ولم ننس جملة من المشاكل التي تعصف بالعالم الإسلامي، فكان كتاب الشهر عن (دروس من محنة البوسنة)، وكذلك أول حلقات دراسة عن مظاهر العنصرية وموجات العنف التي تتصاعد في بعض المجتمعات الغربية..

هذا؛ وكل ما يحدونا هو ربط القارىء بماضيه التليد ومستقبله المشرق.. وبالله التوفيق■

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير — للمؤسسات ١٠ دنانير —
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ دينار اً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) — للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)

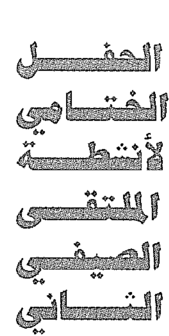
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة بأسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ بحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع جنيه مصري واحد ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة — سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله — أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

في هذا العدد





اقرأ في الأعداد القادمة

القواعد الفقهية /
د. محمد عبد الغفار الشريف

التراث العربي والاسلامي لأدب الأطفال /
د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

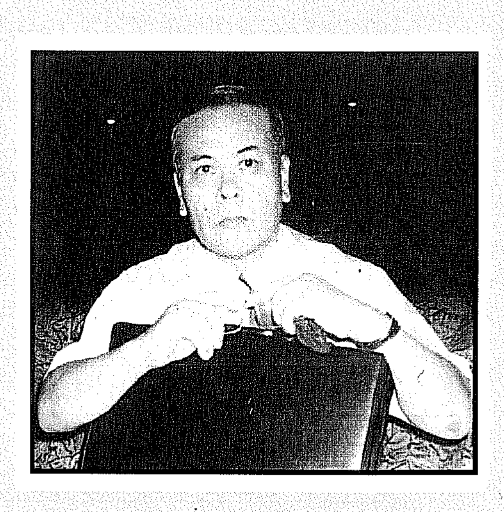
الدعوة الى تنقية التفسير من الاسرائيليات /
أنور سيد الشريف

حوار مع خالد كيبا مستشار المركز الاسلامي بطوكيو /
احمد عبد الرحمن محمد

الهوية الاسلامية والبناء الحضاري /
محمد خليل الإبراهيمي

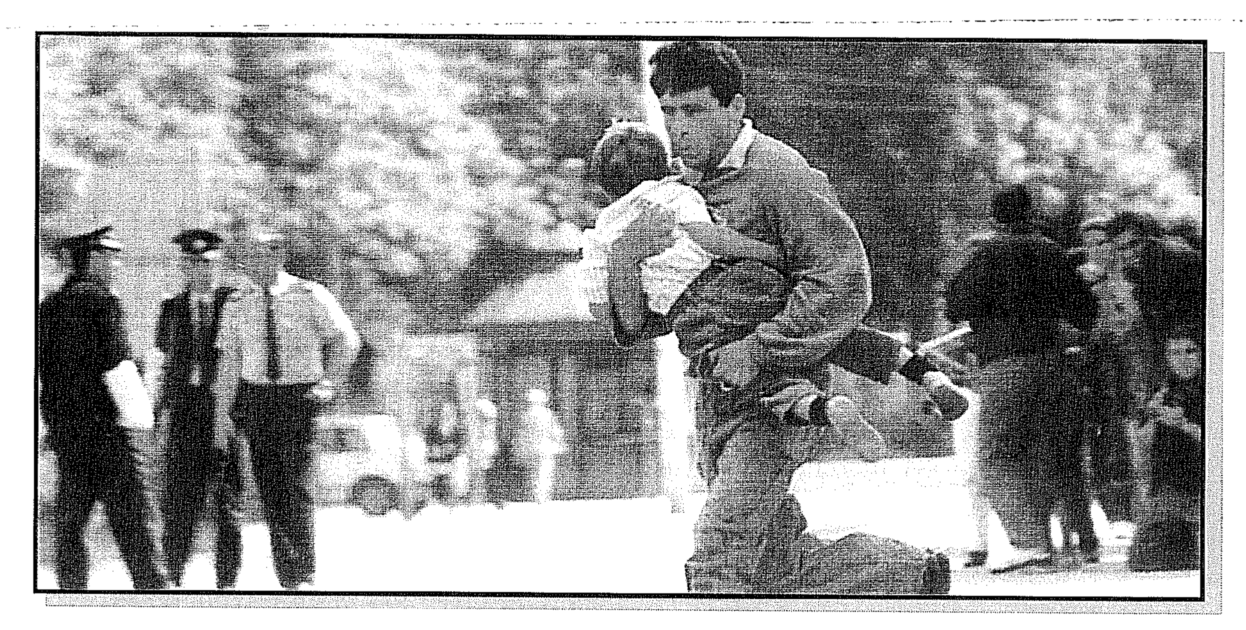
اسرائيل والأسلحة الكيمائية الجرثومية /
محمد محمد اسماعيل

حفظ الله تعالى للقرآن من التحريف والتبديل /
أ.د. نور الدين عتر



○خالد كيبا

تنويه: إلى السادة القراء في جمهورية مصر العربية
بسبب ظروف اضطرارية قررت إدارة المجلة رفع سعر المجلة في جمهورية مصر العربية إلى جنيه مصري واحد يرجى أخذ العلم والله الموفق لما فيه الخير



دروس من محنة البوسنة

٧٤

محنة المسلمين في البوسنة والهرسك أيقظت الضمير المسلم والهبت خيال الشعراء وحركت أقلام الكتاب بسبب شراسة الهجمة وعنفها وقوة إيلامها حول هذه المحنة والدروس المستفادة منها أصدر الاستاذ محمد قطب كتابه (دروس من محنة البوسنة والهرسك) .

التعليم الإسلامي في استراليا

الجالية الإسلامية في استراليا نشطة ومتميزة تعمل على اثبات وجودها هناك بكل جدية حفاظاً على هويتها من الذوبان والضياع.. حول أنشطة هذه الجالية وهمومها ومشاكلها وتطلعاتها كان لنا حوار مع الشيخ علي التون صوي.



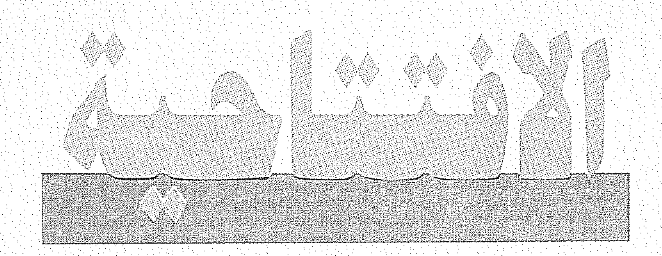
إعلان

تـردنـا مقـالات كثيرة من بعض مـدعي الكتـابـة، وبعـد التـدقيق والتمحيص يتبين لنـا أن هذه المقـالات مقتبسـة أو مسروقـة من الكتب والمجلات..

لهذا فإن إدارة المجلة تهيب بمرسلي هـذه المقـالات الابتعـاد عن مثل هـذه الأساليب التي لا تمت لقيمنا الأخلاقية الاسلامية بصلة، وحتى لا نضطر آسفين الى الكشف عنهـا عـلانيـة على صفحات المجلة .وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير.

ادارة مجلة الوعي الاسلامي

الفهرس



الإسلام ومبدأ التوازن

في اطار الحوار بين الحضارات الانسانية الذي يلقى في عالم اليوم اهتماماً بالغاً ومن أجل معالجة الخلل التنموي بين أمم الشمال وأمم الجنوب، ومن أجل القضاء على التفاوت الاجتماعي والطبقي بين شعوب الارض قاطبة ومن أجل انصاف المرأة ورفع المعاناة عنها ومن أجل الانتصار لكرامة الانسان ورد حقوقه المسلوبة عقدت الامم المتحدة مابين سبتمبر ١٩٩٤م إلى سبتمبر ١٩٩٥م ثلاثة مؤتمرات عالمية هي مؤتمر السكان في القاهرة(٥-١٣ سبتمبر١٩٩٤) ومؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية(٦-١١مارس ١٩٩٥) ومؤتمر المرأة في بكين (٤-١٥سبتمبر١٩٩٥)، وقد كان الحضور الاسلامي واضحاً في كل هذه المؤتمرات على الرغم من الانتقادات الاسلامية الشديدة للسموم التي حملتها ودعت اليها وثائق هذه المؤتمرات والتي كانت السبب في دمار المجتمعات الغربية وتفككها وانهيار بنيانها الاجتماعي والاسري والصحي.

ونحن هنا لانريد ان نناقش مسألة الحضور والتواجد الإسلامي في هذه المؤتمرات فهذا أمر مبتوت فيه إذ ان المشاركة الايجابية وايصال المبادىء الإسلامية بشأن كل القضايا المطروحة في عالم اليوم امر واجب على المسلمين وهو يدخل في نطاق الدعوة الى الله بين كل شعوب العالم قال تعالى:﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن﴾ [النحل/١٢٥]

إن الذي نريد أن نؤكد عليه وندعو اليه هناهو أن العالم اليوم يعج بالعديد من القضايا والمشكلات المستعصية وأن الامم المتحدة بتصديها للعلاج أمر ايجابي ومنطقي وباعتبارها الممثل الرسمي لكل شعوب العالم إلا أنها حين طرحت علاجاً لهذه المشكلات وبالأسلوب الذي تراه أوهو مفروض عليها وأبقت الداء يفتك في قضايا اخرى تكون قد وقعت في تناقض كبير وخلل خطير مؤاده في النهاية الى الفشل في معالجة القضايا الدولية وفتح المزيد من ابواب الفساد بدل إيصادها اذ كيف تعالج قضية التنمية بحلول غير منطقية تكرس بقاء استغلال الانسان لأخيه الإنسان في معظم انحاء العالم وتكرس ايضاً سياسات تفرض بالقوة يسمح بموجبها للدول الغنية بزيادة الغنى وللدول الفقيرة بالاستمرار بالفقر، يقول تقرير للامم المتحدة صدر مؤخراً: ان ٨٥٪ من اقتصاد العالم وتجارته يسيطر عليها بليون انسان من سكان الارض فيما يتقاسم اربعة بلايين نسمة - باقي سكان العالم- ١٥٪ من اقتصاد العالم وتجارته!!، وكيف تعالج الامم المتحدة قضية السكان بحلول فيها مخالفات للفطرة الانسانية

فها هي نتائج الاجهاض الذي وافقت عليه الامم المتحدة في مؤتمر السكان تدلل على ان الاجهاض الانتقائي قد اصبح اكثر شيوعاً في العالم وان غالبية حالات الاجهاض يكون فيها جنس الجنين المجهض انثى وعلى سبيل المثال فقد أورد تقرير للامم المتحدة أنّ دراسة اجريت على ٨٠٠٠ جنين مجهض في مستشفيات بومبي في الهند تبين منها ان ٧٩٩٩ من الاجنة المجهضة كانت اناثا، وكيف تعالج قضية المرأة ووثيقة المؤتمر تعتبر رعاية المرأة لاسرتها وأبنائها حاجزا دون تقدم المرأة (التوصية١٨٧) كما تعتبر البغاء الذي يتم بالتراضي أمراً لاغضاضه فيه (التوصيه١٢٣) كما تدعو وثيقة المؤتمر لعدم التشجيع على الزواج المبكر واعتبرته احد معوقات تعليم المرأة وتدرجها في سلم الوظائف القيادية العليا في المجتمع اضافة الى تجاهل وثيقة المؤتمر لكل القيم الدينية والتقاليد الراسخة التي حفظت شعوباً ودولاً كثيرة من السقوط في حومة الاضطراب النفسي، وهوة الفساد الجنسي، ومستنقع الانحلال الخلقي.

ان المعالجة الحقيقية لكل امراض الانسانية ومشكلاتها العاصرة لاتكون الا بطرح علاج شمولي، غيرآني يحيط بكافة جوانب القضايا كبيرها وصغيرها، كلياتها وجزيئاتها بعيدها وقريبها ويستند على أسس ثابتة وراسخة لاتتعارض مع الفطرة البشرية التي أودعها الله في خلقه ويلبي الاحتياجات الضرورية لكل المجتمعات البشرية بلا استثناء ولاتفضيل في العقيدة او اللون او اللغة او الانتماء فالناس سواسية ولدتهم امهاتهم احراراً ويجب ان يظلوا احراراً.

ولاشك ان مثل هذا العلاج لن يكون إلا في الاسلام الذي أشار اليه نبي الاسلام في خطبته الجامعة في حجة الوداع «ايها الناس إن اباكم واحد وإن امكم واحدة، كلكم لآدم وآدم من تراب . الناس سواسية كأسنان المشط ولافضل لعربي على اعجمي إلا بالتقوى» فالعبرة في الاسلام بالعمل لابالنسب وهذا ماقرره المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال في الحديث الصحيح: «لئن جاء الاعاجم بالعمل وجئتم بدون عمل فهم اولى بمحمد منكم».

إن المسؤولية اليوم تقع على عاتق كل المسلمين رجالاً ونساءً حكومات وهيئات فهم مطالبون جميعاً ووفق تنسيق كامل ورؤية موحدة بابراز معاني هذا الدين وتبليغ دعوته لكل شعوب الارض باعتباره العلاج الشافي والوحيد لكل ادرانها يقدم لها العلاج الروحي المفهوم للعقل ويقيم لها التوازن بين الدنيا والآخرة بحيث يصلها بالسماء دون ان ينتزعهامن الارض التي تقف عليها ومثل هذه الدعوة يجب الاتبقى محصورة في النطاق النظري بل لابد من اسقاطها على واقع الشعوب وذلك بوضع مشاريع بديلة للمشاريع التي تطرحها الامم المتحدة ..مشاريع بديلة للتنمية... مشارع بديلة لمحاربة الفقر ..مشاريع بديلة لتحسين اوضاع المرأة والطفل، كل ذلك يجب أن يكون في نطاق المبادىء الشرعية والقيم الاخلاقية، ونعتقد جازمين بأن مثل هذه المشاريع البديلة لو وضعت وطبقت فان كل المعالجات والمشاريع الاخرى ستسقط تلقائياً لان ظلام الليل البهيم الذي يعم العالم اليوم لن يبدله الا نور هذا الدين العظيم الذي ارتضاه تبارك وتعالى لعبادة اجمعين ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾.

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

برعاية الوكيل الزير

الحفل الختامي لأنشطة الملتقى الصيفي الثاني



● الوكيل الزير يفتتح المعرض

تغطية / أحمد فرغلي

تحت رعاية وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خالد الزير، أقامت ادارة الثقافة الإسلامية حفلها الختامي لأنشطة الملتقى الصيفي الثاني تحت شعار (نحو استغلال أمثل لأوقات الفراغ) وذلك على مسرح مدرسة يوسف بن عيسى الثانوية للبنين بضاحية عبد الله السالم.

حضر الحفل وكيل الوزارة خالد الزير، والوكيل المساعد لشؤون الثقافة الاسلامية عبد العزيز البدر القناعي، ووكيل الوزارة المساعد للشؤون المالية والادارية يوسف العوضي، وعدد من مديري الادارات بالوزارة بالاضافة إلى حشد كبير من الطلبة المشاركين في الانشطة وأولياء أمورهم.

بدأت وقائع الحفل بتلاوة من آيات الذكر الحكيم تلاها احد الطلبة المشاركين في الانشطة، ثم القى كلمة الوزارة الوكيل المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية، عبد العزيز البدر حيث أكد على أن وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية تحرص دائماً على استغلال الوقت واستثماره بما يعود على المجتمع بشكل عام وعلى الشباب بشكل خاص بالنفع والخير الوفير.

البدر: الوزارة تحرص على توظيف الوقت واستثماره

دعم ثقافي

وأضاف البدر: ان الوزارة ممثلة في ادارة الثقافة الاسلامية تقوم بواجبها من خلال الدعم الثقافي حسب ماتدعو اليه حاجة الشباب منتهزة بذلك فرصة العطلة الصيفية وذلك بالاسهام مع الجهات المعنية الاخرى، بالتنسيق مع وزارة التربية يهدف ملء اوقات فراغهم بالجد والاجتهاد من خلال ربط الشباب بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وعملاً وتعويدهم على الاهتمام بالسنة النبوية الشريفة واكتشاف مواهبهم وقدراتهم في شتى الانشطة واستغلالها في ما يعود عليهم وعلى المجتمع بالخير والفائدة.

وفي نهاية كلمته شكر البدر باسم وزارة الاوقاف وزارة التربية وادارة مدرسة يوسف بن عيسى الثانوية للبنين والمؤسسات الحكومية التي اسهمت في انجاح هذا النشاط لما قاموا به من روح طيبة وتعاون صادق للارتقاء بمستوى الطلبة.

تنوع الانشطة

ثم القى الدكتور عبيد العتيبي الاستاذ بجامعة الكويت كلمة نيابة عن اولياء الأمور جاء فيها:

لقد لمسنا نحن الاباء مدى الاستفادة التي حققها أبناؤنا لقد آتت هذه الأنشطة أكلها - بفضل الله - ونضجت ثمارها.. ولقد تنوعت انشطة الملتقى وتعددت، فمنها حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والبرامج الثقافية والرياضية والزيارات العلمية والترويحية.

حقق الملتقى الصيفي الثاني مطلبة واستفادة الابناء من انشطته


● الوكيل المساعد للثقافة الاسلامية يلقي كلمة الوزارة


● د . عبيد العتيبي يلقي كلمة أولياء الامور

وأضاف الدكتور العتيبي:
انني انتهز هذه المناسبة الكريمة في نهاية الملتقى الصيفي الثاني بان اتوجه الى وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالشكر الجزيل والعرفان الجميل على مابذلوه وقدموه الى براعم هذا الوطن وجيل المستقبل أملين ان تتكرر هذه الملتقيات وان تستمر هذه العادة الحسنة وكذلك ان يستمر دعم الانشطة الطلابية بما يحقق الخير والنفع لأبنائنا ليكونوا غرساً صالحاً لكويتنا الحبيبة.

نرجو الاستمرارية

وكان للطلبة المتفوقين كلمة ألقاها نيابة عنهم الطالب عبد الكريم الشطي قال فيها:
مضت أيام الملتقى وما أحلاها من ايام نخرج من درس القرآن الكريم لندخل في درس الثقافة الاسلامية الى صالة الرياضة إلى اجهزة الكمبيوتر، وهذا يدلنا أن الإسلام دين العلم والأخلاق والحضارة.. دين يعلم ابناءه كل خير ونافع ويبعدهم عن الشر والمنكر.. دين يحضنا ان نطلب العلم من المهد إلى اللحد، ان نطلب العلم ولو كان في الصين.
وأضاف الشطي:
إن الذي زادنا حباً للعلم مالمسناه من أساتذة الملتقى وقد كانوا خير قدوة لنا، رأينا فيهم العلم والعمل، ولمسنا فيهم القول مقرونا بالقدوة الحسنة.
كما نتقدم بجزيل الشكر لوزارة الأوقاف فهي السبب وصاحبة الفضل ومن منا لايعرف ذلك فجزى الله العاملين بالوزارة خير الجزاء.
وتمنى الشطي ان تجدد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هذا الملتقى كل عام حتى يتجدد الايمان والعلم والمعرفة لدى الشباب.

تكريم الجهات الرسمية

وفي الحفل تم تكريم بعض الجهات الرسمية وهي:
– مدير عام منطقة العاصمة التعليمية – جاسم العمر.
– مدير ادارة الانشطة التربوية بمنطقة العاصمة التعليمية – عبد الله الدويهيس.
– إدارة التوجيه المعنوي – وزارة الدفاع.
– إدارة خفر السواحل.
– القاعدة الجوية.
– القاعدة البحرية.
– ناظر مدرسة يوسف بن عيسى الثانوية – اسماعيل الفيلكاوي.
كما تم توزيع الجوائز على اوائل الطلبة المتفوقون.
وفي نهاية الحفل قام وكيل الوزارة والوكيلان المساعدان بافتتاح المعرض الذي اقامه الطلبة المتفوقون ■


● الوكيل الزير يكرم العسكريين

العقل من أبرز ما يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات، لذا فقد كان العقل مناط التكليف، كما كان صنو النقل، فبهما معاً يتمكن الإنسان من استنباط الأحكام ومعرفتها، كما أن تعطيل أي منهما يوقع في المهالك والتيه والضلال، وقد بنى الكاتب مقاله على فكرتين أساسيتين، بين في الأولى دور العقل في الحضارة الإنسانية، والتوصل إلى الإيمان الصحيح، ثم بين في الثانية المبادىء التي اعتمدها الإسلام في المحافظة على العقل للقيام بمهمته على خير وجه.

قيمة العقل وشرفه في الإسلام

بقلم: د. عبدالله لخضر
أستاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بمكناس - المملكة المغربية

من الحقائق المقررة لدى علماء الأصول، أن كل ما جاءت به الشريعة الإسلامية من تكاليف، ترمي إلى هدف واحد وغاية واحدة، هي صيانة الضروريات الخمس (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، والحفاظ عليها، لأنها هي الدعائم التي تقوم عليها حياة البشر من جهة، ولأنها تفضي إلى غاية كلية واحدة، وهي العبودية لله وحده لا شريك له، ومن جهة ثانية فالعقل أداة الحضارة الإنسانية، ووسيلة الإنسان إلى الإيمان الصحيح، لذا اعتمده الشرع حكماً في أبرز قضايا العقيدة.

وحديثي هذا، سيقتصر على ضرورة العقل، مبينا ما جعل العقل يحظى بأهمية ودور فاعل في الحياة، وكيف خص بعناية فائقة من طرف الإسلام.

ينبغي على العاقل أن يحذر من الاستماع للأفكار المضللة المزعزعة للعقيدة.. المبلبلة للأفكار والحقائق

العقل جوهر الإنسان والحضارة

العقل جوهر إنسانية الانسان وشرفه وامتيازه وتفضيله على غيره من المخلوقات، يقول تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

قال ابن عباس: كرمهم بالعقل. وهو مناط التكليف، والخطاب الإلهي. وهو الركيزة الأساسية في التقدم الإنساني والحضاري، فأي خطوة خطاها الإنسان في هذا المضمار، هي نتاج النشاط الذهني والتفكير الدؤوب المنبثق عن نعمة العقل التي تكرم الله بها على عباده، فالعقل كما يقول الغزالي «منبع العلم ومطلعه وأساسه»(١).

ولهذا طالب الإسلام الناس بالتعقل، وتنمية العقل لا تكون إلا بالعلم، وعليه فإن مطالبة الإسلام بالتعقل هو دعوة لطلب العلم، وقد جاء ذلك صريحا في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ.

يقول تعالى: ﴿وقل رب زدني علما﴾ [طـه/ ١١٤]. وفي الحديث: «إذا أتى على شمس يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله عز وجل، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»(٢).

إن العقل هو ميزان التعادل في الإنسان، وسر الله فيه، به يتعرف الإنسان إلى خالقه وبه يعرف نفسه، ويعرف مبدأه ومنتهاه، ويعرف مكانه في الوجود الذي يحيا فيه(٣).

الدليل العقلي شرط الإيمان

وقد جعل الإسلام العقل والاقتناع بالدليل والبرهان شرطا للإيمان بالله سبحانه وتعالى، فلقد تميز الإسلام وانفرد بين سائر الأديان والمعتقدات، باستخدامه العقل للدلالة على إثبات الخالق عز وجل، فهو لم يفرض عقائده على الناس فرضا، بل ناقش وعرض، أثار الفكر والتفكير، وطالب بالبحث والتقصي، ونبهت الآيات القرآنية إلى غرس عقيدة الإيمان على أسس عقلية فطرية، وذلك كي يقتنع المتشكك، ويطمئن الباحث، إلى أن العقائد التي دعا إليها الإسلام قائمة على أساس من العلم، وحتى حينما دعا الإسلام إلى الايمان بالله سبحانه وتعالى ووحدانيته، كانت دعوته قائمة على طريق المنطق والعقل والمناقشة.

والآيات - التي أمرنا القرآن

من خلالها أن نحكم العقل - كثيرة، فلا تكاد تخلو سورة من القرآن إلا ويطالبنا الحق سبحانه فيها بتحكيم العقل، أو يلومنا على عدم تحكيمه، أو ينعت من لا يحتكم إليه بالعمى والصمم أو يشبههم بالدواب، ولاسيما بعد ذكر الآيات والبراهين العقلية الدالة على وجود الله سبحانه وقدرته ونعمته.

وقد نهى القرآن الكريم عن اتباع ما لم يقم عليه دليل عقلي علمي يقيني. قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء/٣٦]. كما نهى عن اتباع الظن. قال سبحانه وتعالى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرُصونَ﴾ [الأنعام/١١٦]، وقال: ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ [النجم/٢٨].

إدراك مقاصد الشريعة

إن العقل هو أداة استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها، بالاعتماد على إدراك مقاصد الشريعة وتمييز المصالح من المفاسد، يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: «من أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح والمفاسد، راجحها ومرجوحها، فليعرض ذلك على عقله، بتقدير أن الشرع لم يرد به، ثم يبني عليه الأحكام، فلا يكاد حكم يخرج عن ذلك...»(٤).

نعى القرآن الكريم على تعطيل العقل عن التفكير المتزن السليم الذي يصل بصاحبه إلى الحق، وإن الذين يهدرون ما منحهم الله سبحانه وتعالى هم شر خلق الله: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ [الأنفال/٢٢]. ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ [يونس/١٠٠].

تشريف الإسلام للعقل

وفي هذه المعاني أبلغ دليل على تشريف الإسلام للعقل، وحرصه على بيان قيمته، ثم إن من أعظم مزايا الإسلام على غيره من الشرائع، إلزامه المكلف بما قرره من الحق، وتنفيذه ما شرعه من أحكام، وأول طرق الإلزام وعمادها في الشريعة هو وازع العقل، ولذلك أمرنا الحق سبحانه بتحكيم العقل، وأكثر من البراهين والأدلة العقلية، وأسهب في إيراد الحكمة من كثير من الأحكام، وبشر الذي يؤتي الحكمة بأنه قد أوتي خيرا كثيرا.

لذا كان الإقناع العقلي بصحة القضايا الدينية، وبفائدة المبادىء والأحكام والتكاليف.. هو أول ضرب من ضروب الإلزام بمقتضاها(٥).

فقد اعتبر الإسلام العقل شرطا ضروريا لتحمل التكاليف الإلهية التي فرضها الله على الإنسان، زيادة على جعله العقل حجة على تبعة التكليف والمسئولية، لأن الإسلام احتكم إلى العقل الذي هو ثمرة التفكير الصحيح الحر الطليق من أغلال التقليد، ومن سلطان الهوى وخدر الوهم، لقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أَمْ عَلى قُلوب أقْفالُها﴾ [محمد/٢٤]، يؤكد هذا نعي القرآن الكريم على الذين لا يستجيبون لما تأمرهم به عقولهم، مما يقطع بأن العقل - في منطق الإسلام - سلطة آمرة ناهية، إلى جانب حكم الشرع، لا تجافيه، وقد سمى القرآن الكريم العقول أحلاما، تجد هذا واضحا في مثل قوله تعالى: ﴿أم تأمرهم أحلامُهم بهذا أَمْ هُمْ قومٌ طاغون﴾ [الطور/٣٢]. استحقوا هذا الوصف بسبب تركهم العقل ومخالفتهم لأمرهم، ولولا حجية حكم العقل لما كان لذلك الوصف - وهو الطغيان - وجه.

العقل والنقل صنوان

ولا ريب أن تعطيل العقل يساوي المخالفة عن أحكامه، فثبت أن النقل والعقل صنوان من حيث الحجية، لقوله تعالى - حكاية عن الذين عطلوهما: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل..﴾ [الملك/١٠] فقوله «نسمع» أي نصيخ إلى نداء الشرع(٦).

فالعقل والنقل إذاً صنوان لا يفترقان، ولا يستغني أحدهما عن الآخر. ويصور ذلك الإمام الغزالي بقوله: «الشرع عقل من الخارج، والعقل شرع من الداخل، وهما متعاضدان بل متحدان، ولكون الشرع عقلا من الخارج، سلب الله تعالى اسم العقل عن الكافر في غير موضع من القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [البقرة/١٧١]، ولكون العقل شرعا من الداخل قال تعالى في صفة العقل: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ [الروم/٣٠]. فسمى العقل دينا، ولكونهما متحدين قال تعالى: ﴿نور على نور﴾ [النور/٣٥]، أي نور العقل ونور الشرع»(٧).

العقل حجة

ويزيد من قيمة العقل أن الإسلام حكمه في القضية الكبرى وهي الألوهية والوحدانية إقرار منه بحجيته، إذ اكتفى بالدلالة العقلية، لقوله سبحانه: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار... إلى قوله:فَقنا عذابَ

صان الإسلام الطاقة العقلية عن أن تبدد في البحث فيما لا طائل تحته.. وعن الخوض في الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري إليها للحكم عليها

النـــــــــــــار﴾ [آل عمـران/ ١٩٠و١٩١] والأدلـة على ذلك أكثـر من أن يحيط بها حصر.

وإذا كـــان العقـل حجـــة في قضيـة الألـوهيـة والـوحدانيــة، فَلَأَنْ يكون حكمـه ببديهته على اختيار الإنسان لأفعاله وحريته المسئـولة حجـة من بـاب أولى. والـــواقع أنـــه لا يستـــقيم لامـــرىء دينـــه حتى يستقيم عقله(٨).

لما كـان للعقل الإنســاني مـا بينا من الأهمية والـدور الفاعل في الحيـــاة، والأثـر البـــارز في قضـــايـــا العقيـــدة والمنهج الإسلامي، لذا كان من الطبيعي أن يحاط بسيـاج مـن الأحكـام والمبادىء التي تعمل على حفظه سليما مُعـافَى، قادرا على القيـام بمهمته الجليلة ومنها:

*) المبـادىء التي تعمل على حفظ العقل وإقـراره على القيام بمهمته.

١) منع الإنسان من تناول ما من شأنـــه الإضرار بـــالعقل، والتأثير على قدرتـه، وتحصينه من كل ما يشل ويعطل طـاقاته الفكـــريـــة المتجـــددة وغير المحدودة(٩).

جريمة الإضرار بالعقل

جعل الإسلامُ العقلَ مناط التكليف لأنه أبرز ما يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات

إلا أن هذا التعطيل قـد يكون من الخارج بأن يعتـدي عليـه إنسان آخر بضرب أو تخويف أو نحـوهما، فيترتـب على ذلك ذهـاب عقله، وفي هـذه الحالـة يــوجب الشـــارع الحكيم على المتسبب دفع دية كاملة، أي كأن الإنسان هو العقـل، أما إذا كان هذا التعطيل من صاحب العقل نفســه، بأن تناول شيئـا يُغيب عقله، بحيث يمنعـه مـن القيام بوظيفتـه، فقد رتب الـــشـــارع على ذلك عقـوبـــة رادعـة وهي الجلد، وهذه العقـوبـة مفصلـة في كتب الفقه...

تحريم الخمر والمسكرات

ولـــذا حـرم الإســلام شرب الخمر وتعاطي سائر المخدرات، التي تفتك بـــالقـوى العقليـــة وتعطل رســالتهـا. قال تعـالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجـس مـــن عمـــل الشيطـــان فـاجتنبـوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة/ ٩٠]، وقال ﷺ: «لعن الله الخمـر وشــاربها وســاقيها وبـائعهـا ومبتاعهـا وعاصرها ومعتصرهـا وحاملها والمحمـــولـــة إليــــه وآكل ثمنها»(١٠).

يقـول الفيلسوف (بنتـام) في كتابه «أصول الشرائع»: (النبيذ في الأقـــاليم الشماليـــة يجعل الإنســان كالأبلـه وفي الأقـــاليم الجنوبية يصير كالمجنون، وقد حرمـت ديانة محمـد ﷺ جميع المشروبـــــات، وهــــــذا من محاسنها).

لقـد كـــان التشريع الإلهي، بتحـــريم المسكـرات، من أجل النعم على الإنسان، وأبعدها أثرا في حياته، سواء في تنظيم علاقته بـربـه، أو عـلاقتـه بأهلـه، أو عـلاقته بمجتمعـه، والإنســان العــاقل هـو الـذي يستطيع أن يحافظ على هـذا التنظيم، بحيث يعطي كل ذي حق حـقه.

كما أنـــــه يستطيع أن يمنـع الآخـرين من الاعتـــداء على أي من هـــذه الــحقوق، إذ هـــو المنـوط به حراستهـا والمحافظة علـيها.

ولقد استمر المسلمـون بحمد الله، قـرابـة ثلاثـة عشر قـرنـا، متمسكين بهذا التشريـع، مـــع بقية التشريعات الأخرى، إلا من شـذ، وكانـوا من القلة بمكـان، حتى كـان النـاس يتنـاقلـون أخبارهم كنـوادر يتطرفون بها في مجالسهم ونواديهم.

المستعمرون ونشر المسكرات

ولما أقبـــــل على المسلمين النصف الثـاني مـن القـرن التـــاسع عشر، وأقبلت معـــه جيوش الغزو الأروبي الصليبي الاستعماري لاجتيـــاح معظم بلاد المسلمين، وكان الهدف من هذا الغزو مـزدوجا، يسلب من المسلمين خيراتهم، وكـــــذلك يسلب منهم شريعتهـم، ولقـــد نجح هذا الغزو في تحقيق هذين الهدفين، نجاحا لم يحلم به قادة الغـزاة أنفسهم، إذ استخدمـوا وســـائل كثيرة في سبيل تحقيق هذين الهدفين، وكـان من أنجح هـذه الوسـائل وأسرعها لبلـوغ الهدف، هـو تشجيـع انتشـار المسكـــرات في مجتمعـــــات المسلمين، على أساس أن المرء إذا فرَّط بعقلـه وهو أعـز ما يملك، سهل عليـه بعـد ذلك التفـريط فيما ســواه، وإذا غـــاب عن الإنسان عقله فقد اختلطت عليه الأمـــور، بحيث لا يفـــرق بين العـــدو والصـــديـق، والخطأ والصـــواب، وفي هـذه الأثنـــاء يستطيع المستعمـــر أن يجرده من كل شيء: من مـاله وعـرضه ودينه.

نعم لقد نجح المستعمر وحقق أهـــدافـــه من خــلال إلغـــاء التشريعـات الإسـلاميـة، التي كـانت المجتمعـات الإســلاميـة تحكم بها، ومن بينهـــا تحريم المسكرات، وجعل البـديل لذلك، هو تشجيـع تـداولها وتصنيعها وتعاطيها، بين كل الطبقات، وفي مختلف أنحاء البلاد، وتبع ذلك التردي في بقية الـرذائل الخلقية التي لازال المجتمع يـزرح تحت وطأتها بـــالـرغم مـن رحيل المستعمر.

٢) إعـــلان الإســلام بأن للمجتمع حقا في سلامة عقل كل

فرد فيه، كي يكون عضوا سليما يمد المجتمع بعناصر القوة والنفع، ولأن من يعرض عقله للخلل، يصبح عبئا على المجتمع، لذا كان من الواجب حماية المجتمع من شروره وأذاه، لأن من يختل عقله لا يقتصر ضرره على نفسه بل يتعداه إلى غيره.

إن الإسلام وهو يقيم الحدود على مرتكبي الجرائم، ومنها شرب الخمر المضيع للعقل، قد أقام سورا منيعا حول المجتمع لا يفكر باقتحامه إلا من شذ في تكوينه أو دوافعه، وهم فئة قليلة، وبهذا يبقى منيعا قويا متماسكا ليس فيه ثغرات ينفذ منها الأعداء(١١).

٣) تنمية العقل ماديا ومعنويا: أما ماديا فبالعناية بالغذاء الجيد الذي يقوي الجسم وينشط الذهن، فحرارة الجوع ملهبة تذهب بريح العقل، ولذلك يكره على القاضي أن يقضي وهو جائع، وفضل تقديم الطعام على الصلاة إذا اجتمعا، لأن الجوع يحول دون التدبر والخشوع.

وأما تنمية العقل معنويا: فبالنهم في العلم والاستزادة من المعرفة، للاستزادة من العلم، ولو استغرق ذلك العمر كله.

العلم وتنمية العقل

المنهج الإسلامي يقوم على فكرة شمولية العلم وإطلاقه، فلا يحده مكان ولا يقيده زمان: ﴿وقل رب زدني علما﴾ [طه/ ١١٤]. وفي هذه الآية ما يوحي بالاستغراق والشمول حتى لكأن الإنسان في كل زمان ومكان مكلف أن يطالب نفسه بالاستزادة من كل علم يسبر به أغوار الوجود من غير حدود أو قيود، فمسيرة العلم لا تتوقف حتى تقتحم كل مجهول متاح لها(١٢).

ولم يوجب الله سبحانه، من ذلك، على الأمة إلا ما فيه حفظ دنياها وصلاحها في معاشها ومعادها، وبإهمال ذلك تضيع مصالحها وتفسد أمورها، فما خراب العالم إلا بالجهل ولا عمارته إلا بالعلم، قال الإمام أحمد: (ولولا العلم كان الناس كالبهائم») وقال: «الناس أحوج إلى العلم منه إلى الطعام والشراب، ولأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثا، والعلم يحتاج إليه كل وقت)(١٣).

وقد حث الإسلام بصورة متواصلة على العناية بتنمية العقل الإنساني، وترقية الشخصية الإنسانية، عن طريق الضرب في الأرض، وتعرف أحوال الأمم وطبائعها، ووراثة ماهي عليه من نظم وعادات. قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ [الحج/٤٦]، وقال: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾ [فاطر/ ٤٤].

وهكذا فتح الإسلام الباب أمام البشرية، لتتقدم إلى مجالات البحث والمدنية، وقد كان من آثار ذلك، أن أقام الإسلام للعلم منهجه ومنطلقه، من حرية البحث، وصراحة التفكير، وسلامة النظرة، بعد أن طهر القلوب والعقول من أدران المادة والوثنيات(١٤).

٤) تحرير العقل من الاعتقادات الباطلة التي تفسد عمله: كالخرافات والأساطير والأوهام، والاعتقاد بالسحر والشعوذة، وما إلى ذلك مما يعطل طاقات العقل ويهدرها في غير ما طائل.

ولقد حرص ﷺ على تثبيت هذا المعنى في النفوس، حين ربط بعض الناس كسوف الشمس بموت ولده إبراهيم لأنهما اجتمعا معا، فقال: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، يخوّف الله بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى ينكشف ما بكم»(١٥).

ومن هنا نلاحظ أن الإسلام قد حدد مجال النظر العقلي، حيث صان الطاقة العقلية عن أن تبدد في البحث فيما لا طائل تحته، وعن الخوض في الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري إليها للحكم عليها، فإذا ما حاول اقتحامها ارتد وهو حسير كليل.

ثم إن العلم يعتمد على ميزان العقل الذي هو وسيلة المعرفة، فالإسلام لا يقر الاعتماد على المعجزات ولا يعول على الخوارق المعطلة للعقل.

العقل السليم لا يقبل الأوهام

صحيح أن الحق سبحانه وتعالى عزز دعوات الأنبياء بالخوارق والمعجزات، إثباتاً لصدق دعواتهم وإقامة للحجة على المعاندين من أقوامهم، ولكنه – في الوقت نفسه – يبين لنا أن العقول إذا أقفلت عن التفكير، لن تجدي في إقناعها حتى المعجزات والخوارق، يقول تعالى: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ [يونس/ ١٠١]، ويقول: ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ [الحجر/ ١٤و١٥].

فمن عطل عقله واتبع هواه، وألغى استعداده لتقبل الحق لن تجدي معه معجزة، ولن يؤثر فيه دليل، وإلا فما بال قوم صالح وإبراهيم وموسى

يقول الإمام الغزالي: العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه

بالعقل يتعرف الإنسان إلى خالقه.. وبه يعرف مكانه في الوجود الذي يحيا فيه.. ويعرف مبدأه ومنتهاه

وغيرهم، يصرون على الكفر بعد أن رأوا المعجزات يظهرها الله على يد أنبيائهم.

ومن هنا كرَّم الله هذه الأمة بالمعجزة المعنوية العقلية المتجددة العطاء، وهي القرآن الكريم، وحين يكون العمل للعقول تبتعد الأوهام والخرافات ويكون المقياس الثابت المميز للزائف من الصحيح هو القرآن.

٥) تربية روح الاستقلال في الفهم، واتباع ما أثبته البرهان والدليل، ونبذ التقليد والمقلدين(١٦).

لقد دعا الإسلام إلى اتباع الحجة والبرهان والتجربة، وهو لا يقر القول بشيء أنه حق إلا إذا قام البرهان اليقيني القاطع عليه، ولا يجوز الايمان بشيء إلا بالبرهان: ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم﴾ [الأنبياء/ ٢٤].

وتحقيقا لهذا المعنى دعا الإسلام إلى الاجتهاد فيما لا نص فيه من القضايا، وجعل للمجتهد أجرين إن أصاب، وأجراً واحدا إن أخطأ(١٧).

ونهى في الوقت نفسه عن التقليد في العقيدة من غير وقوف على الدليل والاقتناع به. وبين أن للمشركين تقليدا سيحاسبهم الله عليه: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه﴾ [المؤمنون/١١٨].

وعن التقليد في الفكر والرأي والسلوك الاجتماعي: قال تعالى – ناعياً على الكفار موقفهم ذلك: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ [البقرة/ ١٧٠]. ويقول ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: «أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»(١٨).

٦) تدريب الطاقة العقلية على الاستدلال المثمر، والتعرف على الحقيقة من خلال وسيلتين:

الأولى: وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي القائم على اليقين لا على مجرد التقليد أو الظن،وبناء على ذلك كانت دعوته للتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به أو اقتفائه: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ [الكهف/ ١٥]، ولذلك اشترط الإسلام الشهادة لإقامة الحدود، وقرر مبدأ درء الحدود بالشبهات لأنها تثير الشك من مصداقيتها وتطعن في يقينية وقوعها.

الثانية: تدبر نواميس الكون – وتأمل ما فيه من دقة وارتباط، واستخدام الاستقراء والتمحيص الدقيق – المستكنه لحقائق الأشياء(١٩).

٧) توجيه الطاقة العقلية إلى النظر في حكمة التشريع كما في الآيات والأحاديث الكثيرة، فالتشريع الإسلامي من عند الله، ولكن القائمين على تنفيذه هم البشر، فينبغي عليهم أن يلتمسوا حكمة التشريع وأن يراعوها، فإن ذلك أدعى إلى أن يزيدهم إيمانا على إيمانهم، وإلى أن يلتزموا بالتشريع على تمامه وعلى وجهه الصحيح، وما عدم قطع عمر رضي الله عنه ليد السارق عام المجاعة إلا من منطلق مراعاته لحكمة التشريع(٢٠).

لقد جعل الله سبحانه وتعالى – بمقتضى هذه الشريعة الخالدة – للعقل السلطان الأعلى، في إدراك حكمة ما حدده القرآن من المبادىء لخدمة الحق والخير ومكارم الأخلاق، وفي مراعاة هذه الحكمة على أساس تلك المبادىء فيما سيكون من أحداث ووقائع.

وهذا السلطان العقلي الذي أمر الله تعالى الناس بالاحتكام إليه في آيات كثيرة، هو سلطان مطلق شامل، يتناول بسلطته كل معنى في الوجود ابتداء من فهم أتفه الأشياء كإماطة الأذى عن الطريق، وانتهاء بأعظم الحقائق كوحدة الألوهية.

٨) توجيه الطاقة العقلية للإنسان وجهة تكفل ضمان سير المجتمع على نهج صحيح.

فالتكافل بين أفراد المجتمع، والرقابة على سير الأمور على الوجه المطلوب، يقتضيان وعيا كافيا ناضجا، ولذلك كان لابد من توجيه الطاقة العقلية للعمل في هذا الميدان، ضمانا لحسن سير الأمور.

وفي هذا الإطار وجدنا القرآن الكريم يبصِّر المسلمين بأعدائهم، للتيقظ لخطرهم ومؤامراتهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ [النساء/ ٧١]. ووجدناه يلفتهم لطريقة تلقي الأنباء والشائعات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [الحجرات/٦]. ووجدناه ينبههم إلى حسن الحكم على الأشياء والأشخاص وعدم التسرع في إصدار الأحكام قبل اتضاح الأمر: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات/١]. ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم...﴾ [البقرة/ ٢١٦].

إن هذه العمليات جميعا وغيرها مما يضمن سلامة سير سفينة المجتمع ونجاتها يتطلب من المسلم أن يكون على درجة رفيعة من حضور الذهن وسعة الأفق ونفاذ

البصيرة.

٩) فتح باب الاجتهاد: مع أن الوحي الإلهي يعتبر المصدر الأساسي لاستقراء الأحكام الشرعية، فإن الإسلام لم يهمل العقل البشري ودوره في استنباط الأحكام.

ويظهر عمل العقل الإنساني في نطاق التعرف على الأحكام الشرعية في مجالين بارزين:

– معرفة المقاصد والأهداف من النصوص والأحكام الشرعية.

– استنباط الأحكام الشرعية للحوادث الطارئة التي يفرزها الواقع والتي لم يرد نص على حكمها، ويتم ذلك من خلال القياس أو الاجتهاد الجماعي، وكل ذلك يعتبر اجتهاداً.

ومن هنا كانت دعوة القرآن الكريم إلى تحكيم العقل والرجوع إلى ذوي البصيرة والرأي الثاقب لاستنباط الأحكام التي يرد بها نص:

﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء/٨٣].

١٠) منع التضليل الفكري ولاسيما بالنسبة للمستويات العقلية المحدودة، وذلك عن طريق بث الأفكار الخبيثة، والآراء المشككة، من خلال الأقلام المسمومة – التي تأخذ طريقها إلى وسائل مخاطبة الناس من صحف ومجلات ووسائل إعلام أخرى، ومن خلال فتح المجال لذوي الأفكار الهدامة التي تتنافى ومبادىء الدين وقيم الحق والخير والفضيلة – أن يروجوا أفكارهم.

ومن هنا كان تشديد الإسلام النكير على الأرجاف والمرجفين، وتهديدهم بإنزال العقوبة بساحتهم: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم...﴾ [الأحزاب/٦٠].

وحذر من الاستماع للأفكار المضللة المزعزعة للعقيدة، المبلبلة للأفكار والحقائق: ﴿يا أيها الرسول لا يَحْزُنْكَ الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تُؤْمن قلوبهم ومن الذين هادوا سَمَّاعُون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يَأْتوك يحرِّفون الكَلِمَ من بعدِ مواضعه يقولون إنْ أُوتِيتُمْ هذا فخذوه وإن لَمْ تُؤتوه فاحْذَروا»﴾ [المائدة/٤١].

وهذا المنع يخص ذوي المستويات العقلية المحدودة – كما ذكرنا سابقا – إذ لا تملك هذه المستويات – لمحدوديتها – القدرة على النقد والتحليل، فتقع فريسة لهذا التضليل والزيف، بخلاف المستويات العقلية والعلمية العالية، التي يجب عليها دراسة تلك التيارات وتحليلها ونقدها، بعد مقارنتها بأصولنا وقيمنا ومبادئنا وعناصر حضارتنا المعنوية، ومقاصدها العامة(٢١).

وبعد، فلعل فيما ذكر من المعاني والاعتبارات لخير شاهد ودليل على قيمة العقل وشرفه في منظار الإسلام، ويبنى على ذلك ضرورة إعماله مع الاهتداء بنور الشرع، حيث قد ثبت أن الاعتماد على أحدهما مع تعطيل الآخر إخلال في ميزان التصرفات بين الجمود أو شطط العاطفة، ولا ريب أن هذا الاعمال – وبهذه الصورة – سيأتي بالنتائج المرجوة في إبراز النظرية العلمية الإسلامية التي تتخذ من المعرفة والقيم والعلم والفضيلة لحمة وأساساً، فينطلق العقل عندها يلتمس الحقيقة ويفجر المعرفة ويستغل الطاقات الكونية في خدمة البشرية وأمنها ورفاهها■

هوامش:

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ٧٣/١.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية.
(٣) العلم والدين، د. سليمان: ٦و٧.
(٤) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام: ٨/١.
(٥) بحث القرآن في التربية الإسلامية، نديم الجسر، المؤتمر ٣ لمجمع البحوث الإسلامية: ١٩١.
(٦) خصائص التشريع الإسلامي للدريني: ١٢٦.
(٧) معارج القدس للغزالي: ٥٩–٦١.
(٨) خصائص التشريع للدريني: ١٢٥–١٢٨.
(٩) الأصول العامة لوحدة الدين الحق، وهبة الزحيلي: ١٤٢.
(١٠) رواه أبو داود.
(١١) أصول الفقه لأبي زهرة: ٣٦٤.
(١٢) خصائص التشريع للدريني: ٢٣٠.
(١٣) أعلام الموقعين لابن القيم ٢٥٧/٢.
(١٤) معلمة الاسلام لأنور الجندي: ٦١٠.
(١٥) متفق عليه.
(١٦) أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف: ٢٠١ والأصول العامة لوهبة الزحيلي: ١٤٢.
(١٧) انظر الحديث في الصحيحين.
(١٨) جامع الأصول لابن الأثير رقم الحديث: ٩٣٠٩.
(١٩) منهج التربية لمحمد قطب: ٧٧و٧٨.
(٢٠) نفسه: ٧٥–٧٨.
(٢١) خصائص التشريع للدريني: ٢٢٩ و٢٣٠.

حرّم الإسلام شرب الخمر وتعاطي سائر المخدرات، التي تفتك بالقوى العقلية وتعطل رسالتها

في الغذاء والدواء ٢/٢

كانت (الوعي الإسلامي) قد نشرت القسم الأول من دراسة الدكتور محمد الزحيلي، وكيل كلية الشريعة بجامعة دمشق، عن (أحكام المواد المحرّمة والنجسة في الغذاء والدواء) في العدد رقم/٣٥٥ ربيع الأول ١٤١٦هـ، والمقدم في الأصل للندوة الفقهية الثامنة بالكويت، المنعقدة في الفترة من ٢٣-٢٥/١٢/١٤١٥هـ وفيما يلي القسم الثاني والأخير، وفيه حكم استخدام المواد المحرمة والنجسة كالكحول:

أحكام المواد المحرمة والنجسة

بقلم / الدكتور محمد الزحيلي

وكيل كلية الشريعة بجامعة دمشق

المستحضرات الصيدلانية

للمستحضرات الصيدلانية صور وحالات، وهي:

١- إذا كان الكحول مذوباً لمجرد كسب الرائحة والطعم المستساغ فلا حاجة إليه، ويطبق عليه رأي الجمهور في نجاسة الخمر والكحول نجاسة عينية، ومراعاة للخلاف مع الاحتياط والورع، اما اذا كان الكحول مذوباًللخلاصات النباتية فيجوز للحاجة والضرورة، لأن المواد بدونه تترسب وتمثل خطورة كبيرة.

٢- استعمال الكحول لإكساب الطعم المقبول للمريض في المواد ذات الطعم غير المستساغ، لاحاجة له ولاضرورة، وتطبق القاعدة السابقة في نجاسة الكحول نجاسة عينية، احتياطا وورعا.

٣- استعمال الكحول لخاصيته في قتل الجراثيم والميكروبات لامانع من استعماله للحاجة.

٤- مطهر للجلد او للحقن لامانع من ذلك للحاجة.

٥- استخدامه في الكولونيات والروائح العطرية لاذابة المواد الطيارة جائز اذا كان للحاجة والضرورة في الصناعة، اخذا بالرأي الثاني بعدم نجاسة الكحول، واخذ برأي الحنفية والمالكية بطهارة المادة اذا تحولت إلى عين اخرى.

٦- استخدامه في أدوية الاطفال لايجوز لعدم الحاجة، ولثبوت ضرر كبير عليهم، وثبوت الآثار الخطيرة على الاطفال والاجنة، لذلك نؤيد توصية منظمة الصحة العالمية بمنع استعمال الكحول في مستحضرات الاطفال والحوامل، ونبارك ماقامت به المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في تحضير مستحضرات الاطفال خالية من الكحول كمذيب أو حافظ للمستحضر.

والكحول نجس العين عند جمهور الفقهاء، وقال بعضهم انه ليس نجس العين، فإن امكن استخدام مواد مطهرة اخرى خالية من الكحول فهو افضل، وفيه خروج من الخلاف، اما اذا لم يتوفر فنأخذ برأي بعض الفقهاء بعدم نجاسة الكحول فهو افضل، وفيه خروج من الخلاف، اما اذا لم يتوفر فنأخذ برأي بعض الفقهاء بعدم نجاسة الكحول، للحاجة والضرورة، ريثما تصل الدراسات والأبحاث للتغلب على هذه المشكلة باستئصال الكحول منها.

في الحالات التي يمكن صرف اشكال صيدلانية خالية من الكحول فيجب اللجوء اليها، ويحرم شرعا استعمال الأشكال المحلولة بالكحول، لأن جواز الاستعمال محصور في حالة الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، ولايتوسع بها.

أما في الحالات التي لايمكن استبدال المستحضرات الصيدلية بأقراص أو كبسولة لصعوبة بلعها، فهنا يجوز استعمال الأدوية المحلولة بالحكول، ريثما تحل هذه المشكلة باجراء الدراسات باستئصال الكحول من المستحضرات، ونرى وجوب اصدار توصية للدول العربية والإسلامية بهذا الخصوص.

من الورع الابتعاد عن كل ما حرّم الله إلا لضرورة قصوى تقدّر بقدرها

العلاج بالأدوية المخدرة

ان الاحكام الشرعية تشمل جميع

المشروبات والمواد ذات التأثير المخدر على الجسم، وان لم ينتـه الى حـد الاسكار، كما جاء في تعـريف القرافي (٢١٧/١)، لما ثبـت في الحديـث الصحيـح الـذي رواه مسلـم (١٦٩/١٣) عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن البتّع، فقال: «كل شراب أسكـر فهـو حـرام» [وروى مسلم /١٣:١٧٢].

عن ابن عمر قال: قـال رسول الله ﷺ: «كـل مكسر خمر، وكـل خمر حـرام». وعن أم سلمة قـالت: «نهى رسـول اللـه ﷺ عن كل مسكـر ومفتر» [فيض القـديـر:٦/٢٣٨]. وروى موقوفاً عن ابن مسعود «أنه نهى عن كل مسكـر ومفتر». وعلى ضوء ذلك تبين مايلي:

١- يجوز استخدام المواد المخدرة لقتل الألم، عنـدمـا لايجد الطبيب بـديلا عنهاللضرورة، وهذا يـدخل تحت قاعدة (مـالايتم الواجب إلا به فهـو واجب) و(للـوسـائل حكم الغايـات) فالغايـة معالجة المريض وتسكين الألم الشـديـد واجـراء العمليـة الجراحيـة، وهي واجبـة ومشروعـة، فما توقـف عليها فهـو واجب.

٢- نبـارك الغـاء المستحضرات والمركبـات مـن المواد المخـدرة في الأدوية لسوء استعمالها وضررها.

٣- يجوز استخدام المواد المخدرة او المنبهة بـواسطة الاطبـاء في علاج المدمنين، كجزء مـن برنامـج العلاج التدريجي، بشروط الحالة السابقة.

٤- يجوز استخـدام الأثير أو الغـازات أو البنج لتخـديـر المريض لاجراء جراحـة له كما ورد الحكم في الفقرة الاولى

٥- يجوز استعمال مشتقـات الكوكايين كبنج مـوضعي للاسنان، وكذا مـاكان منها للـدواء في قطرات العين والأذن والبـواسير، أمـا استعمالها في غير الدواء فغير جـائز كالكريمات والمراهم.

قال القرافي: ويجوز تناول اليسير منها (المخدرات) وهـو مالايصل إلى التأثير في العقل أو الحواس، ويحرم تنـاول الكثير المؤثـر (الفـرق ٢١٨/١).

وأكـد ابن حجـر الهيثمي (ت٩٧٤هـ) في فتاويـه جـواز ذلك عند الشافعية، وأنه يجوز تناول كل طـاهـر لاضرر في أكلـه (الأشربة وأحكـامهـا ص٣٤١) ولأن الاطبـاء يـرون ان هـذه الامـور ضروريـة لاستمـرار الحياة بصـورة طبيعية للمـريض (بحث المواد المحـرمـة ص١٣).

التداوي بالدم والخنزير والحرير والذهب

أ- نقل دم الخنـزيـر، استقـرت الفتاوى على جوازه، فلانكرر ذلك.

ب- استخـدام أجزاء وعصـارات غدد الخنزير:

اتفق الحنفيـة والشـافعيـة والحنابلة على نجاسة عين الخنزير، وكذلك نجـاسة اجزائه وماينفصل عنـه، وقـال المالكيـة بطهـارة عين الخنزير حـال الحياة، لأن الاصل في كل حي الطهارة، والنجاسة عارضة، اما الخنزير الميت فهو نجس باتفاق، ووجه المالكية انه ليس محلا للتذكية اجماعـا فيكون ميتـة، وهـو نجس (الموسوعة الفقهية: ٢٠/٢٣-٣٤).

ويحذر بعض الاطباء المعـاصرين من الاستعمالات المختلفة للخنـزير، لانـه يحوي الـديـدان الـوحيـدة، والشعـرينـات، والـدهـون الغنية بـالكولسترول الـذي يسبب تصلب الشرايين والاحتشاء القلبي، ولحفظ الانسان مـن صفات الخنـزيـر التي تتمثل في اقبح الطبـائع والعـادات (مقال الدكتـور ضياء الدين جماس في مجلـة نهج الإسـلام، العـدد ٢٦س١٠ص١٢٠ بعنـوان: الادلـة العلميـة والطبيـة في تحريم لحم الخنزير، ومقال الاستـاذ محمد عبد السـلام يـونس في مجلـة الـوعي الإسـلامي، العـدد ٣٢٣ص٩٩،١٠٢بعنـوان: سر مجهـول في تحريم لحم الخنـزيـر، وبنـاء على ذلك تتفـرع الأحكـام التالية:

١- الأنسـولين المستخـرج من الخنزير باتفاق المذاهب، وخاصة انه يمكن استخـراج الانسلـوين من بنكريـاس الابقـار، والأنسـولين البشري بالهندسة الوراثية.

اما عند عدم توفر الاخيرين فيطبق عليـه حـالـة التداوي بـالمحـرمـات للضرورة بشروطها السابقة.

٢- شعر الخنزير: ذهب الجمهور إلى نجـاسـه شعـر الخنـزيـر وأنـه لايجوز استعمالـه وابـاح الحنفيـة شعـره للخـرازين للضرورة، وذهب المالكية إلى طهارة شعر الخنزير فإذا قص بمقص جاز استعماله، وكذا ان وقع القص بعـد الموت، لأن الشعـر لاتحلـه الحيـاة، ومالاتحلـه الحيـاة لاينجس بالموت، لكن يستحب غسله للشك في طهارته وزاستـه (الموسوعة الفقهية: ٢٠/٣٥)، ومادام انه توقف استعمالـه في الخرازة او فـرش الاسنـان فنـرى انه لاحـاجـة اليـه احتياطا.

٣- جلد الخنزير: يطبق عليه حكم الانسـولين، فـلا يجوز إلا عنـد الضرورة بشروطها السابقـة، ومنها عدم توفر البـديل من مصادر اخرى من الجلود.

٤- اذا توفرت مصـادر جديدة من غير الخنـزيـر لاستخـراج الجلاتين لتصنيع المحافظ الجافة (الكبسولات الصلبـة) فـلايجوز استعمال الجلاتين المحضر من الخنـزير، واذا لم يتوفر فيجوز استعماله للضرورة بشروطها على القول بجـواز التداوي بالمحـرمات للضرورة، أمـا استعمال الجلاتين (من الخنـزيـر) في تحضير بعض مواد الحلوى المعلبة والمحضرة فلا يجوز قطعا لنجـاسته بعد الموت باتفاق الفقهاء، ولعدم الحاجة إليه.

٥- نحيي التقـدم العلمـي في اكتشـاف الصمامات الصنـاعيـة أو الآدمية، والاستغنـاء عن الصمامات من الخنزير.

٦- شحم الخنـزيـر لايجوز استعماله شرعا في المراهم والكريمات ومـواد التجميل والصـابـون والمواد

نؤيد توصية منظمة الصحة العالمية بمنع استعمال الكحول في مستحضرات الاطفال والحوامل

الغذائية لنجاسته باتفاق الفقهاء، وعدم الحاجة والضرورة إليه.

ج ـ التداوي بالحرير: يحرم على الرجال لبس الحرير للاحاديث الصحيحة في ذلك، لكن يباح لضرورة عند جمهور الفقهاء غير المالكية لبس الحرير لدفع اذى من قمل ونحوه،أو لدفع مرض كجرب وحكة بدليل أن النبي ﷺ خص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في لبس الحرير لحكة كانت بهما، وقال المالكية: لايحل ولو لمرض، والاول هو الراجح للحديث وجاء في الموسوعة الفقهية ان ابا حنيفة يحرمه كالمالكية، واجاز المنسوخ.

اما المنسوخ من الحرير وغيره، فالحكم فيه عند الشافعية والحنابلة للاغلب منهما، ويكون الحكم للاكثر، لأن الحرير القليل مستهلك في غيره، وقال المالكية يكره المختلط بغيره كالخالص، وقال الحنفية: بجواز لبس القليل من الحرير لانه عفو (الفقه الإسلامي وادلته: ٣/٥٤٧-٥٤٩، الموسوعة الفقهيه ١٧/٢٠٦).

د ـ استخدام الذهب: يحرم استعمال الذهب للرجال والنساء في الأواني ووسائل الكتابة وادوات الزينة وغيرها باتفاق المذاهب، لما رواه البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان ان رسول الله ﷺ قال: «لاتشربوا في آنية الذهب والفضة، ولاتأكلوا في صحافهما، فانهم لهم (اي للمشركين) في الدنيا، ولكم في الآخرة».

ويستثنى من ذلك أمور يجوز فيها استعمال الذهب للضرورة والحاجة كصناعة الانف إذا قطع، والأسنان اذا سقطت، وهذا عند الجمهور خلافا لابي حنيفة، ويجوز طلاء الأدوات بالذهب إذا كان قليلا بأن لايحصل منه شيء بالعرض على النار، او الذي لايمكن فصلة شيء مادي فيه، ويجوز لحام الإناء بالذهب، وهو الضبة اذا كانت قليلة.

يحرم استعمال الذهب للرجال والنساء في الأواني ووسائل الكتابة وادوات الزينة وغيرها باتفاق المذاهب

والعلة في تحريم الذهب السرف والخيلاء به، والاصح في التعليل انه ثمن الاشياء، ويستعمل في النقد وأرصدة الدول، فلو ابيح استعماله لاثر ذلك في رواجه في الاسواق، وحصل الاضطراب والقلق والمضايقة الاقتصادية (الفقه الإسلامي وأدلته: ٣/٥٤٣ومابعدها، الموسوعة الفقهية: ٢١/٢٧٩ومابعدها).

المواد المحرمة والنجسة في الغذاء

١- لايجوز استعمال الكحول في المواد الغذائية، لانه نجس العين على رأي الجمهور، ولاحاجة له ولاضرورة في اذابة الزيوت الطيارة لكسب الطعم والرائحة وصناعة الشكولاتة.

٢- شحم الخنزير نجس العين باتفاق الفقهاء، ولايجوز استعماله إلا عند الضرورة الشرعية، ولاحاجة ولاضرورة له في الاجبان والزيوت والأيس كريم والبسكويت والصابون، ولذلك يعتبر حراما، ولايجوز استعماله في الأحوال العادية، وغيره يقوم مقامه بدون حرج.

٣- الانفحة: اتفق الفقهاء على طهارة الانفحة الصلبة، وهي المستخرجة من أمعاء العجول الصغيرة، ويجوز استعمالها للحاجة اليها في عمل الجبن (الفقه الاسلامي وأدلته ١/١٤٦و١٥٦و١٧٥).

٤- ٥ - جوزة الطيب والزعفران طاهران ويجوز استعمالهما، وسيأتي الكلام عنهما في المبحث الثاني.

أحكام المواد الملحقة بالبحث

إن الحكم على الشيء فرع من تصوره، والحكم على هذه المواد التالية الملحقة بالبحث يعتمد على امرين اساسيين، الاول: طبيعة هذه المواد وجوهرها، وهل هي نافعة أم ضارة؟ لتكون حلالا أو حراما، الثاني: مصلحة الانسان ومنفعته، ومايعود عليه بالخير والنفع أو الضرر والأذى عند الحاجة أولا، والضرورة ثانيا، ونستعرض هذه المواد.

١- الكولا: بما أنها نبات مخدر للجهاز العصبي، ويضر الإنسان في تسببه النسيان للاكل والالم، وبما ان اضرارها ثابتة في الادمان، فتعتبر حراما، لان الرسول ﷺ «نهى عن كل مسكر ومفتر» (فيض القدير ٦/٢٣٨، الاشربة واحكامها ص ٣٨٠).

٢- الأفيون - خشخاش - أبو النوم: ان أزهار هذه النبات تؤدي إلى التخدير فهي حرام لمادتها المخدرة، وقال ابن حجر الملكي، بأنها مسكرة، فهي حرام باتفاق الفقهاء، ويحرم تعاطيها، وتأخذ الاحكام المتعلقة بالحشيشة الآتية (الأشربة واحكامها ص٣٧٥،٣٧٧).

واما استعمالها طبيا كمسكن وعلاج فيجوز عند الضرورة، بأن يحتاج اليها المريض، ويصفها طبيب عدل ثقة،، ولايقوم مقامها، ولايوجد بديل عنها (الاشربة ص٣٧٩، تذكرة أولى الالباب ص٥٢، مقال حكم تعاطي المخدرات في الاسلام، للدكتور إحسان هندي، مجلة نهج الإسلام، عدد ٤٠س ١١ص٥٦).

٣- البنج - السكران: بما أن اوراق البنج مفتر، ويؤدي الى لوثة عقلية ثم الجنون، فضرره ثابت، ولذلك يعتبر حراما للنهي عن كل مسكر ومفتر، والنهي عن كل ضار «لاضرر ولاضرار».

أما استعماله طبيا كعلاج فيجوز عند الحاجة والضرورة كما سبق في الشروط والقيود (تذكرة ص ٨٣).

٤- بلاذر - بلادر: بما أن البذور أو الزيت أو الثمرة منه تؤدي إلى الاضرار بالانسان، ويسبب التقرحات في الجهاز الهضمي، وتقرحات الجلد، وانه مخدر ومنوم ايضا فهو حرام، ولايجوز استعماله،

لنهي النبي ﷺ عن كل مسكر ومفتر، ونهيه عن الضرر والاضرار.

أما استخدامه الطبي كعلاج فيجوز عند الحاجة إليه، وتوفر الضرورة له بشروطها السابقة (تذكرة أولي الألباب ص٨٣).

٥- القنب الهندي - الحشيش: هذا النبات من اشهر المخدرات باتفاق العلماء، وان استعماله يسبب الادمان والاضرار الجسميّة والعقلية، وانه اخطر من الخمر، واتفق الفقهاء على حرمته، وحرمة تعاطيه لضرره، وصده عن ذكر الله، وانه من الخبائث، وان كل مسكر حرام، ومأاسكر كثيره فقليله حرام، وأدلة اخرى.

واختلف الفقهاء في تناول القليل، فقال الجمهور من الحنفية والشافعية والمالكية يجوز تناول القدر اليسير الذي لايؤثر ولايضر، لأن تحريم المخدر لضرره لالعينه وان حديث «مأاسكر كثيره فقليله حرام» خاص بالأشربة المائعة، وقال الحنابلة بحرمة تناول القليل والكثير لعموم الادلة الواردة في النهي عن كل مسكر ومفتر ومخدر، وهذا مانرجحه سداً للذرائع، وحتى لايكون في أيدي الناس (الأشربة واحكامها ص٣٤١و٣٥١و٣٥٢).

٦- القات أو شاي العرب: اختلف العلماء في القات، فقال اكثر الفقهاء: انه حرام لما فيه ن آفات ومفاسد، وانه مفتر ومطرب، ولاضراره النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وانه على اقل تقدير من المشتبهات، وللنهي عن كل مسكر ومفتر، وقال بعض العلماء بجواز مضغ القات، وان اثره يقتصر على النشاط والروحنة والتقوية وطيب الخاطر والوقت، وانه لاضرر فيه، بل ربما يؤدي إلى زيادة العمل.

ونرجح القول الاول لأن أدلتهم أقوى، وانه يزيد التوتر العصبي والاثارة والاتجاه الى العنف والاضطراب، والتصرفات اللاإرادية وزيادة السهر والأرق والصد عن ذكر الله تعالى، ومن يزور اليمن الشقيق ولو لأيام، ويرى أثره الاقتصادي والاجتماعي لتأكد من ذلك، ولذلك حرمته كثير من الدول كالسعودية ومصر والسودان والمغرب وسورية، وندعو لاجراء بحوث ودراسات لتحليل وبيان أثره لقطع الشك باليقين.

٧- جوزة الطيب: ان بذور جوزة الطيب تؤدي إلى اضرار كثيرة، وانها في رأي الفقهاء مسكرة في تغطية العقل، دون شدة مطربة، فهي حرام، ولايجوز استعمالها، ولاحاجة لها في التوابل والأكل والمخللات، لان غيرها يغني عنها، واذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام الحلال.

(الاشربة واحكامها ص ٣٧١، وقارن تذكرة أولي الألباب ص ١١٠).

وذكر الأنطاكي استعماله في العلاج، وفي هذه الحالة يجوز كعلاج عند الحاجة والضرورة بالشروط السابقة، وبوصف طبيب ثقة عدل.

٨- شوكوران: اضراره كثيرة، وهو مخدر، ويحتوي على مواد سامة، ويستعمل قديما في الانتحار أو القتل، فهو حرام لثبوت ضرره.

٩- زعفران: أثره مفيد، ولاضرر في استعماله، فلا مانع منه، ويكون حلالا، ولعل ماذكره بعض الفقهاء بتحريمه لنبات آخر.

١٠- ست الحسن: لامانع من استعماله، لان اثره مفيد، ويجوز طبيا لانه خالٍ من الاضرار التي قد تحصل بسببه.

١١- تبغ- دخان- تباكو: اضراره كثيرة، ولاينتفع به لشيء، فالحكم الشرعي أنه حرام للحديث الشريف «لاضرر ولاضرار».

١٢- داتوره - بنج - منج: منوم ومخدر، ويسبب الوفاة فهو حرام للنهي عن كل مسكر ومفتر، اما استعماله الطبي فيجوز ضمن القيود والشروط التي ذكرناها (تذكرة أولي الالباب ص٨٤و ١١١و١١٢).

١٣- العنبر: بما ان تعاطي كمية كبيرة منه تكون مخدرة فكثيره حرام باتفاق، واما قليله فيكون فيه رأيان كالقنب الهندي والحشيش، والاولى تركه إلا لحاجة، واستعماله طبياً يجوز ضمن القيود والشروط السابقة (تذكرة أولي الألباب ٢٣٩).

١٤- حرمل: بذوه تحتوي على مايسبب الهلوسة، والاعتقاد بانه يمنع السحر والحسد مع البخور، وهذا اعتقاد باطل، وليس له استعمال طبي، فيجب تركه ويحرم استعماله.

١٥- عين الديك أو عين العفريت: اضراره متعددة، ولايوجد له استخدام طبي واستعماله لطرد الارواح الشريرة وهم، فالاولى تركه.

الخاتمة

١- بين الفقهاء المواد النجسة، وذكروا حكم استعمالها اولا، والتداوي بها ثانيا، وان الشريعة الغراء جاءت لتحقيق مصالح الناس، فلايجوز استعمال النجس والمحرم، ويجوز التداوي للضرورة.

٢- عرض الفقهاء احكام الضرورة الشرعية، ووضعوا الضوابط لها، وعندها تباح المحظورات لمصلحة الانسان.

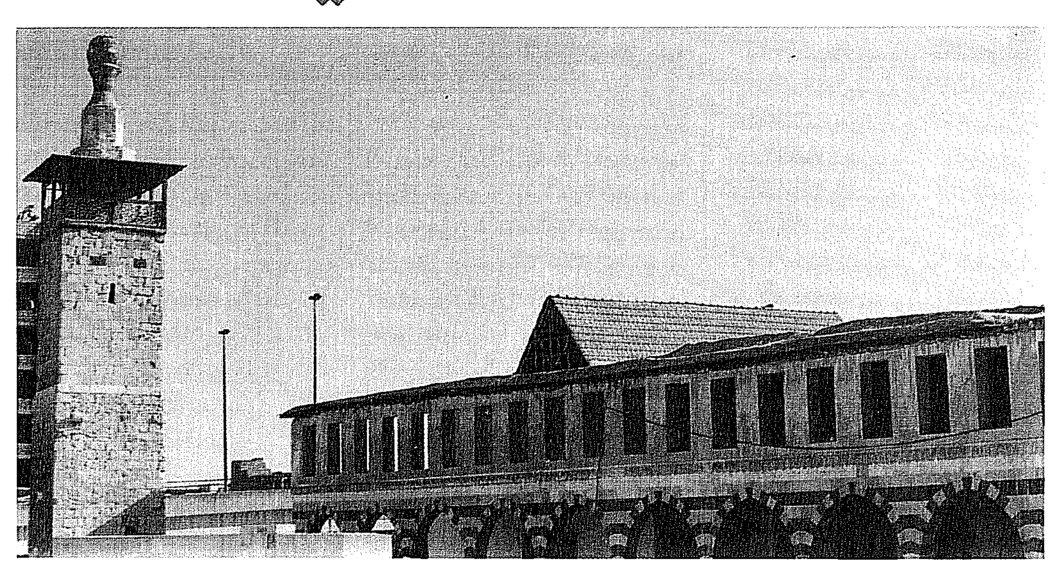
٣- نبارك الخطوات الطبية، ونشاط المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، واستعانتها بعلماء الشرع، وتحقيق التعاون مع منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونسيف.

٤- نناشد المسؤولين والعلماء في البلاد العربية والإسلامية لتأمين التحليل والمختبرات الخاصة، وتبني الغذاء الإسلامي، وصناعة الدواء الإسلامي، ووضع القيود والضوابط والانظمة التي تكفل ذلك.

٥- نؤكد ضرورة اصدار التوصيات اللازمة، وبناء جسور تعاون وتناصح مع منظمة الصحة العالمية، لوضع يدها على آراء الفقهاء ونتائج البحوث الطبية التي يجريها الخبراء المسلمون■

استعمال الكحول لخاصيته في قتل الجراثيم والميكروبات.. لامانع من امر مسموح به قدر الحاجة

المدارس الإسلامية في دمشق



● مشهد عام للمدرسة الشامية

قام المسجد في العصور الإسلامية الأولى بدور المدرسة لمختلف العلوم الدينية والدنيوية

قام المسجد في العصور الإسلامية الأولى بدور المدرسة لمختلف العلوم الدينية والدنيوية، ولكن مع انتشار الدعوة الإسلامية وازدياد عدد المسلمين بدأ التفكير بإنشاء المباني المتخصصة بعد أن ضاق المسجد عن تأدية جميع الأغراض المنوطة به، ولاسيما بعد أن تعددت فروع المعرفة وظهور التخصص في الدراسة، لذلك أنشئت المباني المستقلة عن المسجد من قبل السلاطين والامراء فكانت المدارس الإسلامية التي تحمل صفات معمارية متميزة تتناسب مع الهدف الذي أنشئت من أجله. وعرف المشرق الإسلامي منذ مطلع القرن الخامس الهجري العديد من المدارس حين قام الوزير السلجوقي نظام الملك بتشييد المدارس في عديد من المدن الإسلامية في بغداد والبصرة، وأصفهان ونيسابوروالموصل.

أما في سورية فيرجع الفضل في ذلك إلى السلطان نور الدين محمود زنكي الذي بنى المدرسة النورية وهي المدرسة الأولى في دمشق عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م والتي نسبت اليه. وقد استمر بناء المدارس بعد ذلك في العصور التالية وعدد النعيمي مايقارب من ١٠٠ مدرسة في دمشق في مطلع القرن العاشر، واشهرها العادلية والظاهرية والجقمقية. وتسابق الخلفاء والامراء في بناء المدارس ورصد الاوقاف الواسعة لخدمتها.

إعداد: وحيد تاجا – دمشق

والمدرسة السورية كمنشأة معمارية على اختلاف اشكالها يبقى تخطيطها متقاربا. فهي تتألف من قاعات للتدريس وحجرات للأساتذة والطلاب ومصلى وميضآت. وقد تتضمن مدفنا مقببا لمنشىء المدرسة، كما تتضمن إيوانا للتدريس صيفا.

المدرسة النورية الكبرى

تقع في سوق الخياطين بمدينة دمشق، انشأها الملك العادل نور الدين ابو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر، ووقفها على اصحاب الامام ابي حنيفة وبدأ بإنشائها عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م، وتمت بعد وفاته. للمبنى بوابة عالية ذات مصراعين خشبيين تعلو الباب كتابة من ستة أسطر بالخط النسخي، وهي تنص على الوقف المحدد للمدرسة.

صحن المدرسة مربع الشكل، رصفت ارضه بالحجر المزي والبازلتي، اما الحرم فهو مستطيل، سقفه من الخشب. وتعلو المدرسة مئذنة بسيطة وقصيرة. اهم مايميز المبنى (التربة) الموجودة في المدرسة وفيها دفن منشئها نور الدين، هو فخامتها، فهي مجهزة بقبة المقرنصات الرائعة. والضريح نادر تغطي سطحه زخارف جصية جميلة. ويلاحظ ان (التربة) متأثرة بالتيار الشرقي الذي تغلغل في الفن العربي الاسلامي ويظهر هذا في شكل القبة ذات الرأس الموشوري التي تمثل اجمل وابدع المقرنصات.

القبة تتألف من تسلسل طبقات من الخلايا الفراغية، يحيط بأسفل القبة رقبة مربعة الشكل، تحيط

بدائرة القبة ثلاث طبقات مستديرة من المقرنصات، ثم يلي ذلك قمرية لدخول النور والهواء. ويلاحظ ان المقرنصات الممثلة في هذه القبة بشكليها الرئيسيين عبارة عن ورقة مجوفة، والثاني عبارة عن رأس هرمي. وتمثل هذه (التربة) الفن السلجوقي الاصيل في العمارة الإسلامية. ويستعمل البناء حاليا كمسجد يعرف بمسجد النورية.

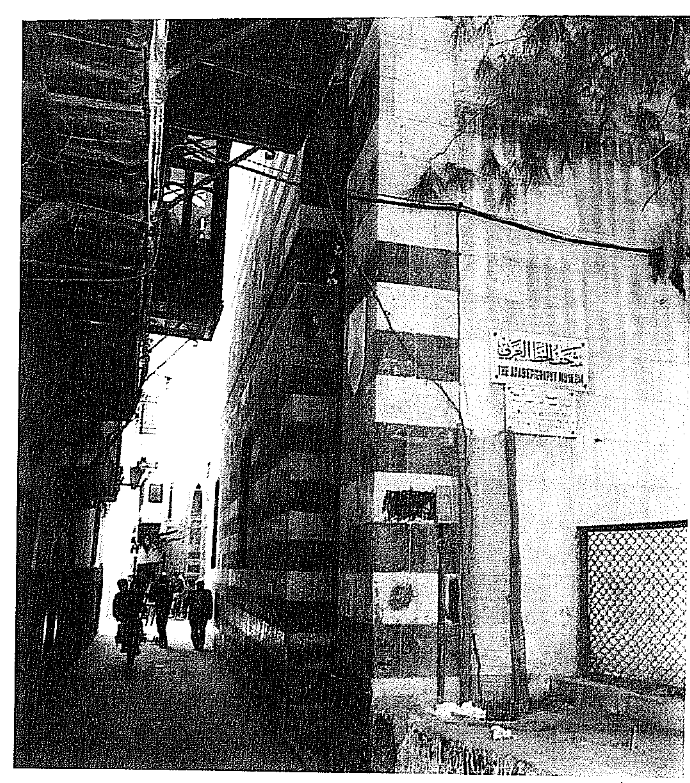
المدرسة العمرية الشيخة

تقع في الصالحية، جنوب جامع الحنابلة، تنسب المدرسة إلى منشئها الشيخ المجاهد ابي عمر احمد بن محمد بن قدامة المقدسي، بناها بعد انتهائه من بناء جامع الحنابلة.

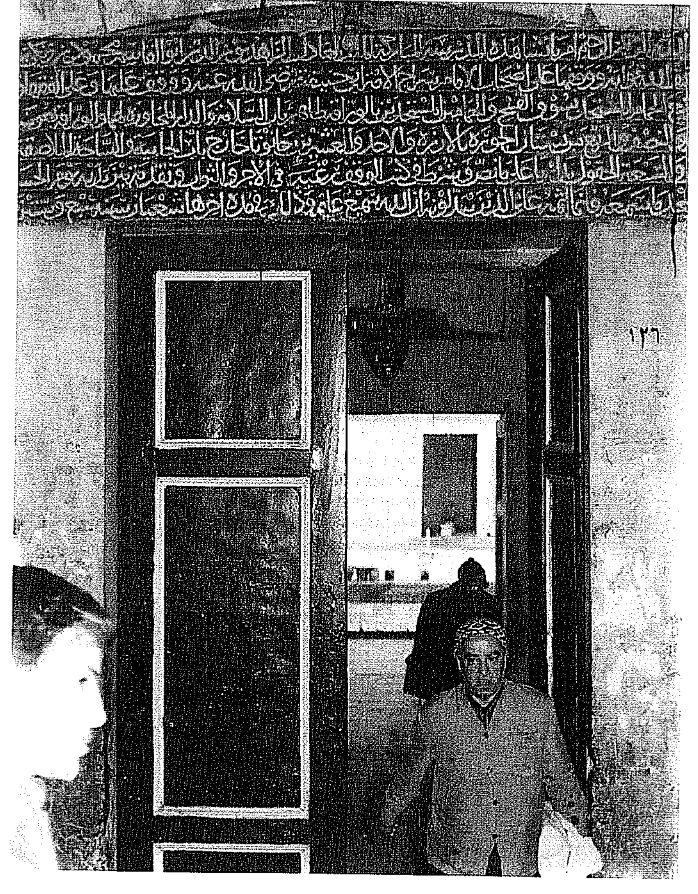
بدأ بإنشائها عام ٦٠٣هـ/١٣٠٦م، وتوفي عام ٦٠٧هـ/١٣١٠م. وأوقف المدرسة في البداية على علوم القرآن. وقد طرأت على المدرسة تجديدات وزيادات وترميمات في عهود مختلفة، فقد اضاف اليها القاضي جمال الدين المرادي، والامير ناصر الدين محمد بن منجك اجزاء عديدة عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، كما زاد فيها عدد من المحسنين حتى اصبح فيها ٣٦٠غرفة تضم ٥٠٠ طالب من طلاب العلم.

يدرس فيها جميع العلوم الدينية والدنيوية. وكان فيها قسم لتعليم العميان، وآخر لتعليم الاطفال. كانت للمدرسة اوقاف عديدة، لكن ايدي العابثين والمستهترين امتدت الى المدرسة وجرى التصرف بأوقافها والسطو على مكتبتها، يقول بدران في منادمة الاطلال: (وقد كان بها خزانة كتب لانظير لها،فلعبت بها ايدي المختلسين إلى ان اتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة احمال جمل من الكتب وفرَّ بها، ثم نقل مابقى، وهو شيء لايذكر بالنسبة لما كان في خزانة الكتب في قبة الملك الظاهر المكتبة الظاهرية بدمشق).

وقد انتهت المدرسة نتيجة ضياع



● مشهد جانبي للمدرسة الجقمقية



●مدخل المدرسة النورية الكبرى

كانت المدارس الإسلامية التي تحمل صفات معمارية متميزة تتناسب مع الهدف الذي أنشئت من أجله

اوقـافها واهمالها الى خـراب اجـزاء كثيرة منهـا وفقـدان الكثير من مبانيها. وفي الوقت الحاضر وضعت وزارة الاوقاف مشروعا لاعـادة بناء وتـرميم المدرسـة نظـرا لأهميتهـا القومية والتاريخية والدينية.

المدرسة الماردانية

تقع في حي الصـالحيـة الجسر الابيض بـدمشق، ولايـزال البنـاء يحافظ علي وضعه الايوبي الاصيل، انشـأتها عزيـزة الدين خـاتون بنت الملك قطب الـدين صاحب مـاردين، وهي زوجـة السلطـان الملك المعظم عيسـى، وذلـك عام٦١٠هـ/١٢١٣م، واوقفتهـا سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م ولم تدفن في وقفها ودفن فيها أحد أمراء المماليك اسنبك بن اذمـر عـام ٨١٦هـ/١٤١٢م. بنيت واجهـات المدرسة بـالحجارة، وتقـوم المئذنـة المربعة فـوق الواجهـة الغربيـة على طـرفهـا الشمالي. صحن المدرسـة صغير، مربع الشكل، تتوسطه بركة ماء مربعة.

الحرم مستطيل، جـدرانـه من الحجر المنحوت. سقف الحرم شكله هـرمي مصنوع من الخشب. تقـوم (التربة) في القسم الجنـوبي الشرقي من المدرسة، تعلـوها قبة مـؤلفة من مضلعين، الاول مثمن، والثـاني يتألف من ستة عشر ضلعا. تحولت المدرسـة الى مسجـد تقـام فيـه الصلـوات،ويقـام حـاليـا مشروع توسيعه من الجهة الشرقية.

المدرسة العادلية الكبرى

تقع في الشمال الغربي من الجامع الاموي بدمشق. بـدأ بتشييدها الملك العادل سيف الـدين ابو بكـر محمد بن ايـوب عـام ٦١٢هـ/١٢١٥م، وأتمهـا ابنـه الملك المعظم من بعـده، ونقل اليهـا رفـات والـده عام٦١٩هـ/١٢٢٢م. ويشبـه مخططهـا تخطيطات مـدارس حلب الايوبيـة. الحرم مستطيل، جـدرانه من الحجـر المنحـوت، سقف الحرم شكله هرمي مصنوع من الخشب.

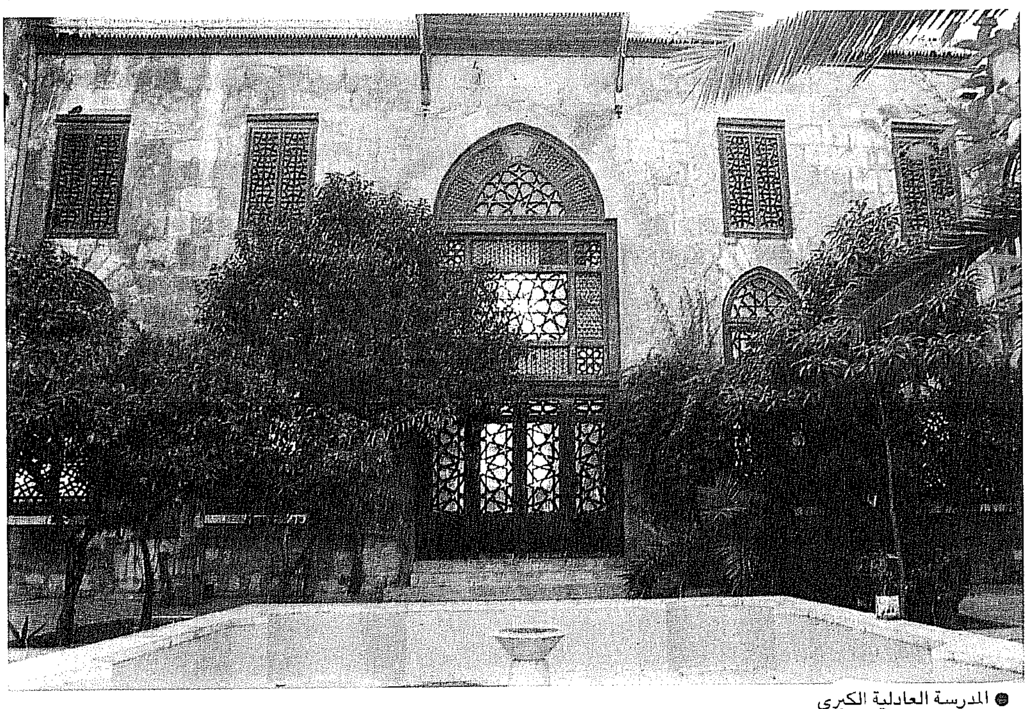
تتوسـط الواجهـة الشرقية بـوابة المدرسـة المؤدية الى دهليـز يطل على صحن المدرسـة المربـع الشكل، وتتـوسطه بـركة مـاء.يقع المصلى في جنـوب الصحن امـا الإيـوان الكبير فيقع في شماله، في حين غرفة الاستاذ تقع في غـربـه تجاه المدخل، وكـانت غرف الطلاب في شرق الطـابق الثاني وفي غربه.

أمـا (تـربـة) الملك العـادل فهي في زاويـة المدرسة الجنـوبية الشرقيـة، بناؤها من الأحجار المنحـوتة اما قبة (التربة) فتقوم على قـاعدة مثمنة من الخارج،وتحتهـاأربع زوايـا بـارزة مثلثة الشكل، ومـزينة بالمقـرنصات من الداخل. كـانت المدرسة العـادلية أول مقر للمتحف الـوطني في دمشق حين تأسيسـه عـام ١٩١٩م، ثم أصبحت فيما بعـد مقـرا للمجمع العلمي العربي الى وقت قريب قبل أن ينتقل الى مقره الجديد.

المدرسة الشامية

تقع في محلـة سـوقسـاروجـة بـدمشق تضم مسجـدا و(تـربـة) انشأتها ست الشام ابنـة نجم الدين ايـوب ابن اخت الملك الناصر صـلاح الدين حـوالي سنة ٥٨٧هـ/ ١١٨٩م

عدّد النعيمي مايقارب من ١٠٠ مدرسة في دمشق في مطلع القرن العاشر



● المدرسة العادلية الكبرى

المدرسة الجقمقية من اجمل المدارس في زخرفتها وتصميمها وهي تختص بميزات فــن العمارة المملوكية



● ساحة المدرسة الماردينية

وتــــوفيت عــــام ٦١٦هـــ/١٢١٩م،ودفنت في (تربتها).

وقد وقفت على العلماء المتفقهة من اصحاب الامام الشافعي. للمدرسة صحن واسع، متسطيل الشكل، تتوسطه بركة حجرية. الحرم يتقدمه رواق له اقواس ترتكز على دعائم حجرية، ويرتفع فوق المبنى مئذنة حجرية مربعة الشكل. اهم مايميز البناء (التربة) المسقوفة بعقود متقاطعة، تزينها كتابات ونقوش جصية جميلة.

في (التربة) ثلاثة قبور: لمنشئة المدرسة وابنها حسام الدين، والثاني لزوجها الأمير محمد بن شيركوه، والثالث لأخيها توران شاه. وعلى القبور الثلاثة كتابات تاريخية.

يستعمل البناء حاليا كمسجد يعرف بجامع الشامية.

المدرسة الجقمقية

تقع الى الشمال من الجامع الاموي بدمشق، بجوار (تربة) صلاح الدين. انشأها نائب الشام الأمير سيف الدين جقمق عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م، لتكون خانقاه (وتربة) له ولوالدته، مكان مدرسة قديمة احرقت وقت استباحة تيمورلنك لدمشق. لكن بناءها لم يكتمل إلا سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م كما تنص على ذلك الكتابة التاريخية على باب المدرسة وواجهتها:(في شهور سنة اربع وعشرين وثمانمائة).

اوقف لها منشئها اوقافاً عديدة، وعين لها مدرسين، وبقيت المدرسة ركناً للتعليم في دمشق الى وقت قريب، حتى اصابتها احدى الطائرات المغيرة على دمشق فتهدم قسم كبير منها اثناء الحرب العالمية الثانية عام١٩٤١م. وقد تم ترميمها عام ١٩٧٢م. وجعلت مقرا لمتحف الخط العربي.

تعد المدرسة الجقمقية من اجمل المدارس في زخرفتها وتصميمها، وهي تختص بميزات فن المماليك في العمارة، من حيث هندسة البناء، وزخرفته، إذ أن تصميمها يتبع نظام التعامد، ويشتمل على صحن في وسطه بركة ماء، تحيط به اربعة أواوين، قائمة على اعمدة ضخمة، ذات تيجان منحوتة وفوقها اقواس، تحمل قناطر صغيرة مزدوجة مزينة بزخارف جميلة، ليستند السقف عليها.

(تربة) الواقف في ركن الزاوية الشمالية الشرقية، يعلوها قبة محمولة على اربعة اقواس تغطي زواياها المقرنصات. يعد المصلى اهم اقسام المدرسة، وكان يستخدم للصلاة والتدريس، يتوسط جدارها القبلي محراب رخامي جميل.

جدران المصلى (والتربة) مزينة بمجموعات غنية من الزخارف المرمرية المنقوشة والمحفورة والمطعمة والكتابة الجميلة الملونة. للمبنى جبهتان مبنيتان بالأحجار الملونة، يزينهما شريط كتابي.

الأولى شمالية، وفيها المدخل الرئيسي، وهو مرتفع تعلوه مقرنصات بديعة، ونصف قبة مضلعة، والثانية شرقية فيها نافذة يعلوها صف عريض من الكتابة تمتد على كل الجبهة كما تزينها مقرنصات جميلة ■



السعودية جمعت ١٠٨ ملايين دولار

بلغت حصيلة تبرعات حملة التضامن السعودية مع شعب البوسنة والهرسك ١٠٨ ملايين دولار.

وقال رئيس الهيئة العليا لجمع التبرعات الامير سلمان بن عبد العزيز: إن هناك العديد من التبرعات العينية مثل الذهب والمجوهرات والمواد الغذائية والطبية سيعلن عن تفاصيلها في وقت لاحق.

وافتتح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الحملة بتبرعه بـ ١٣ مليون دولار وأشرف على الحملة التي نفذتها الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة وهدفت الحملة التي جاءت على هيئة برنامج مفتوح بالتلفاز الى حث المواطنين والمقيمين على التبرع ماديا وعينيا.

وكان الملك فهد قد دعا المواطنين الى دعم المسلمين البوسنيين الذين يقفون في وجه العدوان الصربي الذي يتعرضون له.

مسابقة دولية في تلاوة القرآن

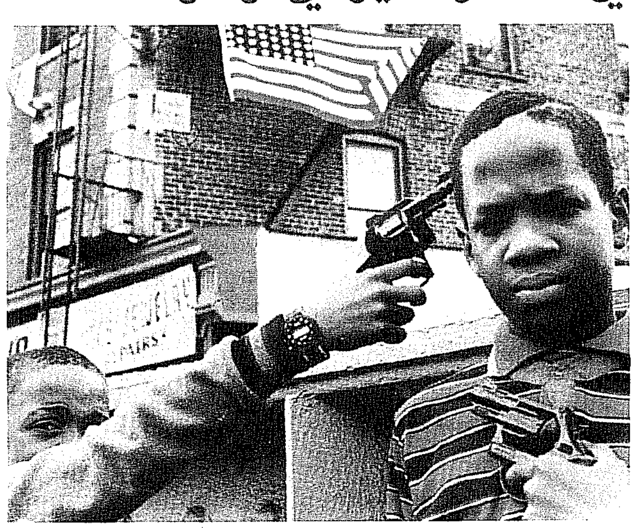
أُعلن عن تنظيم المسابقة الدولية الثامنة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره في الثاني من مارس المقبل بمشاركة ٤٣ دولة اسلامية اضافة لمنظمات اسلامية في الدول غير الاسلامية.

ونقلت وكالة الانباء السعودية عن وكيل وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة السعودي الدكتور عدنان الوزان قوله: إن المسابقة التي تقام سنويا في رحاب المسجد الحرام بمكة المكرمة تتضمن خمسة فروع.

وأوضح الوزان أن الفرع الأول يشمل حفظ القرآن الكريم كاملا مع التلاوة والتجويد وتفسير الجزء الـ ١٥ من المصحف فيما يتضمن الفرع الثاني حفظ القرآن كاملا مع التلاوة والتجويد.

واضاف أن الفرع الثالث يشتمل على حفظ ٢٠ جزءا من القرآن مع التلاوة والتجويد أما الفرع الرابع فيتضمن حفظ عشرة أجزاء مع التلاوة والتجويد وأخيراً يشتمل الفرع الخامس على حفظ خمسة أجزاء مع حسن التلاوة.

العنف في التلفاز الأميركي ارتفع ٤١٪



ذكرت دراسة اعدها مركز الدراسات الاعلامية والشؤون العامة في الولايات المتحدة أن المشاهد الاميركي يتعرض لـ ٢٦٠٥ من مشاهد العنف على الشاشة الصغيرة كل ١٨ ساعة من العرض التلفزيوني اليومي.

وأوضح المركز بعد رصد عشوائي لأحداث العنف في التلفاز ان مشاهد العنف ارتفعت بنسبة ٤١٪ عما كانت عليه عام ١٩٩٢م.

الافتاء تجيز المشاركة في المناسبات الإسلامية

أَصدرت الإدارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية فتوى بجواز المشاركة في إحياء مناسبة الهجرة النبوية والمولد النبوي والاسراء والمعراج.

وقالت إدارة الافتاء في ردها على سؤال حول الحكم الشرعي للاحتفال بهذه المناسبات: إنه لامانع شرعا من المشاركة في احياء مناسبة الهجرة النبوية والمولد النبوي والاسراء والمعراج، وذلك بالقاء المحاضرات الخاصة بموضوعاتها ولامانع من تخصيص أيامها من كل عام.

واشترطت الفتوى عدم الاعتقاد بأن إحياء هذه المناسبات يعتبر من السنة أو التعبد بها.



القدس الشرقية تعاني من الاهمال الشديد

صدر تقرير عن بلدية مدينة القدس أوضح أن القسم الشرقي من المدينـة يعـاني من ضعف شديد في البنية الاساسية والخدمات، وان هناك فـارقا كبيرا بين شرق القـدس وغربها، ويلـزم تـوفير ٨٠ مليـون دولار لسـد هـذه الفجـوة، واشار التقـرير إلى ان هنـاك نقصا شـديدا في المناطق المخصصـة لبناء المساكن وسوء حـالة الطرق والبنيـة الاساسيـة الخاصـة بـالصرف الصحي وعـدم وجود فصـول دراسية كـافية حيث يلزم ايجاد ٣٤٥ فصـلاً للتلاميـذ العرب كما أنه لاتوجد مراكز اجتماعية لتقديم الرعاية لكبار السن والشباب.

الهند تمتنع عن دفع رواتب أئمة المساجد

ذكرت مصـادر حكومية هنديـة في (نيودلهي) ان الحكومـة قررت عـدم دفع رواتب أئمة المسـاجد التي يـديرهـا مجلس الوقف التـابع لوزارة الاوقاف الهندية.

وقال وزير الـرعاية الاجتماعية (سيـلارام كيساري) للصحافيين: إنَّ حكومتـه قررت عدم التدخل في الشـؤون الدينية للطائفـة المسلمة مشيراً إلى أن مجلسُ الـوقف المركـزي اوصـاهـا بعـدم منح الائمـة رواتبهم. واضـاف أن المحكمة العليـا الهنـدية طلبـت من الحكومـة الفيـدراليـة دفع الـرواتب إليهـم وأن العـديـد من الـزعماء المسلمين عارضوا ذلك. وذكر (كيساري) أن هذه المسألة كونها ستكون سابقة خاطئـة وهذا القرار من شأنـه أن يؤثر على مختلف الطوائف الـدينية . فلن تقدم الحكومة على خوض هذه القضية.

وأوضح ان دفع رواتب لـلائمـة لايتماشى مع الطبيعـة العلمانيـة للحكومة.

سكان الرياض ٣ ملايين نسمة

تجاوز عدد سكـان العاصمـة السعودية (الـرياض) ثـلاثة ملايين نسمـة بمعدل نمو سنـوي يزيـد على ٨ في المائة نظرا لارتفاع معـدل الهجرة الـداخلية والـزيادة الطبيعيـة في عدد السكان.

وذكرت دراسة سكانيـة للهيئة العليا لتطوير مدينـة الرياض مؤخرا أنَّ سبعين في المائة من الزيـادة في عدد سكان الرياض من السعوديين.

وتقـول الدراسـة: إن نسبـة تـزايد السكـان السعـوديين في الـرياض تبلغ ٨,٨ في المائة سنـويا وغير السعـوديين ٦,٩ في المائة، الامر الذي يؤدي الى تباين آخر في المزيج السكاني حيث يشكل السعـوديـون حـاليـا ٦٦ في المائة من اجمالي سكـان المدينة بزيادة ٥ في المائة عما كانوا عليه قبل عشر سنوات.

ويقدر عـدد الذين يفـدون سنويـا للعمل بالـرياض من غير السعـوديين بحـوالي اربعين الف نسمـة مقـابل مـائة الف سعودي من مختلف مناطق المملكة.



كل خمس ساعات ينتحر نمساوي!!

ذكرت دراسة احصائية نشرتها دائرة الاحصاءات المركزية النمساوية أن النمسا تشهد حالة انتحار كل خمس ساعات.

واضافت الدراسة : أن عدد النمساويين المنتحرين بلغ ١٧٧٦شخصاً عام ١٩٩٤م اي بزيادة قدرها ٧٢ حالة مقارنة بعام ١٩٩٣م.

واشارت الدراسة الى ان عدد القتلى نتيجة الانتحار في النمسا فاق عدد القتلى في حوادث المرور والسير في العام الماضي والذي بلغ ١٣٣٦ قتيلاً واوضحت ان معدل الانتحار شهد تراجعا نسبيا مقارنة بالثمانينيات عندما كان اكثر من ٢٠٠٠ نمساوي ونمساوية يختارون الموت طوعا سنويا.

وسجلت دائرة الاحصاءات المركزية أعلى رقم قياسي للمنتحرين في النمسا حتى الآن عام ١٩٨٦م عندما بلغ ٢١٣٩ حالة آنذاك.

السرقات ازدادت ١٦٪ في لندن

انخفضت معدلات الجريمة في العاصمة البريطانية خلال العامين الماضيين بنسبة أحد عشر في المائة. وذكر تقرير لشرطة (سكوتلانديارد) أن ذلك هو أكبر انخفاض تشهده العاصمة البريطانية خلال الاربعين عاما الماضية وان كان حجم السرقات في الشوارع قد ارتفع بنسبة ١٦٪عن العام الماضي.

١,٥ مليون لاجىء في تنزانيا

بلغ عدد اللاجئين الذين منحتهم تنزانيا المأوى على مدى الاربعين عاما الماضية اكثر من مليون ونصف مليون لاجيء.

وذكر جونسون ابراهيم رئيس ادارة اللاجئين ان هذا العدد يقل عن التقديرات الحقيقية نظراً لان كثيرا من اللاجئين يتسللون عبر الحدود المترامية الاطراف دون أن يتم تسجيلهم.

جاء ذلك في بحث ألقاه رئيس ادارة اللاجئين امام الندوة الدولية الدائرة حاليا بشأن أزمة اللاجئين في منطقة البحيرات الكبرى.

وأوضح أنه يوجد في تنزانيا الآن حوالي مليون وأربعمائة الف لاجيء خمسون في المئة منهم يعيشون في مخيمات مؤقتة في منطقتي «كيجوما وكاجيرا».

حليقو الرؤس ينشرون الرعب في المدن الاسبانية

تنشر مجموعات من حليقي الرؤوس اليمينيين المتطرفين الرعب في المدن الاسبانية بارتكاب أعمال متناهية في الوحشية.

فمع حلول الظلام ولاسيما خلال عطلات نهاية الاسبوع ينطلق هؤلاء الشباب الى الشوارع ويبدؤون أعمال العنف، والضحايا الأسعد حظاً هم ممن يكونون في حالة تسمح بنقلهم للمستشفى اما الاخرون فيلقون حتفهم.

وقام حليقو الرؤوس مؤخراً بطعن شرطي شاب في برشلونة اثناء عودته الى المنزل بصحبة زميل له.

وقتل رجل الشرطة غير المسلح الذي كان يرتدي زياً مدنياً لانه رفض دفع أتاوة لحليقي الرؤوس.

وكتبت صحيفة «كامبيو١٦» الاسبوعية مؤخرا عن حليقي الرؤوس في البلاد تقول: إن أعدادهم تتزايد وينضم اليهم عدد أكبر من الشباب ويجنحون للعدوان بدرجة أكبر وأعمال العنف التي يقومون بها تستهدف الجميع. والان فان أي شخص من الممكن أن يكون ضحية لهم، وقد يكون ارتداء قميص« تي شيرت» عليه شعار احدى المنظمات المعنية بشؤون البيئة أو يبدو مظهره أجنبيا سببا كافيا لاستثارة غضبهم واذا شعر حليقو الرؤوس بأن شخصا مايحدق فيهم فإنهم يهاجمونه.

ولايبدو أن ثمت ايديولوجية تدفعهم ولكن دافعهم هو حنين جماعة هامشية متطرفة الى تعذيب الآخرين. ووصف طبيب بأحد المستشفيات يقوم بعلاج ضحايا مرتكبي هذه الهجمات بأنهم أشخاص مضطربو التفكير لابد أن يكونوا مجانين لكي يشنوا هجمات مثل هذه. وقالت صحيفة (لافانارديا) التي تصدر في برشلونة:«لا ينبغي أن يبحث المرء عن دوافع ايديولوجية راسخة لدى حليقي الرؤوس».

وأضافت الصحيفة في سخرية إنهم يفكرون بقدر ماتحمل رؤوسهم من شعر.

٦٨ مليون نسمة عدد سكان مصر

يتوقع ان يصل عدد سكان مصر في منتصف عام ٢٠٠١م الى حوالي ٦٧ مليونا و٩٢٣ ألف نسمة.

وذكرت احصائية صادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء أن عدد السكان سيكون في منتصف العام المقبل ٦٠ مليونا و٦٠٣ الاف نسمة.

١٦ ألف أميركي فئران تجارب إشعاعية!!

أعلنت وزارة الطاقة الاميركية أن ١٦ ألف شخص بينهم نساء وأطفال استخدموا في الولايات المتحدة بوصفهم عينات في تجارب طبية اشعاعية. وهذا الرقم يمثل ضعفي التقديرات التي أعلنت سابقا حول هذه التجارب التي اجريت منذ الحرب العالمية الثانية حتى اواسط السبعينيات. وأكد وزير الطاقة (هازال اوليري) أن معظم هذه التجارب كان الهدف منها تحقيق «نجاحات في المجال الطبي» لكنه أقر مع ذلك بأن هذه المسألة تتضمن (جانبا غامضا) وأحصت وزارة الطاقة في الاشهر الـ ١٨ الأخيرة ٤٣٥ تجربة تعرض فيها بشر للاشعاعات، واعتبرت مساعدة الوزير (تارا اوتول) ان نحو ١٠ في المئة من التجارب الـ ٤٣٥ تطرح «مشاكل اخلاقية مقلقة» وأشارت بشكل خاص الى بعض التجارب التي أجريت على أطفال وسجناء أو متخلفين عقليا أو أيضا أجنة تم اجهاضها لكنها أكدت في الوقت نفسه ان هذه التجارب ساعدت في تقدم العلم خاصة في معالجة مشاكل الغضروف لدى الاطفال وفي تشخيص امراض القلب والسرطان.

٦آلاف مسلم فقدوا في شرق البوسنة

قال الصليب الاحمر: إنه يعتقد أن ستة آلاف مسلم فقدوا في شرق البوسنة ولكن لاتوجد لديه أدلة تعزز اعتقاد الولايات المتحدة بارتكاب صرب البوسنة عمليات اعدام جماعية ونشرت الولايات المتحدة صورا قالت انها تمثل دليلا قويا على مقبرة جماعية حفرت حديثا دفن فيها آلاف المسلمين الذين قتلوا بالمدافع الرشاشة خارج (سربنيتشا) التي اجتاحتها قوات صرب البوسنة في يوليو الماضي وقال (كورنيليو سوماروجا) رئيس اللجنة الدولية للصليب الاحمر في سراييفو عندما سئل عن ادعاء الولايات المتحدة بوجود مقبرة جماعية« ليس لدينا دليل على ذلك» (نقدر ان ستة آلاف شخص على الاقل مفقودون) في شرق البوسنة. ويعتمد الصليب الاحمر في تقديره على مقابلات موسعة مع نساء من (سربنيتشا) وزيبا. وفي لندن قالت منظمة العفو الدولية ان قوات صرب البوسنة ارتكبت سلسلة انتهاكات خطيرة لحقوق الانسان ضد المسلمين الذين كانوا يحاولون الفرار من منطقة (سربنيتشا). واصدرت المنظمة التي يوجد مقرها في لندن تسلسلا زمنيا للانتهاكات التي اعقبت احتلال صرب البوسنة سربرنيتشا مما دفع المسلمين الى النزوح بشكل جماعي من البلدة. وقالت المنظمة في بيان بعد عودة وفد تابع لها لتقصي الحقائق من البوسنة (ارتكبت قوات صرب البوسنة سلسلة مفزعة من انتهاكات حقوق الانسان ضد المسلمين الذين حاولوا الهروب من جيب (سربرنيتشا) في منتصف يوليو الماضي. ومازال مصير آلاف كثيرين من الرجال بما في ذلك صبية لاتتجاوز أعمارهم ١٢ عاما غير معروف وربما يكونون قد قتلوا بشكل متعمد أو بشكل تعسفي. وقالت المنظمة: إن الأدلة التي جمعها وفدها عززت تقديرات تقول ان مايصل إلى أربعة آلاف رجل مفقودن. وأضافت أن الادلة (تشير الى انتهاج سلطات صرب البوسنة سياسة متعمدة لاعتقال كل المدنيين الذكور الذين بقوا في سربرنيتشا).





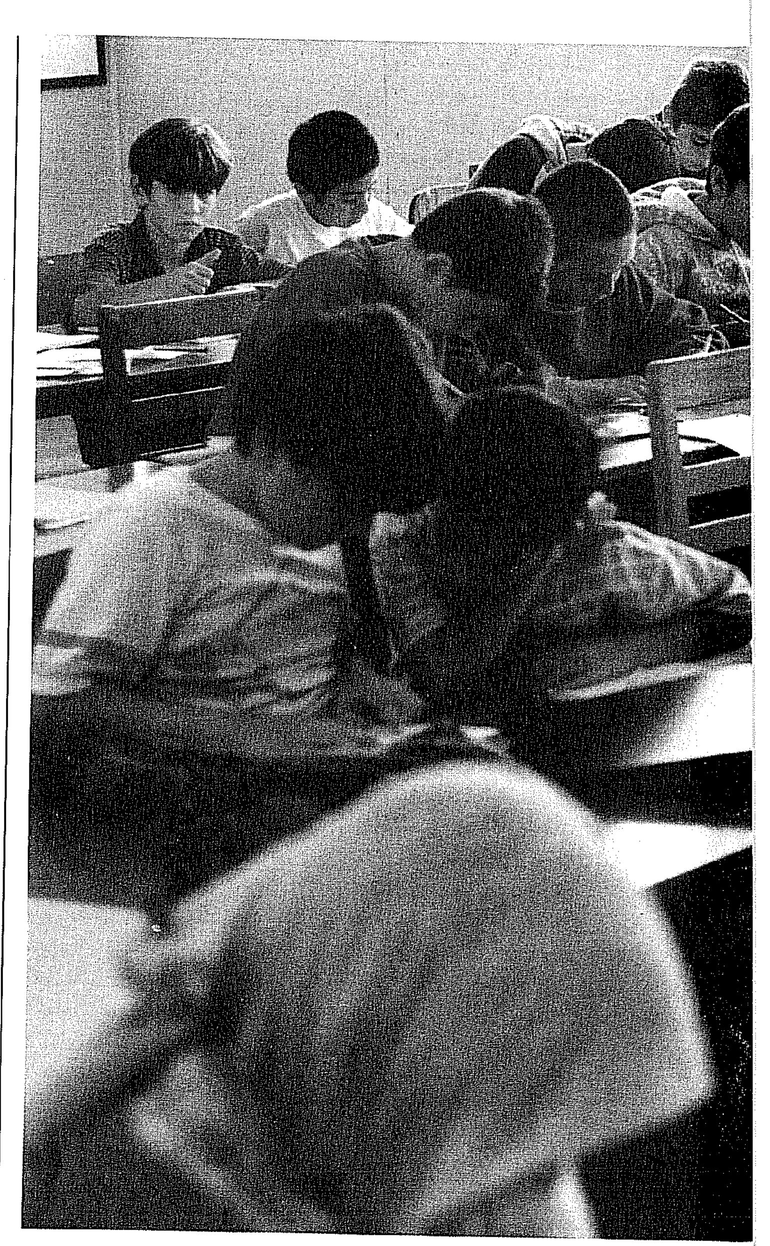
● الشيخ / علي التون صوي

التعليم يحدد مستقبل الجاليات

الشيخ علي ألتون صوي الحوار باب التفاهم

هموم المسلمين كثيرة، واحتياجاتهم متعددة، وبالرغم مما يبدو على السطح من مآس يظن أحدنا أنه لا حدّ لها، وتشع بين فترة وأخرى منارات أمل هنا وهناك، تؤكد القاعدة في أن المستقبل لهذا الدين، فالانتشار الإسلامي العالمي، والنجاحات التي تحققها الجاليات الإسلامية، والتقدم الذي يحرزه أفراد مسلمون ناجحون في ميادين تخصص علمية وتقنية وطبية، شواهد على ذلك..

ومن الجاليات المسلمة النشطة والمتميزة الجالية الإسلامية في استراليا، وللاستفهام عن واقع التعليم - الذي يشكل حجر الزاوية في أي عمل مستقبلي - التقينا رئيس المنظمات الاسلامية الاسترالية: الشيخ / علي التون صوي (Ali Altunsoy) فكانت هذه الجولة:



متابعة / د. صلاح الدين أرقه دان

سألنا الشيخ/ عن تاريخ الوجود الإسلامي في اوستراليا وتطوره فقال:

أول من دخل أستراليا من المسلمين مجموعة من الأفغان، وأسسوا مسجدا في ولاية (آداليد)، ثم ذاب أبناؤهم داخل المجتمع الاسترالي وتحوّلوا إلى النصرانية، ومعنى ذلك أن الجيل الأول أهمل تربية الأولاد بالرغم من اهتمامهم بالشعائر وإقامة المسجد الذي أغلق أبوابه لاحقا لعدم وجود مسلمين هناك.. ومن الجدير بالذكر أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني انتدب بعثة في عهده أوكل إليها التجوال في استراليا ثم كتابة تقرير عن أحوال المسلمين فيها، وعن الإدارة الإنكليزية هناك. ومن المعلوم أن البريطانيين كانوا بصدد العدوان العسكري على الدولة العثمانية، الأمر الذي أدى إلى اشتباكات مسلحة داخل استراليا نفسها، هدف الأتراك من ذلك تعطيل مشاركة قوات استرالية في العدوان على السلطنة، وما زالت مقبرة شهداء المسلمين الأتراك ماثلة للعيان في استراليا تروي قصة هذه المواجهة..

أما الجالية الإسلامية الحالية، فأكثرها من الأتراك والعرب (وبشكل خاص اللبنانيون والمصريون والفلسطينيون)، وبعض الجنسيات الأخرى ولكن بنسب قليلة كالبوسنيين والأفغان والبنغاليين إلخ..

ويقرب عدد الجالية الاسلامية حوالي مليون نسمة، ولا يوجد لدينا إحصاء دقيق، فالسلطات الأسترالية توقفت عن ذكر المسلمين في الإحصاءات الرسمية بعد عام ١٩٧٠م، وتبين في الاحصاء الرسمي الأخير أن عددهم ١٩٠ ألف فقط، وهذا رقم غير دقيق..

تنظيم صفوف الجالية

وعن تنظيم الجالية يقول الشيخ/ علي:

لقد نظم المسلمون صفوفهم بجهود الأئمة والدعاة، وبمبادرات شخصية - في أغلب الأحيان - وأكثر المهاجرين المسلمين إنما جاؤوا بهدف كسب العيش فقط، ولم يكن بينهم أئمة ولا دعاة متفرغين مكلفين من الحكومات أو أية جهة شعبية في الوطن الإسلامي، بينما جاءت الجاليات الأوروبية المهاجرة، كالإيطالية والألمانية والبريطانية، بشكل منظم يرافقها قسس ورجال دين مكلفين رسميا من الكنائس التي تتبع لها هذه الجاليات.. وعلى سبيل المثال كان لكل (٥٠) مهاجر بريطاني قسيس، مما يجعل الصورة واضحة في كيفية حفاظ هؤلاء على هويتهم الدينية بينما احتاج المسلمون إلى عدد كبير من السنوات والمعاناة لتحقيق الهدف نفسه..

الحوار والتفاهم بابنا للوحدة

وعن التنوع وتعدد الجنسيات والقوميات الأصلية داخل الجالية الإسلامية الأسترالية، وكيفية معالجة ذلك قال الشيخ/ علي:

لقد شهدت الساحة الإسلامية في استراليا في السابق خلافات حادة وتنافرا بين الجماعات المختلفة، ولكننا

أول من دخل أستراليا من المسلمين مجموعة من الأفغان

ذهنية الانفتاح

الشيخ / علي التون صوي من مواليد تركيا عام ١٩٥٥م، تخرج من جامعة (أم القرى) بمكة المكرمة عام ١٩٨٢م، وعمل مترجما ومديرا للعلاقات الخارجية في اكثر من شركة بالمملكة العربية السعودية قبل ان يشتغل سنتين في (رئاسة الشؤون الدينية) في تركيا.. وفي عام ١٩٨٩م هاجر إلى أوستراليا للعمل في ميدان الدعوة داخل صفوف الجالية التركية فيها.. وعمل خطيبا في أحد مساجد ولاية (فكتوريا) من عام ١٩٨٩ وحتى عام ١٩٩٣م..

وشكل ذلك مفترقا مهما في عمله كداعية وفي تغيير الأسلوب السائد، فقد كان المسجد يتبع (الجمعية التركية) وبالتالي كان النشاط شبه محصور بأبناء الجالية التركية فقط، واقترح الشيخ علي على إخوانه تحويل الجمعية إلى (الاتحاد الاسلامي في داندينغ) ولقي كل تشجيع لاسيما من الشيخ / احمد بوزلار، وكان تغيير الاسم ببساطة يعني تغيير المنهجية، فقد أقبل أبناء الجنسيات الأخرى على المسجد، وقد تم إحصاء أكثر من عشرين جنسية مختلفة منهم: أتراك، ولبنانيون، ومصريون، وأفغان، وباكستانيون، وصوماليون، وبوسنيون، وألبان، واستراليون إلخ..

ومن طريف ما وقع أن الخطبة نفسها كانت تلقى بثلاث لغات: العربية والتركية والإنجليزية، تأخذ كل لغة ما بين ١٠-١٥ دقيقة، تحقيقا لمفهوم الانفتاح الذي اختطه الشيخ.

تمكنا - والفضل لله تعالى - مؤخرا من التوصل إلى الحد المقبول من التفاهم والتنسيق فيما بيننا..

وفي برامج الجماعات المتعددة زيارات متبادلة للمساجد والمدارس والمراكز الإسلامية، وتبادل الخبرات، والمشاركة في نشاطات المناطق، بما يؤدي إلى مزيد من التقارب والتفاهم والتحابب.

وإنني شخصيا أظن أن التعددية داخل الجالية عنصر قوة، إذا عرفنا الاستفادة منها ووظفناها لخدمة الإسلام، لأن القوة التي نريدها هي قوة الحق، ولا يخفى على القارىء الكريم سبق الآخرين من جاليات أوروبا في ميدان التنظيم والعمل السياسي والتأثير الانتخابي، والمسلمون لم يعوا ذلك إلا مؤخرا..

فعدد اليهود - مثلا - لا يتجاوز (٣٠) ألف نسمة، ولكن لهم حضور واضح في البرلمان يفوق نسبتهم العددية، بينما لا يوجد مسلم واحد في البرلمان الاسترالي، ونحن نرغّب إخواننا بالتحرك ونشجعهم على العمل العام بما يحقق مصلحة راجحة للوجود الإسلامي - إن شاء الله..

رحلة التعليم واحتياجاتها

وعن سبب زيارته للكويت يقول الشيخ علي:

لقد اشترت (المنظمات الاسلامية الاجتماعية الاسترالية) مدرسة حكومية كانت معروضة للبيع، وتبلغ مساحتها (ثمانين ألف متر مربع)، فهي أكبر مدارس ولاية فكتوريا، وتضم ٤٦ فصلا دراسيا، وعدة مكاتب للمدرسين، ومكتبة كبيرة، وقاعة اجتماعات واسعة، بالإضافة إلى المسجد وملاعب لمختلف الأنشطة الرياضية، وقاعات إضافية تصلح للنشاط الاجتماعي، وفتحنا أبوابها للطلبة المسلمين عام ١٩٩٤م..

وكان المبلغ المطلوب سبعة ملايين دولار استرالي، غير أننا حصلنا عليها مقابل (ثمانمائة وخمس وثلاثين ألف دولار) فقط. فقد خصمت وزارة التعليم نسبة كبيرة من الثمن المطلوب مساهمة منها في تشجيع هذه المبادرة - التي تعتبر من مهامها أصلا، ونحن نشكر الله تعالى على هذه النعمة، فالجالية الإسلامية كانت في أمسّ الحاجة إلى المدرسة، وتمكنا بعون الله من تسديد نصف الثمن المذكور وبقي علينا النصف الآخر..

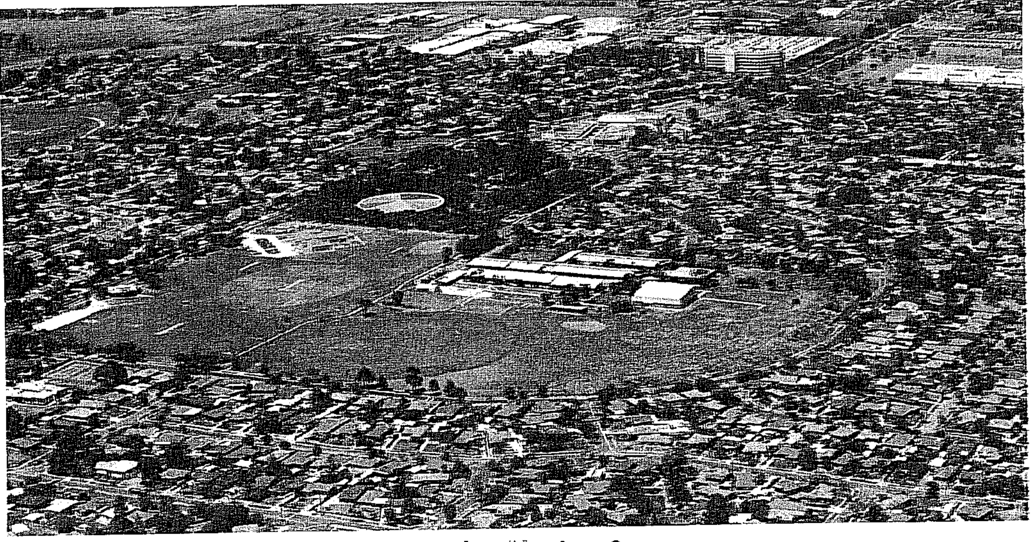
وتأتي جولتي خارج استراليا لتحقيق أهداف ثلاثة..

- أولها أن أقدم هذا المشروع للاخوة الكويتيين، ويمكن للمتبرعين المساهمة من خلال وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، أو عن طريق جمعية عبد الله النوري الخيرية..

- والهدف الثاني إيجاد مدرسين، فنحن في حاجة ماسة لمدرسي المواد الدينية من تجويد ولغة عربية إلخ..

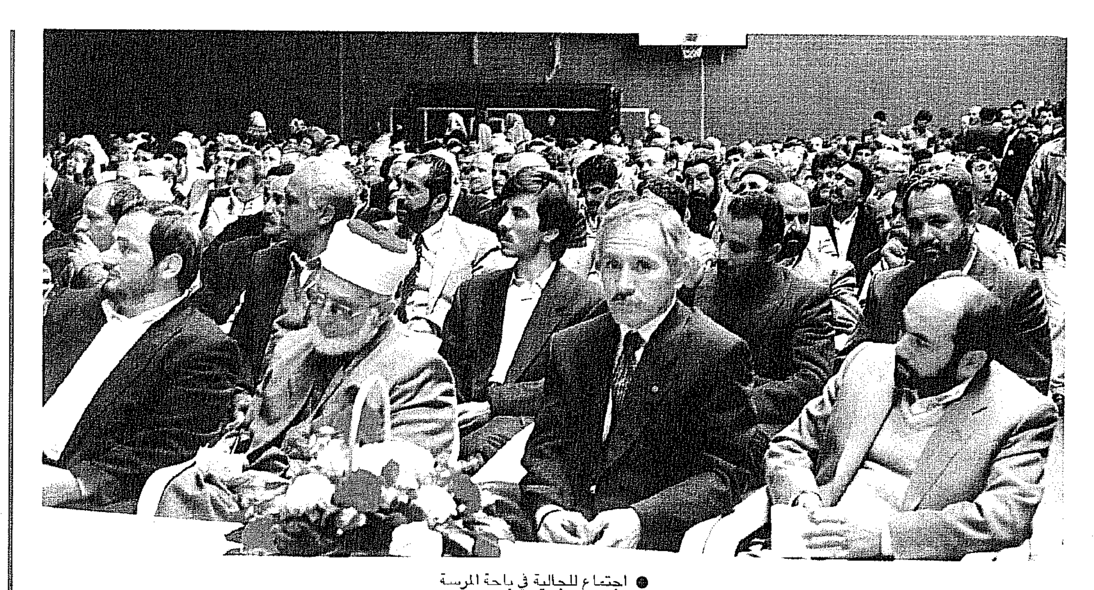
والهدف الثالث الحصول على كتب دينية، تغطي مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، ولقد قدّمنا طلبا بهذا الخصوص لوزارة التربية الكويتية،

لا توجد إحصاءات دقيقة عن عدد مسلمي أستراليا ويقدّرون بمليون نسمة



● صورة جوية للمدرسة ومحيطها

نظم المسلمون صفوفهم بجهود الأئمة والدعاة، وبمبادرات شخصية



● اجتماع للجالية في باحة المرسة

ونأمل خيرا..

الحجاب الإسلامي

سألنا ضيفنا العزيز عن العقبات التي تواجه الجالية الاسلامية في استراليا، وهل هناك مشاكل كمشكلة الحجاب التي تواجهها الجالية الاسلامية في فرنسا مثلا، فأجاب مشكورا:

مسألة الحجاب مسألة تشكل موضوعا مهما في فرنسا، وأريد أن أوضح أن الحجاب - كما تعلمون - فرض على المسلمات، وأول مشكلة برزت في شأن الحجاب بدأت في تركيا، فقد انتشرت الصحوة الاسلامية فيها في الثمانينيات، وسنت الإدارة العسكرية - والحكومات اللاحقة - قانونا منع الطالبات المحجبات من دخول الجامعات والمدارس، وبذلك تم إكراه ألوف الطالبات على ترك مقاعد الدراسة بسبب حجابهن..

إن ما حدث في فرنسا، وكندا وألمانيا وبريطانيا إنما وقع لاحقا لما حدث في تركيا البلد المسلم.. وجميع الذين عملوا على منع الحجاب في تركيا وغيرها يتكلمون عن الحريات العامة وعن الديمقراطية، ولكن في مسألة الحجاب يتم تعطيل الحرية الشخصية والقرار الديمقراطي!!

أما في استراليا، فلم نسمع حتى الآن شيئا يتعارض مع حرية الفتاة المسلمة بارتداء الحجاب.. ولو وقع شيء من هذا القبيل - لا قدّر الله - فإن واجبنا الوقوف بحزم لتصحيح الوضع وتحقيق التزامنا الإسلامي، الذي يكفله لنا القانون الاسترالي نفسه.

العلاقة بين الجالية والمجتمع

وعن العلاقة بين الجالية والمجتمع الاسترالي، يقول شيخنا الفاضل:

العلاقة بين أبناء الجالية والمجتمع الاسترالي ليست قوية، ولذلك أسباب تاريخية وموضوعية، فقد كان المهاجر يتوجه إلى عمله صباحا ويعود مساء، وكذلك زوجته - في أغلب الأحيان - ويتركان أولادهما في دور الحضانة أو المدارس الاسترالية أي تحت رعاية مفاهيم التربية الاسترالية، ومعنى ذلك ببساطة أن الجيل الجديد منسلخ عن آداب وعادات وتقاليد وثقافة الوطن الأم، ولم يتمكن الآباء من الحفاظ على أبنائهم، ولا متابعة دراستهم في المدارس، وبالتالي كانت نسبة الرسوب بين أبنائنا حوالي ٩٠٪، وكثير من طلبتنا تركوا المدارس في الصف الثاني الثانوي، ولا يخفى انعكاس ذلك على مستوى العمل والحضور الاجتماعي والسياسي..

هذا كان في الماضي؛ أما اليوم - ولله الحمد - تحسّن الوضع.. وضع الآباء في أعمالهم ووظائفهم، ووضع الأبناء في دراستهم ونتائجهم العلمية، ونحن بدورنا نشجع الجميع على مزيد من المثابرة والنجاح، سواء في العمل أو الدراسة..

ويؤسفني ألا أرى من أبناء الجالية من يخوض العمل العام، السياسي والاجتماعي، وكأننا تركنا الحياة البرلمانية بالكامل لغيرنا، فلا يوجد نائب واحد مسلم، بينما يوجد نواب ووزراء يهود - مثلا - بالرغم من كونهم أقلية مقارنة بالطوائف الأخرى..

لقد باتت السياسة والاقتصاد من أعمال غير المسلمين..

التعليم هو المستقبل

ويجيب على سؤال (الوعي الإسلامي): إذن كيف ترى مستقبل

العملية التربوية مكلفة

الحكومة الاسترالية مسيحية، ولكنها تساعدنا في مجال التعليم بنسبة ٦٠٪ ويبقى على عاتقنا ٤٠٪ وكل المطلوب أن نتكاتف فيما بيننا لتحقيق هذا الهدف، فمصاريف العملية التعليمية ليست بالسهولة التي تظهر للعيان، فمكافآت المدرسين وحدها تتجاوز ١٥٠ ألف دولار، مع العلم أن عدد الطلبة الحالي ٣٦٠ طالبا، ونتوقع استيعاب ١٢٠٠ طالب للعام الدراسي القادم - وهذا استيعاب المدرسة الاجمالي□



● زهرات تنطلق في الحقول

في برامج الجماعات الإسلامية المتعددة زيارات متبادلة للمساجد والمدارس والمراكز الإسلامية، وتبادل الخبرات

الأجيال الإسلامية؟ بقوله:

وسليتنا الرئيسة لمستقبل أبنائنا العلم، علينا أن نربيهم التربية الإسلامية، وأن نعتني بالمدارس الخاصة، ونرفع مستواها التعليمي والتربوي بحيث تؤهل الطالب والطالبة لدراسة جامعية ناجحة.. وأخشى ما أخشاه أن نتركهم دون رعاية في مهب ريح المجتمع الاسترالي بسلبياته وثغراته فلا نحصد سوى الشوك ونحن نستمع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾.

الزواج المختلط والعلاج المفقود

سألنا الشيخ/ علي عن ظاهرة الزواج المختلط ومدى أثره على أبناء وبنات الجالية، فقال والألم بادٍ في كلماته:

إن مشكلة الزواج من المشاكل التي لم نجد لها علاجا شافيا بعد، وكم يؤلمني عندما أسمع أن مسلمة تزوجت من غير مسلم، نسمع ونستنكر هذه المخالفة الشرعية ولكن لا نملك عمليا سوى الدعاء والنصيحة – أحيانا..

وربما كمنت المشكلة في الحرية المطلقة التي تتمتع بها الفتاة، فليس من حق الأب أو الأم التدخل في حياة أبنائهم وبناتهم الخاصة، ولو رغبت فتاة مسلمة بالزواج من غير مسلم لما أمكن للأهل أن يفعلوا شيئا لإيقاف ذلك.. والمتزوجات من غير المسلمين لا يعرفن حرمة ذلك في دينهن بسبب الجهل، ولذلك نعتمد على الصحوة الإسلامية وعلى تطوير وسائل الدعوة، فلنا إذاعة إسلامية تبث ساعة يوميا، نشرح عبرها المسائل الفقهية.. وعندما لجأ البعض للزواج من خارج استراليا، بسبب قلة فرص الزواج من الداخل، لم يجدوا الطمأنينة والاستقرار، لاختلاف الثقافة والبيئة بالرغم من انه اختار شريكة حياته مسلمة من بلده الأم، أو اختار الأهل شريكا لابنتهم من بلدها الأم.

الصحوة الإسلامية

وكيف يقوّم الصحوة الإسلامية في صفوف الجالية، يقول مستبشراً:

نعم إن الصحوة الإسلامية واضحة المعالم، وتعود إلى أسباب عدة على رأسها فشل كل الشهوات في تحقيق السعادة. قال تعالى: ﴿زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ [آل عمران/ ١٤]. لقد جرّب المجتمع الاسترالي كل أنواع الشهوات، وبلا حدود، ولا حرج، وكانت النتيجة أن المال والجنس والحفلات الصاخبة الراقصة والمناصب لا تحقق السعادة ولا الاستقرار النفسي، ومن هنا كان تحوّل أبناء الجالية المسلمة نحو الإسلام.. وحتى نحافظ على مستوى هذا الالتزام أنصح بإيجاد (القدوة الصالحة) كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لأصحابه رضي الله عنهم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب/ ٢١]. فالقدوة الصالحة أمر مهم، وحسن الجوار والمعاملة الطيبة مع المسلمين وغير المسلمين من أعمال القدوة الصالحة.

التعاون على البر والتقوى

وفي معرض إجابته على سؤال عن تعاون المؤسسات الإسلامية المحلية والدولية قال:

أوجه شكري إلى جميع المنظمات الاسلامية، داخل استراليا وخارجها، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مكتب (رابطة العالم الإسلامي) في استراليا، ولهم نشاط طيب ومشاركة مباركة، ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت لما لمسناه من حسن الوفادة والاهتمام، وبيت الزكاة، والهيئة الخيرية الاسلامية العالمية، وجمعية عبد الله النوري الخيرية وجميع من أحسن استقبالنا ووعدنا بالمساعدة، وهم كثر.

عقبات ولكن..

وعن العقبات التي تواجه مسيرة

الدعوة،يقول الشيخ علي منطلقا من الواقع العملي:

إن الدعوة الإسلامية في استراليا، وفي أوروبا، وفي أمريكا لن تقف بإذن الله، قد تختلف الأساليب والظروف وسبل العمل من بلد إلى آخر، ففي استراليا حرية التعبير مفتوحة للجميع، ولدينا إمكانية نشر الإسلام من خلال الأقنية التلفازية ولكن نحتاج إلى إمكانيات مالية، ففي النظام الرأسمالي المال هو مفتاح كل الأبواب الموصدة، (دينهم دولارهم)..

وللمال تأثير سياسي مهم، ماذا لو قررت الأمة الإسلامية كلها دفعة واحدة وبعزيمة جادة أن تقاطع شركة معينة أو بضاعة محددة؟ أظن أن الرأسمال المستفيد من هذه الشركة أو المؤسسة سيسعى للتفاهم مع المسلمين وإزالة سوء التفاهم أو تحقيق رغبتهم في أمر ما حفاظا على مصالحه..

ربما.. وأقول ربما لو استخدمنا سلاح الاقتصاد لتمكنّا من حلّ قضايانا، كالبوسنة مثلا التي باتت جرحا جديدا ينزف في جسد الأمة.

دعوة الاستراليين الأصليين

سألته: ماذا فعلتم في العلاقة مع سكان البلاد الأصليين، وهل هناك محاولات لدعوتهم للإسلام؟ فأجاب:

لقد أرسلنا أئمة ودعاة إلى (Abor-gine) الاسم الذي يطلق على الاستراليين الأصليين. وعلمت أن نسبة ضئيلة جدا منهم استجابت، وذلك بسبب عاداتهم وتقاليدهم التي تبقيهم معزولين عن الآخرين، وأقرب تجمعاتهم تبعد ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف كلم عن مناطق وجود الجاليات الإسلامية.

بين العاطفة والواقع

توقّف الشيخ علي قليلا قبل الإجابة على سؤالي عن علاقة المهاجر المسلم بوطنه الأم، وهل ولاؤه لاستراليا أم لقضايا العالم الإسلامي، ثم أجاب قائلا:

ولد الجيل الأول من مسلمي استراليا في العالم الإسلامي (مصر، تركيا، لبنان، فلسطين إلخ..) وكبار السن بينهم ما زالوا يحنون للعودة إلى بلادهم، فلهم فيها أقارب وأصدقاء وذكريات ومصالح.. والقصة التي تسمعها من كل مهاجر انه جاء لبضع سنوات لا تزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة ليجمع شيئا من المال يعينه على الانطلاق في الحياة العملية في بلده، ولكن طالت هذه السنوات ليرى نفسه مع أسرة من أبناء وأحفاد وارتباطات مالية واجتماعية والتزامات قانونية وسواها، مما يعني أن العودة باتت أكثرصعوبة، بل بعيدة التحقيق..

ولو أصر الجيل الأول على إنهاء ارتباطه باستراليا، فإن الجيل الجديد يرفض ذلك، فاستراليا هي بلده ووطنه، وهي توفّر له ما لا يمكن الحصول عليه في بلده الأم من حقوق قانونية وإمكانات مالية ومستوى معيشي.

الهجرة الحلم

وتعليقا على إجابته قلت: ولكن الهجرة باتت حلما لكثير من الشباب المسلم، إما لظروفهم الخاصة في بلدانهم وإما لما يسمعونه عن النجاحات التي حققها بعض المغتربين، فما هي نصيحتك؟

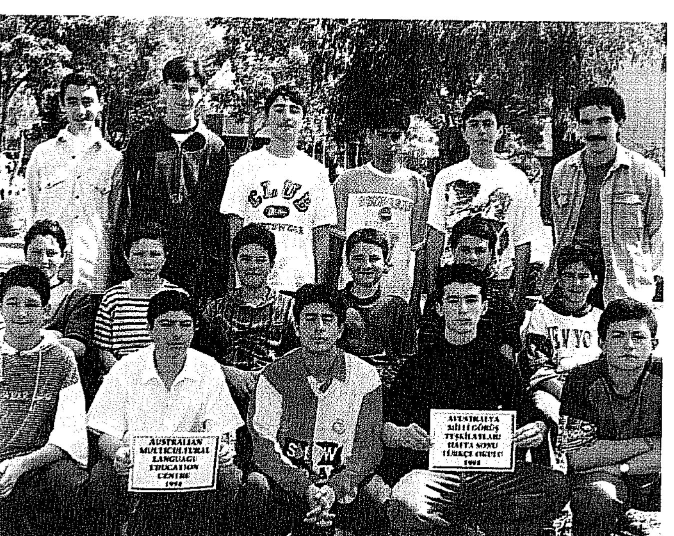
صحيح.. إن كثيرا من الشباب المسلم يريد الهجرة إلى العالم الغربي لأسباب متعددة، ونصيحتي لهم، ان ينتبهوا إلى كونهم سفراء الإسلام حيث كانوا، وانهم أمة رسالة ودعوة لا قعود ودعة..

إن كان القصد طلب العلم، فلن أنصح أحدا بالتردد، لأن طلب العلم فريضة، وأمتنا تحتاج كل جديد ومفيد، ولكن هل تأكد الطالب ان تخصصه غير متوفر في الدول الإسلامية؟ اقصدوا الدول الإسلامية أولًا، فإن لم تجدوا ميدانكم العلمي فيها فعندئذ اختاروا الأفضل والأقل ضررا، والتزموا مع جمهور المسلمين حيث كنتم، إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، وفي الغرب اليوم مراكز ثقافية إسلامية ومساجد وجمعيات عاملة، اعملوا معها وعيشوا في أجوائها..

ومن خلال تجربتي ألخص نصيحتي لراغب الهجرة في البنود التالية:

- اختيار بلد إسلامي أولًا.
- توثيق العلاقة بالجمعيات والمراكز الاسلامية في الغرب.
- اختيار الصحبة المسلمة الطيبة.
- تجنب المحافل والجمعيات المشبوهة أو المجهولة.
- عدم الانقطاع عن الأهل والأصدقاء بالرسائل.
- على كل منا أن يذكر انه سفير الإسلام في بلد إقامته.
- أن يكون قدوة للآخرين حتى يؤثر فيهم.
- عقد النية على العودة إلى بلده في أقرب فرصة لتستفيد من علمه وخبرته.
- ان يعرف ان دينه مبني على أربعة أشياء: العلم، والاخلاق، والإدارة، والسياسة، والاقتصاد.

فعليه ان يزيد من معرفته فيها، والعمل في إطارها ■

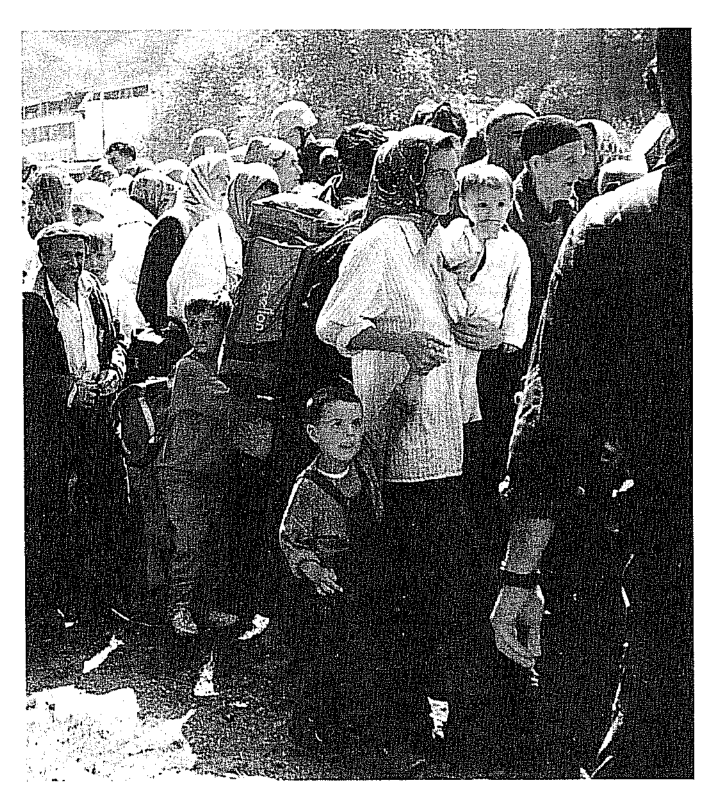


● طلبة أتراك مع أستاذهم

وسليتنا الرئيسة لمستقبل أبنائنا (العلم)، والاعتناء بالمدارس الخاصة، ورفع مستواها العلمي

يمتد الحضور الإسلامي في الغرب من فتح الأندلس (٧١١م) حتى سقوط «غرناطة» (١٤٩٢م)

(العنصرية) داء عضال لم يؤد خلال التاريخ إلا إلى الشرور وتنازع الشعوب.. ولقد قامت العنصرية على نظريات فلسفية تدعمها، وبقيت أمراً مقبولاً لدى الجهلة لاسيما وقد أسبغ اليهود عليها هالة الدين عندما ادعوا أنهم (الشعب المختار) صاحب (الوعد الإلهي)، سبحانه وتعالى عما يصفون.. وفي الدراسة التالية يتحدث الباحث عن العنصرية الغربية تحديداً، عن مفاهيمها وفلسفتها الاستعمارية وجذورها التاريخية وأبرز مظاهرها المعاصرة.. وفي هذه الحلقة الأولى يتناول - بالإضافة إلى المقدمة التمهيدية - مظاهر العنصرية في ألمانيا، على أن نستكمل الصورة في الحلقات القادمة إن شاء الله.



● من قوافل التهجير العنصري القسري في البوسنة

عنصرية الغرب ٣/١

بين الموضوعية والرأي الشخصي

من الثابت أنه يجب أن يتجرد الباحث من الانقياد وراء آرائه الشخصية، وأن يبتعد عن التحيز والهوى، ويعتمد فيما يعتمد على الأدلة والأسانيد والحقائق القابلة للإثبات والبرهان وهو ما يطلق عليه: (الموضوعية Objectivity). فهي إذن معيار هام وضروري للمعرفة لأنها تتصف باليقين وتقوم على أدلة يمكن للغير أن يتثبتوا من صحتها.

ولما كان البحث في قضية

بقلم / وفيق صفوت مختار

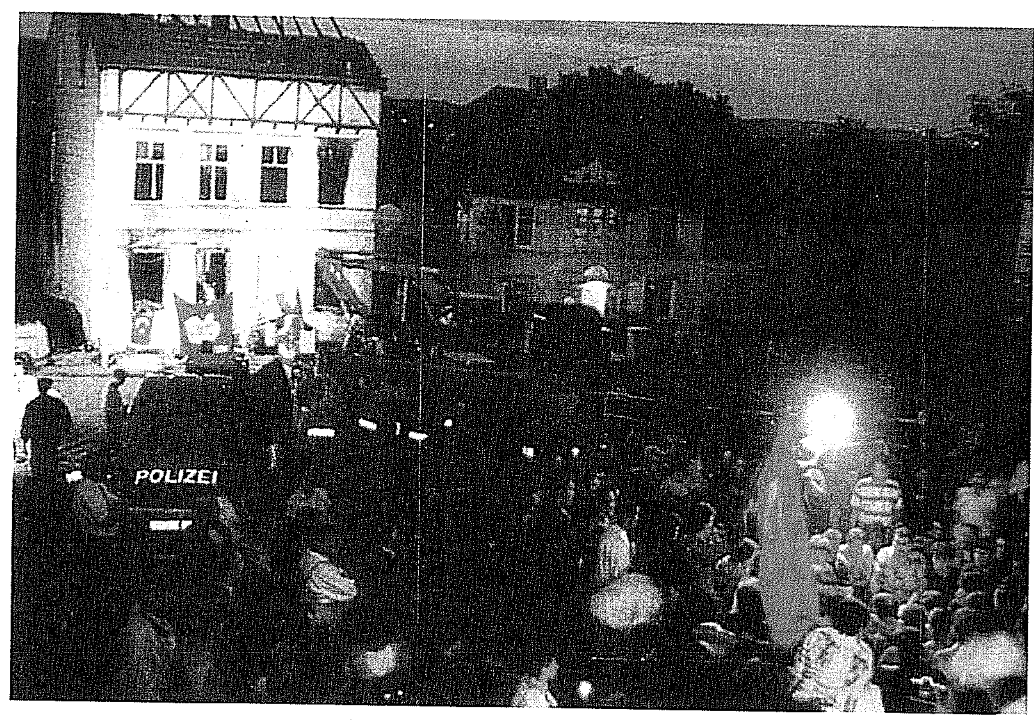
العنصرية الغربية/ الأمريكية القديم منها والحديث يستلزم الدقة والإثبات والبرهان فأنا أعرض الموضوع مستندا على أسس وحقائق واطروحات وإحصائيات تعرض دون تزييف أو تسويف وتوضح بلا التواء أو تحريف.

الجذور التاريخية للوجود الإسلامي في الغرب

ظل تأثير الفكر العربي الإسلامي على الثقافة الأوروبية لفترة طويلة أمراً غير معترف به. وقد صار في الحقبة الأخيرة موضع حماس واعتراف.

ولكن من الذين يعترفون بهذا التراث؟ ومن الذين يحجبونه أو يرفضونه؟ وإلا فالقول بأن الغرب نسي تراثه العربي لن يكون سوى صياغة بديلة للمقولة: (أن العرب كانوا دائما ولن يزالوا أبدا غرباء عن الغرب).

وحينما نعود للواقع التاريخي نجد أن الإسلام قد تواجد في الغرب منذ فتح الأندلس (٧١١-٧١٦) حتى سقوط «غرناطة» (١٤٩٢م). وبعبارة أخرى فإن التقسيم بين غرب وشرق كان جزءا من الوعي



● تجمع أمام منزل مسلمين أتراك أحرقه نازيون ألمان

العربي الإسلامي فمنذ عام (٧٥٥م) (تأسيس الإمارة الأموية في «قرطبة» ثم عام (٩٢٩م) (تحويلها إلى خلافة) ظلت هناك دولة إسلامية غربية تواجه الدولة الإسلامية الشرقية (الدولة العباسية). ومعنى سقوط غرناطة إذن هو التقسيم بين شرق وغرب الذي كان يمر داخل دار الإسلام، حتى أصبح بعد عام(١٤٩٢م) يحول بين العوالم المسيحية وبين العالم الإسلامي.

بين الحجب والرفض

ظاهرة حجب العناصر العربية الإسلامية في الثقافة الأوروبية ظاهرة معاصرة، فقبل الحجب كان الرفض، وكان رفضا واعيا ومتعمداً، فالكل يدرك مدى جهل المجتمع الأوروبي بالإسلام في القرون الوسطى فالفلسفة الإسلامية والعلوم العربية لا تدرس، والناس لا تعرف عنها شيئاً، لكن هذا الجهل ليس بسبب النسيان بل نتيجته، ومن هنا لابد من التمييز بين ماعرفه الغرب عن الإسلام وتراثه وعلومه ثم رفضه رفضا واعيا ومالم يعرفه ولايزال غير مستعد لاكتشافه أو استيعابه. فالثقافة الغربية لم تدخل قط الفلسفة السياسية والعقلانية والإصلاحية والعلمانية للفكر الإسلامي في مجمل أفكارها وفلسفتها رغم أن أسلافها مفكرون من الأندلس مثل: «ابن باجه»، و«ابن رشد»، و«ابن طفيل».

وليست لهاتين الظاهرتين (الحجب والرفض) نفس البعد. فالحجب يمكن التخلص منه والقضاء عليه عن طريق إصلاح المناهج المدرسية وبرامجها في أوروبا. أما الرفض فهو حدث وقع بالفعل فكانت آثاره في عقول الأوروبيين عميقة إلى درجة أن الهوية الأوروبية بنت معالمها عليه وبالتالي فإن كل عمليات الحجب التي تلته لم تكن سوى نتيجة من نتائج القرار الأول ألا وهو (الرفض).

إذن لقد بني التصور الفكري الأوروبي في عصر النهضة – (القرن الخامس عشر) وفي عصر التنوير (القرن الثامن عشر) – على عنصر مشترك ألا وهو كراهية الشرق ومعاداة العرب والإسلام.

حتى أن « بيتراك » ((١٣٠–١٣٧٤) الذي اعتبره المفكر الغربي «كونديناك» (١٧١٥–١٧٨٠) الرائد الأول للنهضة الأوروبية الحقيقية لهو الشخصية المحورية في التأسيس المعادي للعرب والمناهض للإسلام، وهو أيضا صاحب فكرة تخليد التراث اليوناني القديم بعد انتزاعه من العرب والمسلمين الذين كانوا أول من أحيوه.

كما أن المؤرخ البلجيكي «هنري بيران» Henri Pirenne. في كتابه: (محمد وشارلمان) الذي صدر عام ١٩٣٥م يقول: (كان التقدم السريع غير المتوقع للإسلام أداة للانقطاع عن التراث اليوناني الروماني القديم.

ظاهرة حجب العناصر العربية الإسلامية في الثقافة الأوروبية ظاهرة معاصرة، فقبل الحجب كان الرفض

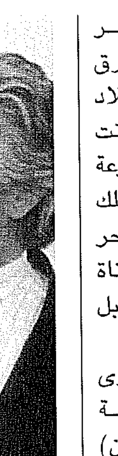
وترتب عليه وحدة حوض البحر المتوسط والفصل بين الشرق والغرب فصلا نهائيا فصارت بلاد مثل إفريقيا وأسبانيا التي كانت حتى الإسلام تشترك في المجموعة الغربية أصبحت تدور حول فلك بغداد. وهكذا أصبح غرب البحر المتوسط بحراً إسلاميا فلم تعد قناة التبادل والأفكار التي كانت قبل ذلك).

وهكذا يتضح أن (بيران) يرى العرب بعيون (بيتراك) المعادية للعرب والإسلام. ويقول (بيران) في موضع آخر من كتابه: (ثم استولوا (أي العرب) على الجزر وهدموا الموانى وشنوا الغزوات في كل الأنحاء مما قضى على وحدة حوض البحر المتوسط الاقتصادية التي لن تعود إلى الوجود إلا في عصر الحروب الصليبية).

وبذلك فإن (بيران) يرى أنه قد انتهى الحلم اليوناني مع استسلام غرب البحر المتوسط للعرب مع بداية القرن الثامن الميلادي.

بيد أن كل شيء في تفانيد ومزاعم (بيران) خاطىء. فلم ينجذب الأندلس بأي حال من الأحوال إلى (فلك بغداد). ثم كيف يمكن الزعم بأن الحروب الصليبية أعادت إلى البيئة الثقافية والسياسية والاقتصادية المتوسطية تماسكها في حين أن الجميع يعلم بأن الحروب اللاتينية المسماة بالصليبية والتي دامت ما يقرب من مائتي عام من (١٠٩٦م-٤٨٩هـ) إلى (١٢٧٢م-٦٧٠هـ) لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين – على حد زعمهم – بدعوة من البابا (أوربان الثاني) (١٠٤٢-١٠٩٩م) وقد استجاب لهذه الدعوة العنصرية أمراء أوربا وفرسانها وقوادها لتحقيق نواياهم الاستعمارية وبسط نفوذهم على الشرق ونهب خيراته هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فقد كانت هذه الحملات لا تستهدف – والتي بلغت ثماني حملات حربية مقدسة!! – هدم هيمنة بيزنطة الاقتصادية والسياسية بقدر ماكانت تهدف تحرير الأماكن المقدسة! وحين استطاع القائد العربي (صلاح الدين الأيوبي) هزيمة فلول القوات الصليبية في موقعة (حطين عام ١١٨٧م) فإنه قد حظي بتقدير أعدائه أنفسهم حتى قيل: (لقد كسب صلاح الدين للعرب وللإسلام بقلبه أكثر مما كسبه بسيفه).

حظي صلاح الدين الأيوبي بتقدير أعدائه أنفسهم بعد تحرير الأماكن المقدسة وهزيمتهم



● كارادزيتش (جزّار البوسنة) رمزالعنصرية الغربية المعاصرة

وثمة نقطة هامة أخرى هي أن الفلاسفة المعاصرين يذكرون دائما أن الفلسفة: (يونانية وألمانية) فيقول (ميسون) في مقال منشور في صحيفة (لوفيجارو) الصادرة بتاريخ ٥/٢/١٩٩٣م: (عرفت الفلسفة الغربية عصرين ذهبيين: الفلسفة اليونانية والفلسفة الألمانية).

فالعودة إذن إلى اليونان القديم مع إقفال القوس العربي هو الحلم



● الأيدي العاملة الرخيصة من إفرازات العنصرية الاستعمارية

المعرفي المتمشى مع الرؤية السياسية للغرب والرافضة للعناصر العربية.

نشأة العنصرية الغربية ومظاهرها

يقول المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي) إن دراسة الجنس أو العرق كعامل منتج للحضارة تفترض وجود علاقة بين الصفات النفسية المفيدة وبين طائفة من المظاهر الطبيعية، ويعتبر اللون الصفة البدنية التي يعول عليها - أكثر من غيرها - المدافعون عن نظريات العرق المتفوق من الأوروبيين. وإن أكثر النظريات العنصرية شيوعا هي تلك التي تضع في المقام الأول السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الشهباء التي يدعوها بعضهم بالإنسان النوردي (الشمالي) ويدعوها الفيلسوف الألماني (فريدريك نيتشه). بالوحش الأشقر.

ولعل أول من أشار إلى الإنسان النوردي نبيل فرنسي يدعى الكونت (دي نموبينو) وقد تزامن هذا الإعلاء من قيمة العرق مع شيوع نظريات (تشارلز داروين) (١٨٠٩-١٨٨٢م) عن النشوء والانتخاب فيما يتعلق بالجنس والتطور والارتقاء. وكذلك انتشار علم البيولوجيا في القرن التاسع عشر.

وكان كبار المفكرين البريطانيين والفرنسيين في القرن التاسع عشر يعتبرون الاستعمار هدفا ساميا لأنه ينشر الحضارة بين الشعوب!!

ويعتبر الرائد الأكبر للنظرية العنصرية هو: (أرتودي جوبينو) (١٨١٦-١٨٨٢م) الذي عمل في السلك الدبلوماسي ووضع مؤلفا بعنوان (بحث في عدم التساوي بين الأجناس البشرية) في عام (١٨٥٣م). وتتلخص نظريته في: (ان الاختلاط بين الأجناس الراقية والأجناس السفلى هو السبب الرئيسي لتدهور حضارات أوربا السابقة).

وقد انتشرت المدرسة العنصرية في معظم الدول الغربية وكان أهم تلاميذ (جوبينو) هو (هيوستون ستيوارت تشامبرلين) وهو بريطاني عاش معظم حياته في ألمانيا، وكتب باللغة الألمانية أهم كتبه تحت عنوان: (أسس القرن التاسع عشر) وكان فكره وفكر استاذه (جوبينو) الأرضية الأساسية التي قامت عليها النظرية العنصرية للفكر النازي في ألمانيا باعتراف (هتلر).

ولعل من أهم مظاهر العنصرية التي تبدو ظاهرة للعيان هو (التفوق الثقافي) فعندما تتيقن أمة ما بقوتها العسكرية وثرائها الاقتصادي وازدهارها الثقافي تأخذ في البحث عن مبررات لظواهر العنصرية في الدلالات المادية كلون البشرة وطبيعة المناخ ونقاء السلالة. وتتردد على ألسنة أفرادها كلمة (الصفاء) مقترنة بالعرق واللغة والسلوك.

وقد شغل هذا التصور أذهان المتفوقين في الحضارات المزدهرة منذ فجر التاريخ: فالصينيون والأشوريون اعتبروا أنفسهم سادة العالم. ودعا قدماء المصريين أنفسهم أبناء الشمس، أما اليونانيون فقد جعلوا بلادهم مركز الإنسان المتحضر ووصفوا بقية الشعوب بالبرابرة. أما اليهود فلم يتوهموا أنهم شعب الله المختار فحسب بل الشعب المختار الأوحد بين جميع الشعوب وأطلقوا على من عاداهم اسم (الجوييم) (كلمة عبرية تعني الأغيار). والكل يعلم افتخار العرب بحسن بيانهم وفصاحة لسانهم.

وعلى الرغم من أن عدد الحضارات الراقية قد بلغ واحدا وعشرين حضارة منذ فجر التاريخ إلا أن الإنسان النوردي لا يعترف اليوم بغير حضارته المتفوقة ويرى ما سبقها تمهيدا لها وبشرى بقدومها. ويرجع المؤرخ «توينبي» هذه العنصرية إلى ثلاثة أوهام من أهمها وهم (حب الذات). على أن التقدم العلمي والاجتماعي الذي عرفته أوربا بعد الثورة الصناعية جعلها تؤمن بأوهام الإنسان الأعلى والعرق الأبيض، ومما شجعها على هذا التمادي أيضا تفوقها العسكري على الشعوب الأخرى المستكينة أثناء حملاتها الاستعمارية وغزواتها الاستيطانية.

وقد تصدى لهذه الحيثية العالم الفرنسي الأنثروبولوجي (كلود ليفي ستراوس) في رسالة نشرتها اليونسكو عام ١٩٥٢م أعاد فيها مجمل البراهين التي قدمها (توينبي) وأضاف إليها تحليله المبتكر عن مفهوم التراكم الحضاري الذي تقطف اليوم ثماره الشعوب الشمالية.

فيشير «ستراوس» إلى أن حضارتنا الحديثة - بالقياس إلى نشأة الحضارة - تحسب بالأعوام: فالزراعة وجدت بنسبة ٢٪ من نشأة الحضارة، والعدانة بنسبة ٠,٧٪ والأبجدية بنسبة ٣٥٪ وهكذا يمكن إدراج ثورة الغرب العلمية والصناعية بكاملها في فترة ما أنها تساوي (نصف جزء من ألف) من حياة البشر الماضية!

ولكن مع ذلك يبقى أن الحضارة تبدو من حيث الابتكارات التقنية والتفكير العلمي أكثر اتصافا بالتراكم من الحضارات الأخرى، علما بأن كل شعوب العالم تقريبا ساهمت في كل التراكمات وبمقادير متفاوتة.

ومع هذا يبقى سؤال هام: كيف سيتصرف الغرب بهذا الميراث الحضاري؟ المعروف أن هدف الحضارة الغربية/ الأمريكية يتلخص في أمرين:

الأول: الاستمرار في تنمية الطاقة المتاحة للفرد.

الثاني: حماية أفرادها وإطالة أعمارهم قدر الإمكان.

ولابد أن ترافق هذين الهدفين

يجب على العرب والمسلمين أن يوثقوا عن سماحة الاسلام

يُرجع المؤرخ (توينبي) العنصرية الغربية إلى ثلاثة أوهام من أهمها وهم (حب الذات)

المذابح الكبرى المتمثلة في الحروب العالمية كالحرب العالمية الأولى First World War من عام ١٩١٤م حتى ١٩١٨م. ثم الحرب العالمية الثانية Secondworld War من عام ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ وكذا المجاوز الاقليمية على الشعوب الضعيفة الذي تمثل آخرها في إبادة شعب البوسنة والهرسك. كذلك التفاوت الذي يحكم توزيع الطاقة بين الأفراد والطبقات والشعوب.

ويفترض (ستراوس) وجود طريقين تسلكهما الحضارة الغربية:

(١) إما إضفاء طابعها على المعمورة إضفاء شاملا فتسير حينئذ إلى القطبية الواحدية المحكوم عليها بالفناء. كما سبقتها إلى ذلك الحضارات القديمة وهذا تحت انتشار مادي يتناق مع الآليات والمبررات الداخلية التي تؤمن وجودها.

(٢) أن تظهر انساق حضارية توفيقية محتملة في بعض المناطق كالعالم العربي أو الإسلامي لأن ما يؤلف هذه الثقافات هو في جعل القيم موضوع تفكير.

إذن مازال باب الأمل واسعا أمام الشعوب الطامحة إلى استعادة دورها الحضاري وإنقاذ الإنسانية من هوس العنصرية.

نماذج من الممارسات العنصرية في ألمانيا

كانت النظرية العرقية للنازية في ألمانيا هي نظرية الجنس الآري. وهي أصلا تقوم على تصورات بيولوجية تستهدف نقاء العنصر الجرماني (الآري). لذلك لم يكن غريبا أن يكون تسلسل الأجيال وشجرة الأنساب من الأهداف والمشاغل الرئيسية أثناء حكم النازي لإثبات انتماء الألماني بسماته الآرية إلى أصول العرقية الجرمانية. نضيف إلى ذلك أيديولوجية شوفينية استعلائية ترى الألمان (فوق جميع الأجناس والشعوب) ومن ثم فمن يحمل هذه الصفات المتميزة فانه ينظر إلى سائر البشر على أنهم ينتمون إلى مستوى ذكاء أدنى بكثير منهم، انهم في نظرهم أمثلة حية على صدق نظرية (داروين) في نشأة الأنواع وتطورها.

والزعيم النازي (أودلف هتلر) (١٨٨٩-١٩٤٥م) الذي أصبح في عام ١٩٣٣م مستشارا لألمانيا عندما تسلم بحزبه النازي (حزب العمال القومي الألماني الاشتراكي) مقاليد السلطة هو المسؤول الأول عن إبادة الجنس البشري بصورة ليس لها نظير في التاريخ. فقد كان (هتلر) عنصريا متعصبا للجنس الآري. فقد منع قيام الأحزاب اليسارية والاتحادات العمالية، وألقى بمعارضيه في السجون ومعسكرات الاعتقال، وتأسست الأفكار الأساسية للفاشية النازية على كراهيتها ورفضها الكامل للديمقراطية وشرعية الانتخابات الحرة وحريات التعبير الأساسية واهتمامها بإنشاء دولة شمولية ديكتاتورية لقمع المواطن، وفرض سياسات الإرهاب والتحكم في مصير الإنسان بإرادة القوة، وفي ظل الأنظمة الفاشية النازية وأفكارها الأيديولوجية لاقى المعارضون السياسيون وجماعات الأقليات صنوفا من العذاب والهوان بسبب دعاوى تفوق الجنس الآري على كافة الأجناس الأخرى. وفي عهده أيضا أعدم عددا من الروس والغجر واليهود وكل الذين أحس أنهم من الناحية العنصرية في مرتبة أحط من الجنس الآري. ولم يقم (هتلر) بهذه المذابح أثناء الحرب وإنما كانت المذابح تقام في هدوء تام، فقد كانت هناك قوائم بأسماء الضحايا المطلوب إعدامهم.

على أن مشكلة الأجانب والأقليات لم تظهر في ألمانيا بشكل كبير إلا منذ نهاية الستينات من هذا القرن أي عندما بدأت الصناعات الكبيرة فيها بهدف تلبية احتياجات الأسواق. فمن هنا بدأت ألمانيا في استيراد العمالة من الخارج، فهاجرت إليها العمالة التركية غير الماهرة من قرى الأناضول وكان من الطبيعي أن يقوم العامل التركي غير المتخصص بأدنى أنواع الأشغال كتنظيف المصانع على سبيل المثال.

والعنصرية في ألمانيا تقوم على صورة للذات شديدة الإيثار والإيجابية تقابلها صورة للآخرين موغلة في الدونية والسلبية، بحيث تتعذر كافة أسباب التعامل معهم على أساس من الندية الحقيقية. وهذه الصورة السلبية عن الآخرين قد نبعت في ألمانيا ابتداء من أجهزة الإعلام وانتهاء بالنظريات السائدة فيها. ومما يدعم هذه الصورة السلبية في ألمانيا على أساس من العنصرية هو امتصاص النظام الاجتماعي السائد من حين إلى آخر حتى يشعر الألمان بالرضا عما هم فيه باعتبارهم سادة الشعوب وانهم فوق جميع الأجناس وأجهزة الإعلام ذات السياسات الحزبية المحددة تقوم بهذه المهمة خير قيام.

وقد تعاملت ألمانيا في ظل (المنطق العنصري) باختلاف الأحوال والأوضاع فهو في حالة الهدوء الاجتماعي يتراوح بين الاستخفاف والتجنب والاستعلاء، وفي حالة التوتر الاجتماعي يتحول إلى عدوان مباشر موجه إلى الأقليات بهدف طردهم من ألمانيا.

إساءة متعمدة ضد الإسلام

اكتشف مستعرب جاد وأستاذ جامعي معروف في معهد حضارات الشرق الأدنى بجامعة (هامبورج) الدكتور (جيرنوت روتر) Gernot Rotter أن اعلاميا مشهورا في التليفزيون الألماني له عدد كبير من

لتيارات الأسلمة عن وجود عدد من الملاحظات، يأتي في مقدمتها:

أن المحاولات السابقة للأسلمة شكلية في معظمها، اعتمد أكثرها على بعض آيات القرآن الكريم، حيث جاء أصحاب هذه المحاولات بنتائج العلوم الغربية، ثم حاولوا العثور على سند قرآني لها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هؤلاء قد اعتمدوا المناهج الغربية في البحث، ظناً أنها قواعد للموضوعية «العلمية»، تلك الموضوعية التي ثبت خرافتها واستحالة تحقيقها، لأن الموضوعية عند الغربيين ـ والمستغربين أيضاً ـ نابعة من عقيدتهم العلمانية، وبالتالي فهي موضوعية مادية وليست موضوعية علمية، حسب ما يتوهم كثير من الباحثين المسلمين. وفضلا عما سبق، فإن المحاولات السابقة لأسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية قد انطلقت ـ بصفة أساسية ـ من مفاهيم ومصطلحات العلوم الإنسانية الغربية، للبحث بمقتضاها في مسائل الوحي، الأمر الذي يتناقض وأهداف تأسيس العلوم الإنسانية الإسلامية.

ثالثاً ـ أسس المعرفة الإسلامية:

في مقابل الأسس المادية للمعرفة الغربية، تتميز المعرفة الإسلامية ـ أو بالأحرى، المعرفة من منظور إسلامي ـ وتتفرد بعدد من الخصائص والمقومات التي تعد أسساً صالحة لبناء النظرية المعرفية الإسلامية. ويبرز من بين هذه الأسس ما يلي:

* إن العقيدة، وجوهرها التوحيد، هي حجر الأساس لبناء نظرية المعرفة ومناهج العلوم. ويترتب على ذلك امتزاج رؤية الحقيقة بأصول الإيمان، وصدور الحقيقة عن تلك الأصول، والجمع بين معطيات الوحي ومعطيات الواقع.

* إن الإنسان والنفس الإنسانية الأساس الثاني للمعرفة ومناهج العلوم والبحث. ويتفرع عن ذلك اضطلاع العقل والتعقل بدور رئيسي في البناء المعرفي الإسلامي. ويقودنا هذا إلى ضرورة الاعتراف بمكانة الذات الإنسانية الباحثة، وأهمية دور الإرادة، ومنهج اليقين ورؤية الحقيقة.

* إن استخلاف الله ـ تعالى ـ الإنسان في الأرض أصل اعتقادي للعلم والمعرفة. وكما نعلم، فإن الإنسان روح وجسد تضمهما وحدة واحدة، وأن الأمانة هي المميز الجوهري للإنسان عن سائر الخلق، وأن الذات الإنسانية حقيقة وجودية ومعرفية واحدة في آن واحد، وأن الروح نبع المعرفة والعلم والنبوة وأساس اليقين، وأن الروح والنور والوحي كلمات ذات مدلول واحد. ويرتبط بما سبق تلازم كل من الأمانة والمعرفة والإيمان في القلب وجوداً وعدماً، وأن الاختيار الإنساني يمثل مظهراً من مظاهر وجود الذات الإنسانية، وأن العبودية لله هي الحقيقة التي تتمثل فيها وحدة الوجود مع المعرفة في الذات الإنسانية، وأن الموت هو الحقيقة الأكيدة في هذا الوجود المادي.

* الموضوعية الإسلامية بديلا عن الموضوعية المادية. ويقصد بالموضوعية الإسلامية محاولة التخلص من كل الذاتيات البشرية للباحث، مع إدراكه أن ينطلق في بحثه عن عقيدته الإسلامية التي اختارها وارتضاها لنفسه كوجهة نظر ينظر من خلالها إلى كل موضوع يبحثه.(٢) وتهدف الموضوعية الإسلامية، التي يجب علينا كمسلمين الالتزام بها في مجال الدراسات الإنسانية، إلى الوصول للحقيقة المجردة عن الموضوع قيد البحث في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وذلك بالتخلص من الأهواء والثقافات الأجنبية والعلوم الإنسانية الغربية والأفكار الغريبة عن الوحي كمصدر للمعرفة والعلم. ويقودنا هذا إلى ضرورة تحديد خصائص وسمات الموضوعية الإسلامية.

رابعاً: ـ خصائص الموضوعية الإسلامية:

تتميز الموضوعية الإسلامية ـ في الحقيقة ـ عن الموضوعية الغربية بعدد من الخصائص والسمات أو المقومات، لعل من أبرزها مايلي:

* بطلان أي تصور عن الإنسان والإنسانية من غير القرآن والسنة، ويرتبط بذلك بطلان العلوم الإنسانية الغربية المعاصرة التي تتعارض مع منهج الاسلام كعلم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والاقتصادية والتاريخية وغيرها.

* ويتفرع عن السمة السابقة أن على الأمة الإسلامية ـ كفرض كفاية ـ إنشاء بدائل لهذه العلوم الغربية، مؤسسة على المفهوم القرآني للإنسان، ونابعة من نصوص الوحي. ويمكن أن ينهض بذلك أهل التخصص من علماء العقيدة، وعلماء القرآن والسنة، والعلماء المتخصصون في مجال الدراسات المشار إليها.

* إن الموضوعية الإسلامية لا تجيز قبول دراسات في مجال العلوم الإنسانية من غير المسلمين، كالمستشرقين، أو من الباحثين المستغربين المنتسبين للإسلام، القدماء منهم أو المحدثين أو المعاصرين، قولاً أو فهماً أو تفسيراً أو استنباطاً لحقيقة ما من القرآن والسنة.

* يحتاج الباحث في مجال العلوم الإنسانية الإسلامية إلى قواعد للبحث في القرآن الكريم والسنة الشريفة تساعده على تحقيق الموضوعية الإسلامية في البحث، بحيث يكون مطمئناً ومتيقناً من أن النتائج التي توصل إليها في بحثه ليست سوى حقائق قرآنية وسنية خالصة، لم تخالطها أفكار أجنبية، أو نزعات عصبية، أو نزغات شيطانية.

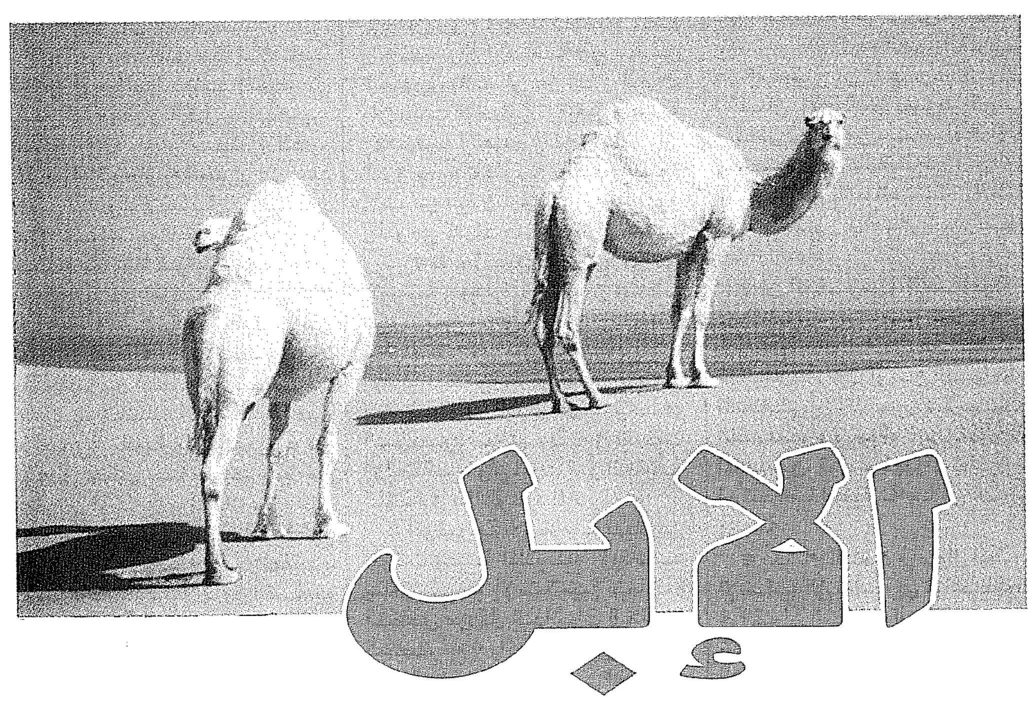
* يأتي في مقدمة القواعد المنهجية اللازمة للباحث عن الحقيقة: وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم كله لمعرفة حقيقة قرآنية واحدة، وأن إفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية يوجب إفراد الوحي كمصدر للعقيدة والشريعة والعلوم الإنسانية، وضرورة تآلف الذات الباحثة والوحي ومنهج التأويل العقلي، والعلم بالوحي والعلم بالمناهج البشرية، مع ضرورة توافق الحقيقة المستنبطة من البحث في القرآن مع غيرها من الحقائق القرآنية، ووجوب الالتزام بمصطلحات القرآن الكريم والسنة الشريفة وتجنب المصطلحات الأخرى، وضرورة إخلاص النية وسلامة القصد. ■

على الامة المسلمة إنشاء علوم مؤسسة على المفهوم القرآني للإنسان

هامش:

(١)، (٢) انظر:

ـ د. فاروق أحمد دسوقي، الأصول الاعتقادية للمعرفة، ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام، بدون ناشر، ١٩٩١.



الإبل والتكيف مع حياة الصحراء

لعبت الإبل دورا هاما في حياة الإنسان العربي.. إلا أن أصل هذا الحيوان يعود إلى الجزء الشمالي من القارة الأميركية

بقلم الدكتور: عواد جاسم الجدي
باحث في تنمية الموارد البيئية

رغم تقدم وسائط النقل الحديثة الجوية والبرية والبحرية، فلا يزال الجمل هو الحيوان الوحيد الذي دانت لسلطان صبره الفيافي المترامية الأطراف وخضعت لصبره وجلده مساحات شاسعة من الرمال يقطعها بتحمل المشاق غير آبه بحرّ الرمال اللاهب، ينتقل بخف من الجلد السميك القاسي ولقساوته صنعت منه الدروع الحربية منذ قديم الزمان للوقاية من طعنات الرماح وضربات السيوف.

ورغم التقدم العلمي وتطور علوم التشريح والعلوم الحيوية الأخرى، ولكن ذلك لم يقدم تفسيرا علميا وافيا للحادثة التاريخية الشهيرة يوم تحرك خالد بن الوليد - بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب - من العراق متوجها إلى الشام لنجدة جيش أبي عبيدة بن الجراح فكانوا يعمدون إلى إرواء الجمال وربط أفواهها فإذا ما عطشوا نحروها وشربوا المياه من جوفها.

وحين كتب تيودور مونو «Theodore Monod» - المكتشف الشهير الذي جاب الصحراء الغربية الكبرى - كتابه عن «الهجانة» أهداه إلى الجمل والماعز الراية والوعاء، وهما الحيوانان الوحيدان اللذان أمكن لهما تذليل الصحراء، وكان ذلك عام ١٩٣٧. لقد خاطب الحق عز وجل الإنسان بقوله: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ [الغاشية:١٧].

فبذلك حكمة وإشارة إلى حقائق علمية دعا الخالق عز وجل الإنسان إلى التأمل فيها، لقد أشار الله عز وجل إلى حيوان واحد في سلم التصنيف الحيوي الذي يقدر العلماء احتواءه على ٣٠ - ٨٠ مليون نوع لم يصنف منها إلى الآن سوى ١,٤ مليون نوع.

وذلك لما للجمل من مكانة هامة في حياة الإنسان بشكل عام، والإنسان العربي بشكل خاص، إذ لولا هذا الحيوان الصبور المتحمل لما استطاع ابن البادية التكيف مع أسباب المعيشة الصعبة فيها.

الإبل عبر التاريخ

لعبت الإبل دورا هاما في حياة الإنسان العربي بشكل خاص، إلا أن أصل هذا الحيوان يعود إلى الجزء الشمالي من القارة الأميركية حيث لا تزال إلى اليوم في أميركا أنواع من الجمال تعرف باسم «اللاما» وانتقلت الجمال إلى آسيا وباقي أنحاء العالم عبر الممرات الجليدية بين القارتين والمسماة حاليا «بحر بيرنج» الموجود بين سيبريا وآلاسكا، أما استئناس الإبل فيشير العلماء

بناء على دراسات أثرية إلى أنه يعود إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، حيث تم اكتشاف صورة هجين على ظهرها راكب في خرائب «تل حلف» في العراق.

وذكر القرآن ناقة ثمود حيث دعا النبي صالح عليه السلام ربه وخلق لهم من الصخرة ناقة ووليدها ليشربوا من لبنها، فلما كذبوا وقتلوها جاءهم عذاب ربهم وأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وهاجر الرسول محمد ﷺ بصحبة صاحبه أبي بكر الصديق، وحملتهما الناقة «القصواء» ولا تزال الإبل تنتشر في العالم عامة، وفي البلاد العربية بشكل خاص، حيث تملك ٦٠,٩٪ من مجمل احتياطي العالم من الإبل، ويعتقد أن استئناس الإبل البرية تم في مكان ما من شبه الجزيرة العربية في وادي حضرموت ومنها انتشرت إلى العالم.

الإبل والتكيف مع البيئة الصحراوية

عندما خاطب الله عز وجل الإنسان بشكل عام والعرب بشكل خاص، فإنما أشار إلى أحد مخلوقاته الذي عايشه العرب وعايشهم وعرفوا به وعرف بهم فنقلهم من مكان إلى آخر يسير يوميا حتى ١٠٠ كم خاصة الإبل المعروفة بـ«الهجن»، وهي قوية وشديدة، وقادرة على المباغتة وسريعة في الكر والفر.

ويسير الجمل بأثقاله دون تذمر يقطع الصحراء متحملا وطأة الجوع وشدة العطش، وخص الله الإبل بذلك القول لأنها أوتيت من القدرة على تحمل الظروف البيئية الصعبة ما لم يؤتها حيوان آخر غيرها.

فباستطاعة الجمل التغذي على النباتات البرية الشوكية التي لا تنمو إلا حيث يوجد الجمل في البيئات الجافة، بل وشديدة الجفاف، ولهذه النباتات خواص فيزيولوجية ومورفولوجية لتتحمل ظروف الجفاف التي تحول أوراقها إلى أشواك أو تغطيها بطبقة شمعية صلبة غير مستساغة من قبل الحيوانات الأخرى.

حتى أن تسمية بعض هذه النباتات نسبت إلى الجمل كنبات خف الجمل، أو الخرشوف، ونبات كعوب الأباعر، وهو نبات شوكي له أسنان حادة ولا تتغذى عليه سوى الجمال، ومثله نبات الصر وشوك الجمل، والصريرة.

ويستطيع الجمل التغذي على نباتات البيئات المالحة التي تعيش في الملوحة وتنمو على أطراف السباخ ويتدرج طعم هذه النباتات من المر إلى المالح فالحامض كما في نبات الحمض.

وللإبل ميول إلى رعي نباتات المناطق الرملية والتعايش معها، فهي بذلك تقوم بدور التقليم الطبيعي لهذه الشجيرات حيث لا يقدم على ذلك أي حيوان آخر، ورعي هذه الشجيرات يعتبر تقليما بيئيا وهو بمثابة محفز بيئي لبعض هذه الأنواع لكي تواصل النمو وتعطي الأزهار التي تتطور إلى بذور لحفظ النوع من الاندثار، وتعود إمكانية الاستفادة من هذه النباتات الشوكية وتحمل الجوع إلى كبر وطول الجهاز الهضمي لدى الحيوان، حيث إن طول القناة الهضمية يؤدي إلى بقاء الغذاء مدة طويلة فيها، كما أن غذاءه الذي يعتمد على النباتات الشوكية والملحية، حيث ترتفع نسبة المادة الجافة فيها.

وترتفع نسبة الألياف والليجنين فإن عملية هضمها تتم ببطء شديد، وباستطاعة الجهاز الهضمي للإبل أن يحول المخلفات النتروجينية إلى بروتينات بعكس الحيوانات المجترة الأخرى التي تطرحه عن طريق البول، وتتحمل الإبل هذه الظروف والمادة العلفية القاسية دون أن يطرأ عليها أي عرض مرضي، نتيجة تناولها هذا النوع من الغذاء. وتتحمل الإبل العطش إلى درجة الغرابة، وقد تفاوتت الدراسات العلمية في تحديد المدة فأشارت بعض الأبحاث إلى أن الجمل يتحمل عدم وجود الماء مدة من ٢ - ٤ أشهر في فصل الشتاء والربيع، حيث تكون نباتات المرعى خضراء، وفيها نسبة مرتفعة من الرطوبة، في حين يقاوم الجمل العطش لمدة أسبوع إلى ١٠ أيام في الصيف.

وبمقدور الإبل الاستفادة من أي نوع من أنواع المياه وتشربها سواء أكانت آسنة أم مالحة أم عذبة أم مرة، ويعود ذلك إلى التكوين التشريحي والفيزيولوجي للكلى ومقدرتها على طرح هذه الكميات الكبيرة منها.ويستطيع الجمل ترشيد واقتصاد واستهلاك المياه في جسمه، ويعود ذلك إلى أكثر من احتمال كما أوردها الباحث عبد الحافظ حلمي محمد، فيشير الاحتمال الأول إلى وجود الخلايا والجيوب المائية في كرش الجمل الذي يعتبر بمثابة مخزن احتياطي للماء يخزن به الجمل ما يزيد عن حاجته وقت الشرب وسعة هذه الجيوب من ٥ - ٧ ليترات من الماء.

أما الاحتمال الثاني فيتعلق بالسنام الذي يحتوي على الدهون المخزنة، وعند احتراق الدهون لإطلاق الطاقة عندما يقل الغذاء يحصل الجمل على الماء الناتج عن أكسدة هذه الدهون. في حين يذكر الاحتمال الثالث أن الماء منتشر في جميع أنحاء جسم الحيوان، وقد تزودنا الدراسات العلمية القائمة في المستقبل بنتائج وحقائق علمية تساعدنا على معرفة كيف يقوم الجمل بتنظيم وترشيد استهلاك الماء داخل جسمه.

وعندما تساق الإبل إلى مورد الماء تخف السير نحوه ويدرك الجمل بحواسه وجود الماء وينـدفع نحوه، وإذا منع من الوصول إلى الماء فإنه يرمي نفسه في البئر، ومن علامات عطش الإبل انهمار الدموع من عيونها، وعدم الإقبال على المرعى، وتبدو مضطربة قلقة ويلاحظ ضمور السنام قليلا لاحتراق

رغم تقدم وسائط النقل الحديثة.. فلا يزال الجمل هو الحيوان الوحيد الذي دانت لسلطان صبره الفيافي والصحارى

الدهون كما مر سابقا.

وبمقدور الجمل أن يعوض ما فقده جسمه من ماء حتى إذا فقد ثلث وزنه من الماء فإنه يتابع حياته دون أن تخور قواه، فإذا ما وجد الماء يشربه حتى يعوض الفاقد، ولاحظ الباحث سميث نيلسون أن جملا حرم الماء في قيظ الصحراء ثمانية أيام، فقد من وزنه ٥٥ كغ، ولما قدم له الماء تجرع منه نحو ١٠٠ ليتر في عشر دقائق فقط.

أما تنظيم حرارة جسم الجمل فهي من المسائل التي تستحق الوقوف أمامها بتمعن حيث يستطيع الجمل التحكم بحرارة جسمه فيرفعها ويخفضها لغاية ١٢ درجة مئوية، فعندما تكون حرارة الصحراء ٥٠ درجة يستطيع الجمل أن يجعلها ٣٨ درجة مئوية، وبنفس الآلية يرفع حرارة جسمه ليلا عندما تنخفض درجة الحرارة، ويستخدم الجمل طريقة توازن الحرارة هذه خاصة في أوقات الظمأ، فإذا كان الحيوان مرتويا فلا يتجاوز تفاوت الحرارة أكثر من درجتين مئويتين، أما عندما يعطش الحيوان فتزداد هذه الفروق وتكون نتيجة هذا التفاوت الكبير في درجات الحرارة زيادة سعة الجسم في اختزان الحرارة فلا يضطر الجمل للتعرق إلا إذا تجاوزت حرارة جسمه ٤١ درجة مئوية، وهذا نادر الحصول في الحالات العادية، وإذا حصل ففي فترة قصيرة من النهار، أما في المساء فإن الجمل يتخلص من الحرارة التي اختزنها بالإشعاع ويوصلها إلى الجو المحيط به دون فقدان الماء بالتعرق وهذا ما يوفر كمية المياه التي يستهلكها الحيوان.

كما إن وجود الوبر على جسم الحيوان يعمل على مساعدة الجمل على عدم التعرق حيث يحافظ على عدم التعرق فيحافظ الجمل على حرارة الجسم ثابتة، ويساعد على ذلك رقة الطبقة الدهنية في جلده، لأن معظم الدهن مختزن في سنام الجمل، الأمر الذي يجعل الأوعية الدموية قريبة من السطح الخارجي للحيوان مما يسمح بإشعاع حرارة الدم ونقلها إلى الجو المحيط.

● ناقة ووليدها

ويسير الجمل مع الريح وبعكس اتجاه الرياح التي تحمل الرمال السافية، ولكن الجمل يتقي هبوب الرياح المحملة بالرمال والغبار، وذلك بأهدابه الطويلة، حيث يستطيع إغلاق عينيه جزئياً ويستمر بالمسير والرؤية. وحتى أسنانه السفلى والوسادة اللحمية العلوية هي وراء السر الذي يملكه الجمل بعملية الرعي، فلا يرعى النباتات رعيا جائرا، ولا يخلع النباتات التي يرعاها بل يتركها بجذورها، ويأخذ منها النامي الغض فقط، تلك هي حكمة الله في خلقه بأن زود الجمل ما يدعي إلى الحفاظ على نباتات المراعي، والحفاظ على التوازن القائم بين الحيوان والمرعى، تلك هي بعض الأمثال التي ضربها المولى جلت قدرته، وجاء العلم والفلسفة العلمية والفكر العلمي ليقدم تفسيرا علميا لمقدرة الجمل على التعايش والتكيف مع الظروف البيئية القاسية.

لم ينل أي حيوان الاهتمام الذي ناله الجمل وكذلك الرعاية والعناية حتى بلغت أسماء الجمل مئات عدة

ولم ينل أي حيوان الاهتمام الذي ناله الجمل وكذلك الرعاية والعناية حتى بلغت أسماء الجمل مئات عدة وأسهب الشعراء والكتاب في وصفه ومدحه حتى أصبح مرادفا لكل ما هو خير ورمزا للصبر والمثابرة والعمل بدون تذمر.

فسبحان القائل في محكم تنزيله العزيز: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ ■

رأي

«حيرة»

بقلم: د. قاسم القادري

سألت يوما جناب المحلل، فسّر لنا يا رفيق وحلل، لماذا انهزمنا ونحن بكثرة، وفاز العدو ونحن منه أثرى؟؟

أجاب المحلل برأي اليسار، الأمر واضح بكل اختصار، جذور الهزيمة جد بعيدة تمس التراث تطال العقيدة..

ما دمنا نحمل أفكارا غيبية، مالم نعتنق النظرية العلمية، فأوضاعنا سوف تبقى أليمة والهزيمة سوف تعقبها الهزيمة..

وفقا لآراء قالها لينين، وأخرى لماركس وانجلز وستالين، فإن حزب الطبقة العاملة هو القائد للثورة الشاملة..

لقد فشلت قياداتنا الحقيرة، لأنها بورجوازية صغيرة، ولن يقود مسيرة النضال، الاّ تحالف بقيادة العمال.

***

أمام نصائح رفيقنا المعلق، الذي كان يغوص ثم يحلّق، بدأنا النقد والتحليل والابحاث، وشنينا الحروب على التراث.. ادخلنا إلى القاموس ألفاظا جديدة، في البيانات والكتب وصفحات الجريدة، دوغم وشوفين كومبرادور وتكتيك، دينامي وكومين بروليتاري وبلشفيك.. بدّلنا الحديث والسنة والقرآن، غيرنا الأئمة والعقيدة والإيمان، وصار تاريخنا خزانا للعيوب، وصرنا نرى الدين أفيون الشعوب.. اتخذنا الروس احلاف الطريق، وسرنا خلفهم في كل منعطف دقيق، ومن تساءل أو وجه النقد واستفهم، صنفناه رجعيا غافلا لايفهم!!

لكن الأمور تردّت وساءت، وفشلت مسيرة اليسار وخابت، وعدنا من جديد لطرح السؤال، عن الدرب وعن أساليب النضال..

عدنا لأستاذنا القاضي الجليل، لنأخذ العبرة وخلاصة التحليل، قال: اطمئنوا فالمسيرة صحيحة، والخط سليم والشواهد صريحة.. ليست العلة في العقيدة والمقياس، إنما العلة في القيادة والناس، نموذج كامل أثبت التاريخ جدواه، ولكننا نحن الذين مسخناه وشوهناه.. وبينما عدنا لتصحيح القيادة، وحسم موضوع السلطة والسيادة، نقلت الينا الصحافة والأخبار، بأن (النموذج) الخادع متصدع منهار..

وما إن تأكدت صحة الأنباء، وزال الغطاء من فوق الخواء، حتى عدت إلى المحلل استفتيه، فلم أجده ولغاية الآن لم ألاقيه.

***

قال اليمين: لديّ الجواب، رأيي صحيح وفيه الصواب، هزمنا لأننا اعتبرنا الشجاعة، تغني عن العلم وإتقان الصناعة..

حكم اليسار نيابة عن العمال، فعم الفقر وفرّ رأس المال، ولم نكتسب تقنية العلم والعصرنة، فسقطنا ضحايا الآلة والمكننة..

اتبعنا سياسة العنف والتطرف، فعم الجهل وساد التخلف.

تركنا الغرب وسرنا وراء الروس، حتى انهزمنا وانتهينا بالنكوص، ومالم نقتدي بنهضة أهل الغرب، فإننا سنفشل ولن نفوز بأي حرب..

ودعاة الغرب ما حلوا قضية، سلموا الجاني كل ثروات الضحية، عطشى وتخدعهم أمواج السراب، ونعاج في غابة ملأى بالذئاب.

***

وقال جمع من أئمة المسلمين، تعالوا فعندنا الخبر اليقين، لقد تهنا وعشنا في اغتراب، فحل بنا ما حل يوما بالغراب.. سيطر الإلحاد وانتشر الفجور وتفرق الشمل وافلتت منا الأمور، وأمام هجمة الافكار الغربية، فقدنا الأصالة والفضائل الخلقية..

تركنا الدين ابتعدنا عن الأصول، فأصابنا الانحلال من بعد الذبول، ولن ينصر الله الذين ضلوا السبيل، ولو ملكوا السلاح والأساطيل..

عندنا في القرآن ما يغني عن الأغراب، وما من رطب ولا يابس الا في الكتاب، تمسكوا بالقرآن والسنة لن تضلوا، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تخلوا.. لن يكون هناك فتح ولا نصر مبين، إلا اذا حكم الشرع كما نصه الدين، وكما أمدنا بنصر ونحن قلة، فلسوف ينصرنا ولو كنا أذلة..

أصبت بحيرة وعشت في ارتباك، وأنا اتقلب بين رأي هذا ورأي ذاك، وبالرغم من التفحص والتمعن والإختبار، عجزت عن التحديد وعن أخذ القرار..

كيف الركون لرأي يدّعي حل القضية، ونحن ما زلنا نفتش عن هوية، الكل منقسم والجزء منفصم بدون قرار، كل جزء له خط وجزء الجزء له مسار؟

كيف يوجد الدين إذا أصبح الرأي دينا؟ وإذا تفاسير الكتاب باتت قرائنا؟

إذا كنا انقسمنا.. وحول الشرع ننقسم.. والكل فينا ينادي: بحبل الله اعتصموا!!

دلوني على خط جميعا ارتضيناه، على خليفة أو إمام ما قتلناه، عرفوني ما عدت أفهم من أنا؟ أنا ذاتي أم آخر نفسي له مسكنا؟؟

اتبعنا سياسة العنف والتطرف، فعم الجهل وساد التخلف.

أبو عمرو الداني.. المقرىء

في تاريخ الأمة الإسلامية رموز شامخة ودلائل عجاب على عظمة رجالاتها عبر تاريخها الحافل المديد، يتجلى ذلك حينا عندما يتفاعل الإيمان مع العمل فيمده بقبس الهداية، وحينا آخرعندما يتوافق الإيمان مع العلم فيكسبه سبل الرشاد وينأى به عن الغواية والضلال. وهناك شواهد حية من رجالات هذه الامة - يطول الوقوف عندها - كان الإيمان بمفهومه الصادق حافزاً لهم على العمل لخدمة دينهم وصلاح دنياهم، وكان العلم بمختلف فروعه الدينية والدنيوية مسخراً من لدنهم لصون دينهم وخدمة كتاب الله الخالد: القرآن الكريم.

نسوق هذا كله لأن علماً كعلم الحساب - وهو من العلوم الدنيوية - قد وظفه علماء العرب والمسلمون بصورة تستأهل الإعجاب والتقدير في مجال اللغة تارة وفي علوم القرآن تارة أخرى.

أبو عمرو الداني.. عقلية رياضية نادرة.. وظف قدراته في خدمة علم من أهم علوم القرآن

وإذا كان الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) مثلاً من بين أمثلة كثيرة يضيق عنها الحصر، قد تمتع بقدرات فائقة وبذهنية رياضية محكمة أدت به إلى ابتكارعلم العروض وفق جدلية رياضية فذة وانتهت به الى وضع الدوائر العروضية المعروفة حتى غدت اساسا يقوم عليه علم العروض برمته، كماأدت به تلك الذهنية الرياضية إلى وضع أول قاموس لغوي على أساس من الأصوات اللغوية وتقليبها حسابياً وحصر المستعمل من اللغة واستبعاد المهمل منهاوكان نتاج ذلك كله قاموس العين المعروض... فإن أبا عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) قد وظف هو الآخر كل معارفه الرياضية في خدمة علم العدد في القرآن الكريم. وكتابه (البيان في عدّ آي القرآن) خير شاهد وخير دليل.

نشأة علم العدد في القرآن

رافق نزول القرآن منجما ليقرأه النبيّ ﷺ على الناس على مكث، ظهور طبقة من الحفاظ والقراء

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي

وكتبة الوحي، وكان لرجالات هذه الطبقة دورها البالغ في المحافظةعلى القرآن وصيانة نصوصه وحفظ تعاليمه منقوشة في السطور مجموعة في الصدور(١) فكانت تنزل خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل(٢) وكان نفر من الرعيل الأول من الصحابة والقراء وكتبة الوحي يعدون الآي من القرآن في صلاة التطوع(٣)، ويرون ان ابن عباس كان يعدّ الآي في الصلاة المفروضة وكذلك أنس بن مالك وعائشة(٤).

وترد في هذا السياق كلمتا (عدّ-عقد) وكلتاهما لاتخرج عن دائرة حساب عدد الآيات فمن عدّ عقد بأصابعه، ويروى ان ابن عمر قال: وأنا أعقد الآي في الصلاة(٥) وغيره كثير، ومنهم من كان يقتصر في ذلك في صلاة التطوع ومنهم من كان يجمع ذلك في صلاة التطوع وفي الصلاة المفروضة(٦).

ويبدو أن ظاهرة العقد بالاصابع اثر عربي ضارب بجذوره في الحياة العربية القديمة، فكان وسيلتهم الوحيدة للعد: عدّ المناقب والمثالب وعدّ الأيام والسنين وله صلته بأعمال التجارة والبيع، ثم انتقل ذلك الاثر الى عدّ الآي في القرآن، ويتضح من خلال الروايات وتتبع الأحداث ان النبي ﷺ كان اول من سنّ ذلك، فكان إذا حدث فيما يتصل بالأعداد عدّ كما تعدّ الأعراب(٧) ويروى عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة (بسم الله الرحمن الرحيم) فعدّ آية ﴿الحمد الله رب العالمين﴾ آيتين ﴿الرحمن الرحيم﴾ ثلاث آيات ﴿مالك يوم الدين﴾ أربع آيات ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ جمع خمس أصابعه وفي بقية الخبر حتى عدّ سبع آيات عدد الأعراب، ويروى ثم رفع اصبعا أخرى يريد سبعاً: الخنصر والبنصر(٨)، وهناك اكثر من رواية تؤكد ان النبي ﷺ قال: الشهر كهذا وكذا.. وخنس الإبهام في الثالثة(٩).

وكما يبدو ان ظاهرة العد بالاصابع كانت تبدأ من الواحد وتنتهي عند العدد عشرة ليتوافق ذلك مع اصابع اليدين العشرة، فإذا تجاوزت الحاجة العد الى العشرين عقد بأصبعين للدلالة على ذلك، وهذا ماولّد مايسمى بألفاظ العقود وهي من العشرين إلى التسعين، وقد

طبق علماء العدد- في ما يبدو- ذلك كله على اجزاء القرآن الثلاثين واحزابها الستين، فعن ابي عبد الرحمن عن علي (رضي الله عنه) أنه كان يعد (يكذبون) عشرة ﴿وعلى كل شيء قدير﴾ عشرين ﴿مالا تعلمون﴾ ثلاثين ﴿وإياي فارهبون﴾ أربعين ﴿وأنتم تنظرون﴾ خمسين ﴿ولاتعثوا في الأرض مفدسين﴾ ستين﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ سبعين ﴿على الله مالاتعلمون﴾ ثمانين ﴿عذاب مهين﴾ تسعين ﴿بل اكثرهم لايؤمنون﴾ رأس مئة(١٠)، وهكذا أخذ العدّ طريقه إلى كتاب الله.

تطور علم العدد في القرآن

وإذا كان الرسول ﷺ قد سنّ عدّ الآيات وعقد الأصابع في تعداد بعض الآيات القرآنية فيما أثرعنه بهذا الخصوص، فقد تلقف نفر من الصحابة وطبقة القراء وكتاب الوحي هذا الأثر ومضوا فيه هم ومن تبعهم حتى أصبح علماً تعقد له الحلقات، ولاشك ان نزول القرآن منجما قد مكنّ لهم ذلك وسهل السبيل إليه.

وتجدر الاشارة إلى أن الآيات القرآنية لم تكن تحمل أرقاما، إذ أن الترقيم من إضافات المتأخرين فكان السلف الصالح يضعون أول الأمر ثلاث نقط عند رأس كل آية ثم تطورت النقط الثلاث فصارت دائرة ثم كتب رقم الآية في داخلها في العصور المتأخرة(١١)، ولكن ترتيب الآيات كما هي عليه الآن في جميع المصاحف توقيفي ليس لهم فيه شأن(١٢)، كما ان الظاهرة القرآنية في مجملها وفي صوره تكاد تكون مطردة تقوم على مايسمى بنظام الفواصل ورؤوس الآيات(١٣) وهو أمر من شأنه ان يعرفهم أن هذه آية قائمة بذاتها مستقلة عما قبلها وعما يليها من آيات، اللهم إلا في ما اختلفوا فيه وهو خلاف شكلي.

وهكذا اصبحت الحاجة الى العد ملحة ومسألة ضرورية مع الاستمرار في نزول الوحي، وإذا بنا نشهد في فترة وجيزة ان هناك من ينقطع الى تعليم العدد فيروى عن عبيد الله بن عيسى عن أبيه- وكان قد قرأ على ابي عبد الرحمن- انه كان يعلم من يقرأ عليه العدد كمايعلمهم القرآن(١٤)، وكان الكسائي - احد القراء السبعة - يعقد الآي ويحلق عند العشر بيمينه في قراءته على الناس(١٥).

ويمكن القول إن تعلم القرآن سار جنبا إلى جنب مع تعلم العدد، الأمر الذي أدّى الى مايسمى مدارس العدد أو مدارس الامصار في العدد، وهي تلك الأمصار التي عنيت اكثر ماعنيت بالقراءة والإقراء ولكل مدرسة علماؤها يقول الداني: اعلم أن الاعداد التي يتداولها الناس بالنقل ويعدون بها في الآفاق قديما وحديثا ستة: عدد أهل البصرة، وعدد أهل الشام(١٦) وليس من شك في أن بين كل مدرسة وأخرى قدراً من الاختلاف في العد والعدد وهو خلاف شكلي، فكان هؤلاء يعدون هذه الآيات خمسا وأولئك يعدونها ستا(١٧).

وقد أدى وجود هذه المدارس وماهي عليه من الاختلاف إلى وجود علم الإسناد في العدد فلايعد العاد شيئا إلا ويذكر سنده ليعزز موقفه ويدعمه بالرواية، وإذابنا نشهد في فترة وجيزة من يقدم على وضع مؤلفات في العدد سبقت كتاب الداني بزمن ليس بالقليل، ويفهم من الكشاف الذي اورده محقق كتاب الداني ان هناك خمسة وعشرين مؤلفا سبقت كتاب الداني كان اولها: كتاب (العدد - عن أهل مكة) لعطاء بن يسار (ت ١٠٣هـ) وآخرها: كتاب (الاختلاف في عدد الاعشار) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ثم يأتي كتاب الداني (ت٤٤٤هـ)(١٨).

وليس من الضروري ان يكون الداني قد وقف على جميع هذه المصنفات التي سبقته ولكنه يقينا قد وقف على العديد منها، إذ أن كتابه يمثل الجهد الكبير الذي بذله علماء المسلمين في دراسة نص القرآن والعمل على ضبطه وصيانته حتى بلغ بهم ذلك آن احصوا حروف القرآن حرفا حرفا وهو مالم يحدث مع غير القرآن(١٩).

كتاب / البيان في عدّ آي القرآن

تتجلى عقلية الداني الرياضية في هذا الكتاب بصورة تستأهل التقدير والإعجاب. فكتابه من اكبر الكتب المؤلفة في علم العدد القرآني، جمع فيه مؤلفه مادة الكتب القديمة السابقة له في موضوع عدد آيات السور وتعيين رؤوسها وعدد كلمات القرآن وحروفه وعدد اجزائه ومواضعها(٢٠) ويمكن تقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام رئيسية:

الأول: يشتمل على مادة علمية وفيرة في علم العدد وذكر السنن والآثار التي فيها ذكرالآيات والعشور ومن عقد (اصابعه) في الصلاة من الصحابة ومن كان يعد من أئمة القراءة ويعلمه ويحث عليه وذكر السنن الواردة في العقد بالاصابع وكيفيته وذكر الاعداد والى من تنسب من أئمة الأمصار ومن رواها عنهم وذكر اسانيد لتلك الاعداد التي بلغت مؤلف الكتاب عمن سبقه من الأئمة وذكر عدد كلم القرآن وحروفه وقول كل واحد من أئمة العدد ومدى اتفاقهم واختلافهم فيه..

وهذا القسم الذي يشغل من (ص١٩-١٣٨) يشتمل على مادة علمية تاريخية غنية في علم العدد، ولعل ابرز مايميزه كثرة الاسانيد

سخّر المسلمون العلم بمختلف فروعه الدينية والدنيوية لصون دينهم وخدمة كتاب الله الخالد

سار تعلم القرآن جنبا إلى جنب مع تعلم العدد، الأمر الذي أدّى الى مايسمى مدارس العدد أو مدارس الامصار في العدد

والروايات، فلا يذكر رأيا او خبرا أو عددا إلا ويشفعه بسلسلة من الاسانيد ترقى إلى الرعيل الاول من جيل العادين من الصحابة والتابعين، وتتجلى فيه القدرة العجيبة في ضبط الاعداد حسابيا ونسبة كل طائفة إلى إحدى مدارس الأمصارأو إلى أئمتها، وكأننا امام عمل موسوعي معجمي في علم العدد في القرآن، فيه من اساليب التقصي والتوثيق في الإسناد مايرقى به الى درجة الإحكام في العمل والدقة فيه.

القسم الثاني: (من ص١٣٩-٢٩٨) يتسلسل فيه مع سور القرآن سورة سورة ابتداء من فاتحة الكتاب وانتهاء بسورة الناس، ويمكن القول إنه في هذا القسم طبق عمليا آراء أئمة مدارس الأمصار في العدد ومدى اتفاقهم أو اختلافهم فيه. ولايخلو هذا القسم من ظاهرة الإسناد العددي التي تكاد تميز الكتاب، وهنا تتجلى الذهنية الرياضية المحكمة مرة ثانية في كتابه.

القسم الثالث:(من ص٣٠٠-٣٣٤) وهو في بحث عدة مسائل تتصل بأجزاء القرآن ونصفه وأثلاثه وأرباعه وأخماسه، وأسداسه وأثمانه وأتساعه وأعشاره، ثم في أنصاف كل من الأسباع والأسداس والأثمان..الخ، ثم في سير بعض الصحابة «رض» في كيفية قراءتهم للقرآن.

من خلال هذه الدراسة المحكمة الفريدة لعلم العدد برزت العقلية الرياضية للداني (رحمه الله تعالى) وقدرته علي الحفظ فيما يتصل بالموروث في مجال العدد، وفي الترتيب فيما يتصل بالمادة العلمية المتراكمة، وفي التبويب في ما يتصل بتوزيع المادة ونشرها على صفحات كتابه، بحيث يمكن القول: إننا أمام عمل نادر استطاع صاحبه أن يوظف قدراته في علم العدد.

علم العدد.. إلى أين؟

ظل علماء العدد- بعد الداني - يتابعون دراساتهم واحصاءاتهم، فهناك عدد من المؤلفات ظهرت بعد كتاب الداني(٢١) ولكنها لاتشكل ثقلا إلى جانب عمل الداني الذي يتصف بالعمل الموسوعي، ويكاد يكون علم العدد قد توقف عندما ظهرت طبعات المصحف الشريف في المشارق والمغارب مرقمة وانتشرت انتشارا سريعا واسعا وهي تحمل ارقام الآيات وفقا لما اتفق عليه في قراءة حفص عن مقرىء الكوفة عاصم بن أبي النجود(٢٢).

أين نحن من أولئك؟

حقا أين نحن من أولئك الذين واصلوا نهارهم بليلهم في خدمة كتاب الله العزيز، مع ضعف إمكاناتهم المادية فلم تكن لديهم الآلات الحاسبة ولا الاجهزة الحديثة، ومع ذلك لم يثنهم ضعف الامكانات عن العمل،وفي تقديري لو ان هناك مؤسسة في علم الحاسبات الحديثة تفرغت لمثل هذا العمل المعجز مع وجود فريق من المتخصصين في علم الحاسوب لربما ظهر في عملها شيء من القصور فضلا عن التقصير في بلوغ الغايات هذا إذا لم يكن هناك عزوف وانصراف الى الماديات والمنافع

الهوامش :

---

* الخليل بن أحمد بن عمر بن تيم الفراهيدي، كان آية في الذكاء، اراد عمل نوع من الحساب تمضي به الجارية الى القاضي فلايظلمها، (بغية الوعاة – للسيوطي – ص٢٤٥).

* أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ) احد كبار الأئمة في القراءات له عدة مصنفات منها الوقف والابتداء (مقدمة الناشر، وانظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص٨٤).

* كتاب الداني نشره مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت. وقدم له مدير المركز محمد ابراهيم الشيباني، وحققه الدكتور/ غانم قدوري الحمد.

١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ص١٧.
٢) نفسه، ص٤٩.
٣) الداني، البيان في عد آي القرآن، ص٤١.
٤) نفسه، ص٤١.
٥) نفسه، ص٤٣.
٦) نفسه، ص٤٧.
٧) نفسه، ص٦٢.
٨) نفسه، ص٦٢-٦٣.
٩) نفسه، ص٦٥ (وهذه رواية البخاري وفي كتاب الداني: الثانية).
١٠) نفسه، ص٥٨(كل ذلك من سورة البقرة).
١١) نفسه، ص٣ (مقدمة المحقق).
١٢)الصالح، ص ٧٠.
١٣) الفواصل أو رؤوس الآيات هي آخر كلمة في الآية (مقدمة الناشر).
١٤) الداني ص٤٨.
١٥) نفسه ص٤٩.
١٦) نفسه ص٦٧.
١٧) نفسه، ص٦٨.
١٨) نفسه، ص٥ و٦.
١٩) نفسه (مقدمة المحقق، ص٧).
٢٠) نفسه (مقدمة المحقق، ص١).
٢١) نفسه ص٥-٦.
٢٢) الصالح، ص٩٩و١٠٠.

تعامل المستشرقون اليهود مع القرآن كنص تراثي عادي.. أخضعوه لمنهج (الأثر والتأثر) المتعسف



اليهود.. ونشاطهم الاستشراقي [٣/٢]

قدّم الكاتب في دراسته هذه لعلاقة اليهود بالإسلام وموقفهم السلبي المبكّر، وأوضح الأهداف البعيدة والقريبة للدراسات الاستشراقية التي قام بها يهود. وفي هذا القسم الثاني والأخير يتعرّض بالبحث والدراسة لموقف المستشرقين اليهود من التشريع الإسلامي والقرآن الكريم..

المستشرقون اليهود والتشريع الإسلامي

تختلف طبيعة الشبهات ذات الخلفية اليهودية عن الشبهات ذات الخلفية النصرانية فالأولى تنحصر - إلا فيما ندر - في تشريعات الرسول ﷺ.

أما الثانية فتتعلق بالتشريعات والناحية الشخصية للرسول ﷺ وعليه فإن تناول الشبهات اليهودية يحتاج إلى المصادر في كثير من الأحيان، بعكس الشبهات النصرانية

بقلم: د. عبدالعال نوال راجي

التي قد تصدر عن الحقد والتعصب(٢٩).

وانصبت اهتمامات اليهود على الشرع الإسلامي متجنبة التجني على شخصية الرسول - بغض النظر عن بعض الاستثناءات - بل إننا نجد بعضهم حاول مدحه، فمثلاً رودنسون يعلن بأنه كان مولعاً كثيراً بحياة محمد ﷺ (فضمنت ولعي في كتاب عنه.. فإني معجب بعظمة هذا الرجل وعبقريته.. كتاب يحمل الكثير من التمجيد لشخصية الرسول باعتبارها واحدة من تلك الشخصيات الهامة التي غيرت تاريخ العالم)(٣٠). ويقول جولد زيهر(إذا الحق أن محمداً كان بلا شك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية، تلك كانت طرافته برغم قلة المادة التي كان يبشر بها)(٣١).

وهو هنا يطري - ظاهرياً - على النبي ﷺ ولكنك إذا تمعنت جيداً وجدته يطعن فيه وفي العقيدة الإسلامية. فمحمد ﷺ بالنسبة إليه لايتعدى دور مصلح وأن الإسلام الذي دعا إليه مجرد مادة غير مقنعة البتة.

إذا تبين لنا أن محاولاتهم مدح الرسول ﷺ إنما هي ذر للرماد في العيون. لنركن إليهم ليدسوا السموم فيما كتبوه لنا حول تشريعات المصطفى ﷺ.

فنجد مثلاً أن (زيهر) في تعريفه للحديث ترك التعريف الصحيح واختار تعريفاً تجاوز به تعريف العلماء السابقين ابتكره من عند نفسه حيث قال: (الحديث لفظة تعني (الحكاية) أو (الخبر) وليس هذا الخبر الذي بين معتنقي العقيدة الواحدة فحسب بل يراد بذلك المعلومات في الماضي البعيد أو من الواقع أو الأحداث المتأخرة (إلى أن يقول): (ومن سياق الأساطير والخرافات جعلت لفظة (حديث) لموضوعات القصص)(٣٢).

كما شكك – هو وغيره – في صحة الأحاديث النبوية وحاول إثارة الشبهات حول كبار الصحابة من رواة الحديث وحفظته، بحيث رأى (أن التاريخ قد تميز بعد وفاة الرسول ﷺ بوضع الأحاديث الشفوية والكتابية وهي غالباً ما وضعت لخدمة أغراض سياسية ومذهبية) وهو رأي لايستند إلى أسس علمية صحيحة بالرغم من محاولاته المتعددة لإضفاء الصحة عليه(٣٣) فجولد زيهر تحدد خطؤه دوما في تسلحه بالأفكار والأحكام المسبقة ثم يحاول تطويع النصوص. لتتفق وهذه الأحكام(٣٤) ومثال على ذلك اتهامه للزهري – مع أنه إمام في السنة وموضع ثقة العلماء جميعاً – بوضع الأحاديث للأمويين، ولإثبات زعمه عمد إلى تحريف نصوص الأقدمين فيما يتعلق بهذا العالم الجليل(٣٥).

واتهم جولد زيهر الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم – بالعبث في السنة وتأويلها وتعديلها بمايوافق أهواءهم وإخضاعها لاجتهاداتهم الشخصية فيقول: (بناء على الحاجة الضرورية في الحياة العامة بدأ تطور الفقه الإسلامي مباشرة بعد وفاة النبي ﷺ وكان دور الخلفاء هو حل المشاكل الجديدة بآرائهم أو بتأويل القرآن أي أن دورهم كان التبديل والتغيير)(٣٦).

ويشاطره شاخت رأيه حيث يقول: (وبموت النبي انتهى بالطبع التشريع الذي كان يقوم على التنزيل أو على حجة النبوة. وكان من الطبيعي أن يحاول الخلفاء الأول السير بالأمة الإسلامية على سنة منشئها، مسترشدين في ذلك برأي صحابة الرسول ﷺ وكانت المبادىء التي استرشدوا بها ماورد في الكتاب وصح من أحكام الرسول فيما لم يرد له ذكر في الكتاب ولما حاولوا بسط هذه المبادىء المحمودة نوعا ما، انتهى بهم الأمر إلى التوسع في تأويلها توسعاً خرج بها عن معناها الأصلي وربما كان سبباً في ظهور أحاديث جديدة) ويضيف يوسف شاخت: (وفي الوقت نفسه لم يكن الخلفاء محرومين من الجهود التشريعية ومن تغيير أحكام النبي وربما صح تاريخياً ما تقوله الروايات من أن أبا بكر يحتذي حذوه في هذا الأمر، بينما كان عمر أكثر ميلاً إلى التعديل والتغيير)(٣٧).

انصبّت اهتمامات اليهود على الشرع الإسلامي متجنّبة التجنّي على شخصية الرسول ﷺ ذرّاً للرماد في العيون

ويعمد المستشرقون اليهود إلى الترويج – وبكل الوسائل – لفكرة (الأثر والتأثر) أو (القدم والحداثة) التي مفادها أن أصول الإسلام إنما أُخذت نصوصها ومبادئها وأحكامها من اليهودية بطريقة سليمة أو مشوهة، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وقد عرض المستشرق جايجر وجود تأثير اليهودية في النبي ﷺ – في كتابه (ماذا اقتبس محمد عن اليهودية) – في نقاط هي: أفكار يهودية تسربت للإسلام – مصطلحات يهودية في الإسلام – اليهودية والعقيدة – اليهودية والشعائر والشريعة الإسلامية – اليهودية وقصص القرآن(٣٨).

وقد طرق غيره من المستشرقين اليهود الكثير من الشبهات حول العديد من المسائل المتفاوتة الأهمية. فمثلاً يقول بعضهم – ويوافقهم بركلمان (مسيحي) في ذلك – ان يوم الجمعة عند المسلمين شرعه الرسول ﷺ على غرار السبت اليهودي وأن صلاة الظهر أضيفت في المدينة على غرار اليهودية كذلك(٣٩) ويقول: واط .M.Watt (ويقوم شك حول صيام عاشوراء الذي يقع في يوم عيد الكفارة اليهودي وحينما حل العاشر من تشرين اليهودي أمر محمد بصيام هذا اليوم وإن كنا لا نعرف على التأكيد في أي شهر هجري يقع هذا الصيام)(٤٠). ومنهم من قال بأن شعائر الحج والوقوف بعرفة ورمي الجمار والعمرة كلها يهودية الأصل نسبة إلى أعياد اليهود(٤١)، ومنهم من حاول إثبات التشابه في بعض المسائل كالعدة ومدة الرضاعة.

ويجزم بوسكيه من خلال أمثلة قدمها كل من ميتوش Mittwoch حول الصلاة، وفنسك Wensink حول الطهارة، وبيالوبلوكي Bi-alobloki فيما يتعلق بالزواج والعلاقات الأسرية، ولامنس Lam-mens (يسوعي) فيما يتعلق بتحريم الصور تدل على التأثير الواضح الذي مارسه الشرع اليهودي على الفقه الإسلامي(٤٢).

ويكتب شاخت في الموسوعة الإسلامية الجديدة: إن جولد زيهر قد أشار في العديد من أبحاثه إلى ذلك التشابه الكبير بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني وتأثره كذلك بالتلمود اليهودي، فهو يرى – أي جولد زيهر – أن مصطلح (الفقه) و (الفقهاء) كلاهما مستمد من حيث مفهومه الفني من المصطلحات اليهودية (حكمة Hokhma)و(حكيم Hakamin) كما أنهما ترجمة لمصطلحي Prudentra و Juris اللاتينيين. وقد دخلت هذه المصطلحات إلى الفقه الإسلامي من القانون الروماني عن طريق التأثير اليهودي. كما يؤكد جولد زيهر في الموسوعة الإسلامية ذاتها أن فقهاء المسلمين الأوائل اعتمدوا وأقروا بوعي كامل بعض مبادىء القوانين الأجنبية والتي يصفها حرفياً بأنها إحدى المشاكل الأكثر تشويقاً في هذا الفرع من الدراسات الإسلامية(٤٣).

ويذهب فتزجيرالد Fitzgerald إلى اقتداء الفقهاء المسلمين بأهل الرأي من غير العرب من فقهاء – التلمود – اليهود(٤٤).

ويرى شاخت أن الفقه الإسلامي استقى من القانون اليهودي طريقة القياس بل إنه استخدم المصطلح العبري Higgis واشتق منه كذلك مصلحات الاستصحاب وغيرها من المصطلحات الأصولية... ثم إنه يؤكد تأثير القوانين اليهودية في مجال العبادات الإسلامية(٤٥).

المستشرقون اليهود والقرآن الكريم

كانت أول ترجمة للقرآن الكريم – كما هو معروف – سنة ١١٤٣ بإيعاز من الأباتي بطرس المحترم Pe-ter the Venerable (وكان أول ما فعله أن كلف يهوديين ملمين باللغة العربية بترجمة القرآن(٤٦) إلى اللغة

اللاتينية. وهما روبرت أوف تشستر Robert Of Chester وهردمان دلماتا Hermanus Dalmata، قام الأول بوضع ترجمة للقرآن الكريم وقام الثاني بكتابة مقدمة حول الرسول ﷺ ومبادىء الإسلام.

ولم يكن من قبيل الصدفة أن النسخة الأولى من هذه الترجمة طبعت بمدينة بازل Bale لصاحب مطبعة ودار نشر يهودي أيضاً عام ١٥٠٠م(٤٧) وهو تيودور بيبلياندر T. Bibliander وبعد ذلك أخذت الترجمات تتوالى بالعديد من اللغات ومنها العبرية التي وضعها حاخام جزيرة رانتي يعقوب بن إسرائيل عام ١٦٣٤م نقلاً عن الترجمة اللاتينية(٤٨).

وتعامل المستشرقون اليهود مع القرآن كنص تراثي عادي، أخضعوه لمنهج (الأثر والتأثر) المتعسف، (وقالوا إنه مأخوذ باللفظ أو المعنى من كتب اليهود كما فعل المستشرق اليهودي إبراهام جايجر محاولة منه إثبات نظريته الشريرة بأن النبي ﷺ أطلع على كتب اليهود وبلغاتها المختلفة: العبرية والآرامية، وبأنواعها المختلفة: التوراة والمكتوبات، والأنبياء، وغير ذلك)(٤٩). وافترضت دراسة جايجر اقتباس الرسول ﷺ الكثير من التعاليم والمفاهيم والآراء منذ زمن بعيد ضمنها قرآنه بما يناسب التصورات التي كانت سائدة في عصره، وأن قصص العهد القديم تحتل الجانب الأكبر من القرآن(٥٠) وكتب المستشرق اليهودي هنريك سباير Heinrch Spayer كتاب (القصص التوارتي في القرآن) اعتمد فيه الأشباه والنظائر في مقارنة موسعة لغوية، أسلوبية، روائية، حكم، أمثال، أسماء، مدن، أنساب، والمادة العلمية المعتمد عليها هي القرآن الكريم والأسفار اليهودية والكتاب المقدس والشروح.

والإثبات قائم على أحقية الأقدم دائماً وبالنقل منه لفائدة الأحدث فالأحدث(٥١).

وقد أخذ إبراهام كاتش A. Katsh على عاتقه مهمة (القضاء على القرآن. فكتب عن الأصول التوراتية والتلمودية (للقرآن وتفاسيره) وذلك عن طريق تتبع سورتي البقرة وآل عمران آية. وليس هذا فحسب بل إن تفسيرات المسلمين الأولى للآيات القرآنية – في نظره – مأخوذة من التلمود وشروحه ومن التوراة وشروحها(٥٢).

وسلك توري Torrey طريقاً آخر إذ حاول إثبات الاقتباس بتأكيد وجود (الفكرة) تبعاً لوجود (الكلمة) أي كمايخلص واط Montogomry Watt إلى تحديد نوع الأثر حين يزعم أنه كان تأثيراً طائراً أي مسموعاً لا مكتوباً(٥٣).

ويؤكد جولد زيهر: (لقد أفاد – أي الرسول ﷺ– من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء)(٥٤). ويطعن في التفسيرات الإسلامية للقرآن الكريم ويقلل من أهميتها ويشكك في موضوعيتها حيث يعلن (لقد أعطى المفسرون النص القرآن أكثر مما أعطاهم)(٥٥).

واحتج المستشرق اليهودي دافيد كونستلنجر David Kuenzilinger وغضب على اسم آزر الذي أطلقه هذا (العربي الأمي) خطأ على أب إبراهيم لأن المصادر اليهودية لاتعترف بآزر أباً بل خادماً لإبراهيم، وينوه بأن من يطلق (يا أخت هارون) على مريم العذراء برغم مايفصل بينهمامن زمن ليس مستغرباً أن يقع في نفس الخطأ(٥٦).

وينبغي الإشارة إلى أنه في هذه الدراسة اقتصرنا على بعض المستشرقين اليهود المشهورين فقط، وذلك راجع لندرة المصادر في هذا المجال. وقمنا بعرض آرائهم دون الرد عليها لضيق المساحة. ويمكن للقارىء الكريم الرجوع إلى لائحة المراجع المذكورة في الهوامش، ففيها مايشفي غليله في تفنيدها لأقوال أولئك المستشرقين والرد عليهابالحجج الدامغة■

الهوامش:

٢٩) مجلة المنهل/ ع٤٧١ ص ٣٧.
٣٠) نقلاً عن مجلة رسالة الجهاد/ ع٧٠ ص ١٦. وعن مجلة الدفاع السعودية/ ع ٨٨ ص ٤٩.
٣١) نقلاً عن: الرسول في الدراسات الاستشراقية المصنفة/ محمد شريف الشيباني/ ص ١٢٨.
٣٢) مجلة المنهل/ ٤٧١–ص ٥٢.
٣٣) الظاهرة الاستشراقية/ م١–ص٢١١.
٣٤) نفسه/ ص٢١٠.
٣٥) راجع في هذا الشأن الفصل الأول من كتاب: الاستشراق والمستشرقون/ للدكتور مصطفى السباعي.
٣٦) المنهل/ ع ٤٧١–ص٦٣.
٣٧) نفسه/ ص٦٤.
٣٨) رسالة الجهاد/ع ٧٥–ص ٧٦.
٣٩) المنهل/ع٤٧١–ص٣٧.
٤٠) نفسه/ ص٣٩.
٤١) المستشرقون والقرآن/ مرجع سابق/ ص٢٣.
٤٢) الظاهرة الاستشراقية/ المجلد الثاني–ص٥٠٠.
٤٣) نقلاً عن المرجع السابق/ م٢–ص٤٩٠.
٤٤) نفسه/ ص٤٩٢.
٤٥) نفسه/ ص٤٩٨.
٤٦) رسالة الجهاد/ ع٧١–ص ٨٦. لكن بعض المصادر ذكرت بأنهما كانا راهبين مسيحيين وليسا يهوديين.
٤٧) نفسه/ ص٨٦.
٤٨) د. محمد صالح البنداق/ المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ٩٦. وأورد الدكتور البنداق كذلك أن القرآن قد ترجم إلى لغة جدش Jidish وهي لغة ألمانية دارجة تكتب بحروف عبرية.
٤٩) نفسه/ ص١٠٧و١٠٨.
٥٠) المستشرقون والقرآن/ مرجع سابق/ ص٨٥.
٥١) رسالة الجهاد/ ع٧٥– ص ٨٠.
٥٢) رسالة الجهاد/ ع٧١– ص ٨٧.
٥٣) المستشرقون والقرآن/ ١٠٤.
٥٤) نقلاً عن رسالة الجهاد/ ع٧١–ص٨٨.
٥٥) المستشرقون والقرآن/ ص١٨٧.
٥٦) نفسه/ ص١١١.

حديث الإفك(*)، من الدروس الهامّة والخطيرة التي وقعت في زمن النبي ﷺ، والعبر المستفادة من حادثة الإفك نفسها كثيرة. وقد اختار الله تعالى أسرة نبيّه المصطفى ﷺ لتكون في قلب الامتحان والابتلاء، لدلالات لا تخفى على العاقل المتفكّر، فتهون في عيني غيره من المسلمين الاتهامات الباطلة التي قد توجّه إليه أو إلى أهل بيته ظلماً وعدواناً. وفيما يلي القصّة ودلالاتها:

وقضت السماء بالبراءة

غزوة.. ومنافق.. وإشاعة..

اعتاد رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ أن يصطحب معه في غزواته إحدى نسائه سكنا له وإلفا لنفسه، وهكذا أصبح عرف الرؤساء والملوك في أيامنا أن يصطحب الرئيس قرينته معه في زيارته لاحدى الدول، ولأن الرسول كان له أكثر من زوجة، وليس هذا التعدد للزوجات لنزعة شهوانية، ولكنه كان سياسة إلهية لتتسع دائرة الاتصال بأكثر من قبيلة وأسرة، وحتى تقوى أواصر الاتصال والالتحام، وليس هناك اتصال يفوق اتصال النسب والحسب..

فاقتضى هذا التعدد للزوجات أن يعدل بينهن، ومن وسائل هذا العدل أن يصطحب معه من تقع عليها القرعة، فلم يجنح إلى واحدة بالهوى ولكنها قسمة القرعة العادلة، وهكذا إذا استوت الأطراف فلا تفاضل فيما بينها إلا بالعدل (فإذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيهن خرج سهمها خرج بها معه)، وبهذا فإن القرعة مشروعة في الإسلام عند استواء الاطراف، ويقرر القرآن الكريم هذه المشروعية، إذ تنازع القوم في كفالة مريم والدة المسيح عيسى عليه السلام، فكل واحد منهم يود أن يشرف بتلك الكفالة، والكل تتوافر فيه شروط الكفالة فاتفقوا على أن

كان النبي ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيهن خرج سهمها خرج بها معه

بقلم: عبد الحليم أحمد محمود

﴿يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ [آل عمران/ ٤٤].

ولما عزم الرسول على الخروج لغزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما اعتاد أن يصنع، ففازت السيدة عائشة بسهم الخروج، فكان منها القبول، وكان لسائر الزوجات غيرها الرضا، إذ القسمة عادلة..

وكم من غزوة غزاها الرسول من قبل بني المصطلق، ولكن في تلك الغزوة حدثت أمور لم تكن في الحسبان.. انتصر المسلمون وهزم الله بني المصطلق، فقتل منهم من قتل، وحاز رسول الله أبناءهم ونساءهم وأموالهم، وإن شئت فقل لقد أتت الرياح طيبة بما تشتهي السفن، ولكن الر ياح لم تصف على إطلاقها، بل صاحبها دخن وحر كالهدوء الذي يسبق العاصفة..

فمع فرحة النصر جاء دخن النفس السيئة فعكر صفو الرحلة، فقد تكلم ابن أبيّ بن سلول رأس النفاق بكلام يجرح النبي، ويخدش من مقامه، وكادت الفتنة أن تقع بين صفوف المهاجرين والأنصار غضبا من مقالة ابن أُبَيّ، ولكن الرسول فوت الفرصة على المنافقين فلم يتمكنوا من بث الزعزعة في الجسد الاسلامي الواحد، واحتوى الموقف والحدث بحكمة فاقت حد التصور، اذ أمر الجيش بالاستعداد للعودة إلى المدينة حتى ينشغلوا بالمسير عن الخوض في القيل والقال.

في طريق العودة..

وفي طريق العودة، وقريبا من المدينة المنورة نزل الجيش ليستريح من عناء التعب والطريق، ولتأخذ الابل قسطا من الراحة، ولتنال نصيبها من الغذاء والماء، وليستريح الجيش ليقوى على المتابعة، وهنا كان لابد من إنزال هودج السيدة عائشة من على البعير.. فالهودج كان بمثابة الخيمة التي تنزل بها أم المؤمنين حتى لا يراها أحد، وحتى ينفذ أمر السماء باحتجاب نساء النبي عن الرجال. وأنزل الهودج، وابتعد الحرس عنه كي تتصرف السيدة عائشة براحتها وبدون تكلف في شئونها الآدمية العادية..

خرجت من الهودج لقضاء الحاجة بعيدا عن الهودج وفي بعد عن الأنظار، ثم عادت لتسكن فيه. تلمست صدرها فلم تجد العقد في رقبتها.. لقد كان في رقبتها من وقت قصير، إذاً لقد وقع في مكان قضاء الحاجة، فانسلت بخفة لتسترد ما وقع منها..

قامت السيدة عائشة بتلك التصرفات الشخصية الفردية بسرعة وبتلاحق، ولم يلحظها أحد، ولم تقدر المفاجأة، ولم تتوقع ما

ينغص عليها وقتها.. ساعتها.. لحظتها.. خاطرها.. فهي تريد أن تجد العقد في الموضع الذي كانت فيه ثم تعود بسرعة دون تراخ لتكون في هودجها.

وكانت فرحتها كبيرة وعظيمة عندما وجدت العقد ولم يخب ظنها، واستدارت ناحية القافلة، وسارت.. وسارت، ولكن لا وجود للقافلة ولا للهودج، لقد ارتحلوا..

يا للأقدار.. لقد كانت من وقت قريب صاحبة الموقف، أما الآن فقد ارتحلوا وحملوا الهودج على الجمل ولم يفطنوا لغيابها، لم يتأكدوا من وجودها بداخله، فالمنطقة صحراوية وليس لامرأة أن تذهب بعيدا، ولكنها كانت غير موجودة بالهودج، وهذا كان يستدعي التأكد إذ الأمر احتمالي، وماكان احتماليا فلابد من ترجيح أحد طرفيه. لم يفطنوا بخلو الهودج إذ كانت النساء خفيفة الوزن ولما كان الهودج يحمل بأكثر من واحد، فان دقة التمييز تضيع بين تعدد المميزين، يقول ابن القيم: فان النفر لما تساعدوا على الهودج لم ينكروا خفته، ولو كان الذي حمله واحد أو اثنان لم تخف عليهما الحال. بل إن شئت فقل إن سوء المواقف التي مرت على القوم في الغزوة وتعرضهم للفتنة ساعدت على هذا السهو وهذا الخلط، فقد تحركوا ليلا.

ظعينة طاهرة.. وفارسٌ شهم

وأيا ماكان السبب فقد ساروا وظلت السيدة عائشة وحيدة في الموضع الذي رحلوا عنه، لم يخطر ببالها أن تتابع المسيرة في اتجاه القافلة فهي لم تحسن تحديد الاتجاه، ولم تر أثرا للقافلة، ولكنها فضلت المكث في مكانها، فلابد أن يدركوا الخطأ الذي وقعوا فيه، ولابد أن يرجعوا ليعودوا بها، وهذا على أقل تقدير.

وبينما هي مضطجعة تترقب عودتهم إذا بها تسمع صوت رجل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله؟. نظرت فإذا بصفوان بن معطل السلمي، رجل من رجال رسول الله، لقد عرفها فقد كان يراها من قبل أن يفرض الحجاب.

تلاحقت الحوادث وتتابعت وهي لا تدري ما سيكون، وهكذا الانسان يجهل ما يخبئه له القدر.. زمن قصير يجعلها وحيدة، ذهبت القافلة وأصبحت مع رجل، وأيا ماكان الرجل فقد برزت شوائب جديدة تخيم على صفحة صورتها.

الرجل مسلم ومن صحابة الرسول ولكنه تخلف عن السرية لبعض حاجته، وفي عودته أبصر السيدة عائشة وليس عليه أن يتركها وحيدة، بل الواجب فرض عليه أن يحملها على بعيره فهي في منزلة والدته: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾[الأحزاب/٦]، فالرجل فعل ما يمليه عليه دينه وضميره.. انطلق سريعا آخذا برأس بعيره يطلب الناس، لا يتكلم بكلمة واحدة، لايساوره هاجس، ولا يتوقع نقيصة ولا مذمة تلحق به، إذ لا يستحق إلا الحمد على ما فعل.. وطلع على القوم صباحا يقود بها البعير..

لقد فشل فريق النفاق أن يوقع الضغينة والعداوة في الصف الاسلامي المتلاحم، واستطاع الرسول أن يقطع عليهم السبيل، فما أن رأوا صفوان يعود بالسيدة عائشة إلا وقد وجدوا بغيتهم، وهيأت لهم الظروف ما يتقولون به، وسنحت لهم الفرصة ليطلقوا ألسنتهم بمقالة سوء أخرى، وهكذا ضعيف النفس يتحين الظروف ليظهر ما تخفيه نفسه المريضة، وليتعلل بما يقول وبما يدعي، كان الصيد ثمينا، يقول ابن القيم: ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكى الإفك ويستوشيه، ويذيعه، ويجمعه، ويفرقه.. عائشة امرأة وصفوان رجل، ولقد انفردا معا في الصحراء ليس معهما أحد، إذاً، وإذاً.. إنه الاتهام بالفاحشة، إنه التقول بالسوء، إنه التكلم بالظن، والكلمة إذا خرجت من الفم لا تعود أبدا حتى ولو عاد اللبن إلى الضرع الذي خرج منه.

النفاق وحبائل الشيطان

تفنن جماعة النفاق في حبك قصة ما أرادوا إشاعته، وما أرادوا التقول به والنيل من الرسول، والطعن في عرضه.

والانسان لا يشغل إلا حيزا ضئيلا من أي زمان ومكان، والانسان لا يدرك إلا ما تسمعه أذنه وما تراه عينه، والسيدة عائشة بالنسبة للمجتمع جزء، ولطهارتها لم يشغلها هاجس، ولم يقلقها المستقبل، إذ لا يقلق إلا أهل الريب.. وبعد عودتها إلى بيتها من الرحلة توقف تفكيرها، وانتهت عند العودة أحداث الغزوة، ولكنها مرضت مرضا شديداً، وفي أيام مرضها انفصلت عما حولها..

والمقولة قد قيلت، وان تك كذباً إلا أنها نار تطاير شررها، وانبعث دخانها، فأصابت النار قلب من أصابت، وادمع الدخان عين من دخل فيها، وأصبح من يهمه الأمر في حيرة ودوامة، ودوران الدوامة لا يقف عند حد، وما تكاد حلقات موجة تنتهي إلا بدأت حلقات موجة أخرى، فالحقيقة تنتهي عند حد، أما الشائعة فليس لها حد، ولذا أخذ الرسول يتقصى الخبر، ويستوثق من المحيطين بزوجته ما عساه أن يكون توضيحا للأمر..

مواساة المقرّبين

فأما أسامة بن زيد فقال:

عمل النبي ﷺ بحكمته على تفويت الفرصة على المنافقين فلم يتمكنوا من بث الزعزعة في الجسد الاسلامي الواحد

يارسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا الخير وهذا هو الكذب والباطل.

وقال علي بن أبي طالب: لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير.

وقالت بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط اغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام على عجين أهلها فتأتي الدواجن فتأكله.

لقد أجمع الثلاثة على طهر عائشة مع اختلاف أقوالهم.. فأسامة يبرىء، يقول ابن القيم: وأسامة لما علم حب رسول الله لها ولأبيها، وعلم من عفتها وبراءتها، وحصانتها وديانتها ماهو فوق ذلك وأعظم منه، وعرف من كرامة رسول الله على ربه ومنزلته عنده، ودفاعه عنه، أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء، وبنت صديقه بالمنزلة التي أنزلها بها أرباب الافك، فأشار بألا يلتفت الرسول إلى كلام الأعداء.

وعلي يرفع الضيق عن رسول الله ويسري عنه، ويوري بأن المعرة لا تلحق الزوج ولكنها تلحق أهل المرأة إن ثبتت التهمة، يقول ابن القيم: فأشار على أن يفارقها، ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا.

وبريرة تشهد بنقاء فطرة عائشة، فما هي الا جارية نقية الطوية، ليس لها بالسوء متعلق، وليس لها بالفحش شاغل، أينما تركت استقرت وصانت نفسها عن المعايب.

وهنا صعد الرسول المنبر ليخفف عما في نفسه: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه أهل بيتي؟.. فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وماكان يدخل على أهلي إلا معي.

قال رسول الله ﷺ ما قاله بما يعلمه عن زوجته، وبما أقر به الشهود، فمحال أن تخفي أمرها على كل من حولها، ومحال أن تسقط فجأة الشريفة العفيفة، وعائشة من ﴿المحصنات المؤمنات﴾، ومن كانت حاله هكذا فـ﴿أولئك مبرأون مما يقولون﴾ ومع أن الرسول قد أقر بسلامتها إلا أن ألسن المنافقين لم تسكت. وشعر الصحابي سعد بن معاذ الأوسي بالألم الذي يعيشه الرسول فأجاب: إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فأخذت الحمية سعد بن عبادة سيد الخزرج، وظن أن ابن معاذ يلوح بإهانة الخزرج والنيل منهم، فقال، كذبت، لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله.

فاغتاظ لهذا أسيد بن حضير الأوسي، فرد الصاع إلى ابن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. (فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله قائم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت) وهكذا كادت أن تكون فتنة بين المسلمين، ومهما سكتوا فكل فريق له نفس تحدثه، وكل واحد له نفس لا تنام ولا تنسى، وإن تناست وسكتت فلدواعي الحال واستجابة لمطلوب رسول الله.

تفرق الجميع وكل يكتم ما يجول بنفسه، ولكن النفوس أصبحت في صراع بين الشد والجذب، قالت أم أيوب، يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس عن عائشة؟

قال: بلى، وذلك الكذب.. أكنت يا أم أيوب فاعلته؟

قالت: لا، والله ما كنت لأفعله.

فقال لزوجته: فعائشة والله خير منك.

فالقتيل إذا دفن بردت نار الحزن عليه، وأرخى الله من الصبر على أهله، أما المفقود فأهله بين رجاء العودة والخوف ألا يعود، وأيام الفرقة والفقد أشد حسرة من يوم الدفن..

ألسنة حِداد.. وصبرٌ جميل

لم يسلم صفوان من المقالة، ولكن كيف يثبت براءته، ليس له إلا أن يكظم غيظه مفوضا أمره إلى الله، مدافعا عن نفسه ما استطاع، فقال: سبحان الله، فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كتف أنثى قط.

ماجت المدينة وهاجت فيها الاشاعة، وعلمها الجميع إلا عائشة صاحبة الشأن ، فالكلام تنتشر دوائره، ويصل إلى كل الاتجاهات ولكنه لا يبلغ صاحبه، فمهما قال الانسان إلا أنه لا يقدر على ساعة المواجهة، وانقطع الخبر عن عائشة لمرضها الذي دام شهرا، ولم يربها إلا تغيب لطف النبي الذي كانت تعهده حين تشتكي، فقد قل دخوله عليها إلا أن يسلم سلاما عابرا ويقول: كيف تيكم؟.. ولكن شدة المرض شغلتها عن الاستفسار عن سبب الفتور في الود والمعاملة.

ثم تماثلت السيدة عائشة للشفاء، وبدأت تقوى على الحركة وبطريق الصدفة علمت ما يقال عنها، فكان وقع الخبر على نفسها أشد من ألم المرض الذي عانته، ولكنها لا تملك لنفسها شيئا، وهنا ادركت سر تغير الرسول من جهتها، وجال بخاطرها ما يعانيه الرسول من وقع المقولة على نفسه، فاستأذنت في الذهاب إلى بيت أبيها حتى لا تصبح ثقلا عليه، فبيت أبيها أولى بها. وتتلقاها الأم مخففة عنها وملاطفة لها: يابنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها..

بكت، وما عسى أن يفيد البكاء في مثل ذلك، وما حيلتها إلا البكاء، فهي لا تملك غيره.. تبكي للظلم الذي ألم بها، وتبكي لأن الرسول نابه فيها الشك، وماكان له أن يشك إذ قد تزوجها بأمر من السماء، ومن

لا ينبغي للمسلم أن يضع نفسه في موطن شبهة.. فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام من حيث لا يدري

المحال أن يزوج الله سبحانه وتعالى نبيه بامرأة ليست على خلق مستقيم، ولكنه بشر كسائر البشر، والبشر مهما كانوا لا يسلمون من الشك.

ويأتي الرسول لزيارتها في بيت أبيها، وأراد أن يخفف عنها، ويهون من مصابها، ولكن بالحق فقال: يا عائشة، فإنه قد بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فان العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه. هنا أدركت أن الرسول لا يقطع بالتهمة ولا يبرئها، وهنا صحت نفسها، ورأت أنه لا فائدة من البكاء والدمع، بل لابد من التجلد والصبر، ومادامت التهمة قد وقعت ولاسبيل لدفعها إلا برحمة من الله اللطيف الخبير فالصمت أولى.. استمسكت وجف دمعها وماعادت تحس بدمعة واحدة، وتجاسرت لتقول: أجب عني رسول الله فيما قال يا أبي.

إنها أرادت من أبيها أن يدافع عنها، إنه أبوبكر الصديق صاحب الرسول في كافة المواطن، ولكن الأبوة شيء والحق شيء، إنه يتمنى براءة ابنته بأي حال، فالفاحشة عار، والعار شين ومسبة، ولكن ما عساه أن يقول عما لم يره، وتمالك نفسه قائلا: والله ما أدري ما أقول لرسول الله. فطلبت من أمها ما طلبت من أبيها فقالت الأم: والله ما أدري ما أقول لرسول الله.

لقد قال اسامة وبريرة وأم أيوب ما يزكون به عائشة، ولكن قولهم إضافات لبعث الراحة النفسية، ولا ترقى إلى مستوى الشهادة، فالكل في واقعه لا يصدق هذا على عائشة، بل يدفعون بكذبه، ولكن لا أحد يستطيع أن يجزم بما غاب عنه، ولا يملك الجزم إلا بنكول من افترى الكذب عليها، أو ببراءة تأتيها من السماء.. ولا حيلة لعائشة في ذلك، فقالت: لقد سمعتم ما قيل، و استقر في نفوسكم، وصدقتم به، فإن قلت إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بذنب لتصدقونني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال يعقوب أبو يوسف عليهما السلام ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾[يوسف/١٨].

لطف الله.. وبراءة من السماء

دوائر الأمن والقضاء تسعى جميعها أن تستخرج من المتهم الماثل أمامهم الاعتراف ليريحوا أنفسهم، وليواروا ملف القضية، أما أن يدفع الشخص بالبراءة فغير مقبول إذ كل متهم لا يتكلم إلا بتبرئة نفسه، ومن هنا رأت السيدة عائشة أنه لا ملجأ لها ولا مناص إلا الله ليأتيها برحمته.

ولم يحجب الله سبحانه وتعالى لطفه على من ظلمت، بل أنزل الوحي على رسوله مبرئا السيدة عائشة إلى يوم القيامة ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ [النور/١١] فقطع العليم الخبير بأن ما قيل ماهو إلا محض افتراء وكذب.. فلما انقضى الوحي أقبل الرسول بوجهه على عائشة ضاحكاً، وكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك.

سبحان الله، فبعد الشر الظاهر كان الخير ﴿لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم﴾[النور/١١].

وهنا فرحت الأم ببراءة ابنتها فقالت لها: قومي إليه، أي قومي إلى رسول الله فاشكريه،، فقالت السيدة عائشة. والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله.

فكم من مظلوم أدخل السجن، وكم من بريء أخذ غدراً، ولكن الله لا يغيب عن كونه وخلقه، وإن لم تكن البراءة في الدنيا فالبراءة في الآخرة لاشك فيها، وتبقى المذلة لمن افترى الكذب: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾[النور/ ١٩]،أماالسيدة عائشة فقد برئت في الدنيا بقرآن يتلى إلى يوم القيامة مكرمة لرسول الله، وطهرا لها ولأبيها الصديق الطاهر.

وإذا كان رسول الله قد تعرض للأذى النفسي لمدة شهر قبل أن ينزل الوحي ببراءة زوجته، وإذا كانت السيدة الطاهرة قد رميت بالفاحشة، فليس منا من هو معصوم من الأذى، وليس بمستبعد أن تتهم البريئة ظلما وزورا ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾[النور/١٢] فإذا ما نزل البلاء بإنسان فما عليه إلا الصبر وتفويض الأمر إلى الله.

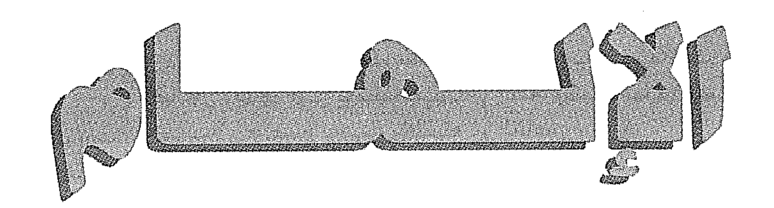
ومع أن الرسول كان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين، إلا أنه ﷺ لم يستطع أن يبرئها، أي يبرىء نفسه، فالانسان يقدر على تبرئة الآخرين أما مع نفسه فلا يستطيع، إذ أنه أمام الجميع متهم، والمتهم مشكوك في كل ما يقول.

والشيء بالشيء يذكر، فإذا كانت السيدة عائشة على ما لها في قلوب المسلمين عندما خلت برجل أجنبي خلوة اضطرارية قيل عنها ما قيل، فلا يحق لامرأة مسلمة أن تخلو برجل أجنبي خلوة اختيارية، ولا ينبغي لرجل أن يضع نفسه في موطن شبهة، فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام من حيث لا يحتسب، ومن حيث لا يدري■

كم من مظلوم أدخل السجن.. وكم من بريء أخذ غدراً.. ولكن ربّك بالمرصاد

الهوامش:

(*) أخرج خبر الافك: الامام القرطبي، والامام ابن كثير، في تفسير سورة النور. والامام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي. والامام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة. وابن هشام في سيرته. والامام الطبري في تاريخه. والامام ابن القيم في كتابه زاد الميعاد، الجزء الثالث.



الإلهام [٤/٤]

قدّمت الحلقات السابقة من دراسة الإلهام لمفتي البقاع الغربي في لبنان، ومدير أزهر لبنان، ثمانية مباحث تتعلق بتعريف الإلهام، وصوره، وموارد استدلال المستدلين به، وأقوال العلماء فيه.. وفي هذا القسم الرابع والأخير يتعرض الكاتب إلى حجيّة الإلهام وموقعه عند الأصوليين والفقهاء.

بقلم سماحة الشيخ/ خليل الميس

مفتي زحلة والبقاع الغربي (لبنان)

المبحث التاسع: حجيّة الإلهام!

أدلة الجمهور على أن الإلهام ليس حجة شرعية ولايعتبر دليلاً على ثبوت الأحكام..

أولاً: قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة/١١١].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى ألزمهم الكذب بعجزهم عن برهان يمكن إظهاره، فلو كان الإلهام حجة لما لزمهم الكذب بعجزهم عن إظهار الحجة، ولما تحقق العجز، فإن الإلهام حجة باطنة لايمكن إظهارها، فلا يتحقق العجز عنه إذ الوقوع في القلب كان ثابتاً.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به﴾ [المؤمنون/١١٧].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى وبخهم على عجزهم عن اظهار الحجة على ما ادعوا من إله غير الله لابرهان لهم به.

وكانت شهادة قلوبهم لهم حجة لما لحقهم التوبيخ، فثبت أن الحجة التي يصح العمل بها هي مايمكن إظهاره من النص، والآيات عرفت حججاً بالنظر الذي يمكن إظهارها، والحكمة في قيد ﴿لا برهان له به﴾، وإن كان الشرك باطلاً أصلاً، لشغل السامع بالبرهان، فبدله البرهان الصحيح على بطلان الشريك، وحقيقة أن الله تعالى واحد لاشريك له(١).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾، وقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾، وغير ذلك من الأيات الآمرة بالاستدلال، ولم يقع الأمر في الأحكام والعقائد بالرجوع إلى القلب(٢).

وقال العطار: والإلهام ليس من أسباب المعرفة، فالمرجوع إليه في الأحكام هو الشرع وهو الصراط المستقيم.

ومن السنة: قوله عليه الصلاة والسلام: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

وجه الاستدلال: أن تفسير القرآن بالرأي المستفاد من النظر والاستدلال بأصول الدين بالإجماع.

فثبت أن المراد بالرأي الوارد في الحديث، الرأي بلا نظر في الأصول، ولأن مايقع في قلبه قد يكون بالإلهام من الله تعالى، وقد يكون من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾.

وقد يكون مايقع في القلب، من النفس كما قال تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾، فما يكون من الله تعالى يكون حجة.

وما يكون من الشيطان أو النفس لا

أدلة الجمهور على أن الإلهام ليس حجة شرعية ولايعتبر دليلا على ثبوت الأحكام

يكون حجة، فلا يكون حجة مع الاحتمال.

ولا يمكن التمييز بين هـذه الأنواع إلا بعد النظر والاستـدلال بأصول الدين. إذا استدل على ذلك يكون ذلك اجتهاداً منه لا إلهاماً.

ولأنه – أي الإلهام – مشترك الدلالة:

فإنه اذا قال: إني ألهمت فإن مـا أقوله حق، فخصمـه يقـول: إني ألهمت بأن ماتقوله باطل.

فإذا قال لخصمـه: إنك لست من أهل الإلهام، فيقابله خصمه بمثله.

ولأن خصمـه يقـول: إني ألهمت بأن القول بالإلهام باطل، فإلهامي حجة أم لا؟

فإن قال: إلهامك حجة، بطل قولهم.

وإن قال: إلهامك ليس بحجة، فقد أقر ببطلان الإلهام في الجملة.

وإذا كـان الإلهام بعضـه صحيحـاً وبعضه باطـلاً لم يمكن الحكم بصحة كل الإلهام على الإطلاق مالم يقم دليل صحته، وحينئـذ يكـون المرجع إلى الـدليل الإلهام(٣).

ومن الأدلـة على عـدم حجيـة الإلهام مايفهم من كلام الشاطبي حيث قال:

نعلم أن الصحـابـة رضي اللـه عنهم حصروا نظـرهم في الـوقـائع التي لا نصـوص فيها في الاستنبـاط والـرد على مـافهموه من الأصـول الثابتـة، ولم يقل أحـد منهم: إني حكمت في هـذا بكـذا لأن طبعي مـال اليه، أو لأنـه يـوافق محبتي ورضـائي، ولـو قـال ذلك لاشتـد عليـه النكير وقيل لـه: من أين لك أن تحكم على عبـاد اللـه بمحـض ميل النفس وهـوى القلب؟ هذا مقطوع ببطلانه.

بل كانوا يتناظرون ويعترض بعضهم بعضـاً على مأخـذ بعض، ويحصرون ضوابط الشرع.

ولـو فتح هـذا البـاب لبطلت الحجج وادعى كل من شاء ماشاء. واكتفى بمجرد القـول فألجأ الخصم إلى الإبطـال، وهـذا يجر فسادا لاخفاء فيه.

وإن سلم فـذلك الـدليل: وإن كـان فاسداً فلاعبرة به، وإن كان صحيحاً فهو راجع إلى الأدلة الشرعية فلاضرر فيه(٤).

إن مـدعـي الإلهام لايحصر الأدلـة في الإلهام حتى يكون استـدلاله بغير الإلهام مناقضاً لقولـه، نعم، إن استدل على إثبات الإلهام بـالإلهام كـان ذلك مصـادرة على المطلـوب، لأنـه استـدل على محل النـزاع بمحل النزاع.

ثم على تقدير الاستدلال لثبوت الإلهام بمثل ماتقـدم من الأدلة من أين لنـانعرف أن دعـوى هـذا الفـرد لحصـول الإلهام صحيحة؟

ومالدليل على أن قلبه من القلوب التي ليست بموسوسة ولابمتساهلة(٥).

وقال ابن الهمام:

والمختـار – عنـده – في الإلهام: أنـه لاحجـة عليـه – أي على الملهم – ولا على غيره – أي الخصم – لعـدم مـايـوجب نسبته – أي الإلهام أو الملهم بـه – إلى الله تعالى(٦).

المبحث العاشر: الإلهام في العقائد

وقـد اقتصرت أسباب العلـوم في بـاب العقائد عند الإمام النسفي على ثلاثة ليس من بينها الإلهام.. حيث قال:

إن أسباب العلم وطرقه ثلاثة:

أحدها: الحواس السليمة، وهي:حاسة السمع، وحـاسة البصر، وحـاسـة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس.

والثاني:الخبر الصادق.

والثالث: العقل(٧).

ثم قـال: وإذا ثبت بما ذكـرنا، كـون الحواس والأخبـار والعقـول من أسبـاب المعارف فنقول:

ليس وراء هـذه الأشياء سبب تعـرف به صحـة الأديان وفسادها.

وقال قوم: من وقع في قلبه حسن شيء لزمه التمسك به وهذا محال.

وقال الزبيدي:

إن الطريق الذي تستفـاد منها العلوم أضرب:

الأول: المستفـاد من بـديهة العقل ومصادقة الحس.

الثاني: المستفـاد من جهة النظـر، إما بمقدمات عقلية أو محسوسة.

الثـالث: المستفـاد بخبر النـاس، إمـا بسمـاع وإما بقراءة.

قال العطار: والإلهام ليس من أسباب المعرفة، فالمرجوع إليه في الأحكام هو الشرع وهو الصراط المستقيم

اقتصرت أسباب العلوم في باب العقائد عند الإمام النسفي على ثلاثة ليس من بينها الإلهام

الرابع: ماكان عن الوحي إما بلسان مَلَك مرئي، وإما بسماع كلام غيره من غير مصادفة عين، وإما بإلقاء في روع في حال يقظة، وإما بالمنام(٨).

لأن كثرة الأديان ظاهرة وتضادها أمر بيّن، وكل يدعي وقوع حسن ما يدين به وقبح مايدين به غيره في قلبه فيؤدي إلى أن يكون كل من يدين بشيء كان ديناً صحيحاً لوقوع حسنه في قلب المتدين به.

ثم ساق الأمثلة على ذلك حيث قال: فيكون القول بحدوث العالم وقدمه، وثبوت الصانع وتعطيله، صحيحاً وهذا محال.

وكذا ينفي أن يكون كل دين حقاً لوقوع حسنه في قلب من اعتقده – باطلا لوقوع قبحه في قلب من لم يعتقده واعتقد ضده – وفساد هذا مما لايخفى على المجانين.

ثم وصل الكلام بهذه المناسبة إلى (الإلهام) حيث قال: وقال قوم بأن الإلهام سبب معرفة صحة الأديان والمذاهب.

وعقب على ذلك قائلاً: وهذا ايضا مثل الأول – أي محال، وفاسد – لأن كلا يدعي انه ألهم صحة قول نفسه، وفساد مذهب خصمه، فيؤدي ذلك إلى القول: بصحة الأديان المتناقضة علي ماقررنا.

وإلى القول: بأن كل دين صحيح فاسد..

وتابع على طريقة المتكلمين فقال:

ويقال لهؤلاء: إني ألهمت أن القول بأن الإلهام آلة معرفة صحة الأديان فاسد.

أصحيح إلهامي هذا أم فاسد؟

فإن قال: هو صحيح..فقد اقر أن القول بأن الإلهام آلة معرفة صحة الأديان والمذاهب قول فاسد.

وإن قال: إن الهامك فاسد، فقد أقر بكون شيء من الإلهام فاسداً.

وإذا كان الإلهام بعضه صحيحاً وبعضه فاسداً لم يكن الحاكم بصحة كل إلهام على الإطلاق مالم يقم دليل صحته فصار المرجع حينئذ إلى الدليل دون الإلهام، والله الموفق(٩).

وجعل الأستاذ أبو منصور التميمي الإلهام أحد أقسام العلوم النظرية حيث قال:

العلوم النظرية على أربعة أقسام:

أحدها: الاستدلال بالعقل من جهة القياس والنظر، كالعلم بحدوث العالم.

والثاني: معلوم من جهة التجارب والعادات، كعلم الطب.

والثالث: معلوم من جهة الشرع، فكالعلم بالحلال والحرام.

والرابع: معلوم من جهة الإلهام في بعض الناس أو بعض الحيوانات دون بعض، كالعلم بذوق الشعر وأوزان أبياته في بحوره.

وقد يعلم هذا الوزن أعرابي بوّال على عقبيه، ويذهب عن معرفته حكيم يعرف قوانين أكثر العلوم النظرية.

وكذلك العلم بصناعة الألحان غير مستنبط بالقياس ولامدرك بالضرورة التي يشترك فيها العقلاء ولكنها من الخصائص التي يعلمها قوم دون قوم.

وكل علم نظري يجوز عندنا أن يجعله الله ضرورياً فينا على قلب هذه العادة، كما خلق في آدم عليه السلام علماً ضرورياً عرف به الأسماء من غير استدلال منه عليها ولا قراءة منه لها في كتاب.

ولكنه عند الكلام في بيان مآخذ العلوم الشرعية قال:

الأحكام الشرعية مأخوذة من أربعة أصول وهي:الكتاب، والسنة، والإجماع ،والقياس.. ولم يذكر الإلهام واحداً منها(١٠).

المبحث الحادي عشر: خلاصة القول

وخلاصة القول ماجاء في فتاوى ابن حجر الهيثمي (٩٠٩-٩٧٤هـ):

قال السادة الصوفية: إن الإلهام حجة لتوفر قرائن عند من وقع له تقضي بحقيقته، وأنه ليس من الخواطر النفسانية في شيء قطعا.

وخالفهم الفقهاء والأصوليون فيه، لا لإنكاره من أصله، كيف؛ والحديث الصحيح: «إن في أمتي محدَّثين أو مُلهمين، ومنهم عمر»(١١)، بل لئلا يدعيه ويحتج به من ليس من أهله، ولأنه لا ثقة بخواطر غير المعصوم، فربما يخطر له في حديث نفسه انه إلهام وزين له الشيطان ذلك

بمخايل يظهرها لـه فيظن صدقها فيعتقد حقيقة ذلك الوارد، وإنما هـو حديث نفس وخاطر شيطاني حمله عليـه عدم جريانه على قوانين الاستقـامة والقيام بالعبـودية على وجهها الأكمل.

فلما كـان للنفس والهوى والشيطـان دخل في تـزيين ذلـك والتلبيس فيـه، رأى الفقهاء والأصـوليون ان المصلحـة للناس المتكلفـة بسلامتهم من تغـرير الشيطـان والـوقوع في هفـوة الطغيـان قطعتهم عن الاحتجاج بالإلهامات، وأن ذلك بات يجب سده على الناس لئـلا يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يُحصـى(١٢).

تقسيم الخواطر

قال أبو طالب المكـي في كتابه (القوت) مانصه:

ذكـــر تقسيم الخواطـــر وتفصيل أسمائها:

– فأما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو إلهام.

– ومـــاوقـع من عمـل الشر فهـــو وسواس.

– وماوقع في القلب من المخـاوف فهو الحساس.

– وما كـان من تقديـر الخير وتأميله فهو نية.

– ومـا كـــان من تـدبير المبـــاحـات وترجيحها والطمع فيها فهو أمنية وأمل.

– وماكـان من تذكـر الآخرة والـوعد فهو تذكر وتفكير.

– ومـاكـان من معـاينـة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة.

– وماكان من تحدث النفس بمعاشـها وتصريف احوالها فهو هم.

– وماكان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم.

ويسمـى جميع ذلك خـــواطـر لأنـــه خواطر همة نفس، أو خواطر عدوّ بحسد، أو خطرة ملك بهمس إهـ(١٣).

وقال صاحب كتاب (حياة القلوب):

وأمـا الخواطر: فقـال السادة الآئمـة: الخواطـر: عبارة عما يعـرض في القلب من الأذكار والأفكار.

وعنـوا بـه: إدراكاتـه إمـا على سبيل التجرد، وإما على سبيل التذكر.

وسميت هـذه الإدراكـــات والعلـوم: خواطـر من حيث إنها تخطر بعـد أن كان القلب خــاليـــاً عنهـــا. والخواطـــر: هي المحـركـات للإرادات. فإن النيـة والعـزم والإرادة إنما تكـون بعـد خطـورة المعنى بالبال لا محالة.

فمبـدأ الأفعال الخواطـر، ثم الخاطـر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والنية تحرك الاعضـاء. والخواطـــر التي تحرك الرغبة إن كانت تدعو إلى الخير ومأينفع في الآخـرة فإنها تسمى إلهامـاً. وإن كـانت تـدعـو إلى الشر وهو مـايضره في الآخـرة فإنها تسمى وسواساً.

– وخاطر الخير سبيله المَلَك.

– وخاطر الشر سبيله الشيطان.

– واللطف الذي يتهيأ بـه القلب قبول إلهام المَلَك يسمى توفيقاً.

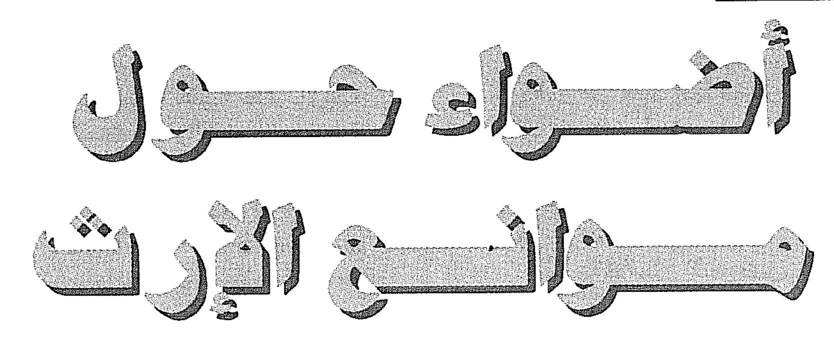
– والـذي يتهيـــأ لقبـول وســـواس الشيطان يسمى إغواءاً وخذلاناً.

وقـال الغزالي في بعـض كتبه: إن اللـه تعالى قـد وكل بقلب العبد مَلَكاً يـدعوه إلى الخير يقال له الملهم، ولدعوته إلهام.

وسلط في مقـابله شيطـاناً يـدعوه إلى الشر يقال له الوسواس ولدعوته وسوسة. فـــالملـك الملهم لايـــدعــــو إلا إلى الخير، والشيطان الموسوس لايـدعو إلا إلى الشر. إهـ(١٤). والله اعلم وأحكم.

الهوامش:

١) النسفي، كشف الأسرار جـ ٢/٥٨٨.
٢) السبكي، جمع الجوامع٢/٣٩٨.
٣) النسفي، كشف الأسرار جـ ٢/٥٨٨.
٤) الاعتصام.
٥) الشوكاني، إرشاد الفحول، آخر الفصل السابع، الفائدة السادسة.
٦) التقرير والتحبير، جـ ٣/٢٩٥.
٧) التبصرة جـ ١/١٥.
٨) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين جـ ٧/٢٤٦.
٩) تبصرة الأدلة جـ ١/٢٢.
١٠) نص الحديث في البخـاري عن أبي هريـرة، وفي مسلم عن عائشة: «قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم اناس محدّثون، فإن يك من أمتي أحـد منهم، فهو عمر بن الخطاب».
١١) أصول الدين ١٤–١٧.
١٢) الفتاوى الحديثية ٣٢٨–٣٢٩.



أضــــواء حـــول مـــوانـــع الإرث

بقلم: رفعت محمد مرسي طاحون

من الملاحظ أنـه قد تحقق أسبـاب الإرث في الوارث من قرابـة أو زوجية وأيضاً تتـوافر شروط الإرث من موت المورث وتحقق حياة الوارث وقـت موت مورثه. إلا أنه مع ذلك لايستحق هذا الوارث شيئاً من الميراث. لوجـود مانع شرعي يمنع ذلك. ومـوانـع الإرث أربعة: (الرق، والقتل، واختلاف الدين، واختلاف الدارين).

١- الرق:

هو: الاستعبـاد (أي اتخاذ الإنسان القوي إنســاناً ضعيفاً عبداً مملوكاً له لبيعه أو استخدامه).

ونجـد: أن الـرق كـان منتشراً قبل الإســلام في أوروبـاوكثير من الشعوب البيضـاء (كتركيا وألمانيـا والمجـر) ثم انتقل الــرق إلى أفــريقيـا الســوداء بعدالوصـول إليها.. فكان أصحاب المراكـب البحرية الأوروبية ينـزلون في سـواحلها ويـأخذون بـالقهر والقوة من تصل اليه أيديهم من أهلها. ويستعبدونهم ويعرضونهم للبيع. وبلغ هـذا الاستعباد حداً واسعاً في الانتشـار. فكان الـرجل من عرب الجاهليـة يملك العشرات والمئات. وجاء الإسلام والناس كذلك.

وحينما جـاء الإسلام لم يبطل الـرق دفعة احـدة. حتى لاتكون صدمة قوية منفرة.

فعمل على تحرير الأرقـاء بوسائل متنوعـة. مبتدئا بالأرقاء المسلمين أولاً.

- الترغيب في عتقهم بالجزاء الحسن عند الله تعالى: يقول رسـول الله ﷺ: «من أعتق رقبـة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار»(١).

- عتق الأمة والتزوج منهـا: يقول رسـول الله ﷺ: «ثـلاثة لهم أجـران رجل من أهل الكتـاب آمن بنبيـه وآمن بمحمـد. والعبد المملوك إذا أدى حق اللـه. وحق مواليه، ورجل كانت لـه أمة فأدبها فأحسن تأديبها. وعلمها فـأحسن تعليمها. ثم أعتقهـا. فتزوجهـا فله أجران»(٢).

- جعل الإسلام العتـق فدية القتل الخطـأ. وكفارة اليمين. وكفارة الظهار:

يقـول تعـالى: ﴿ وماكـان لمؤمن أن يقتل مـؤمنـاً إلاخطأ. ومن قتل مؤمنـاً خطأ فتحرير رقبة مـؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله﴾(٣).

موانع الإرث أربعة: الرق، والقتل، واختلاف الدين، واختلاف الدارين

الرق والميراث
الرق يمنع الميراث باتفاق الفقهاء

لأن الرقيق ليس أهـلا للتملك. يقول تعالى﴿ضرب اللــه مثــلاً عبداً مملــوكـــاً لايقــدر على شيء﴾ [النحل/٧٥]، فلايكون أصـلاً للخلافة والميراث من غيره. ولأنـه لـو ورث من أقاربـه لصـار الميراث إلى سيده ومالكه وهو أجنبي عن المورث.

٢- القتل:

المراد به: قتل الوارث لمورثه.

موقف الإسلام:

اتفق الفقهاء على أن القتل مانــع من الميراث: فلايرث القاتل من القتيل.

لأن الميراث نعمة. فـلايصح أن تترتب على جـريمة وهي القتل. فـإنما تترتب على الجريمـــة النقمـــة لا النعمة. وقـد تعجل القاتل الميراث قبل أوانـه فعوقب بحرمانه.

فضلا عن أن خلافة الـوارث لمورثه قائمة على قوة الرابطة والصلة والتعاون بينهما.

التي جعلت أحـدهما إمتـداداً لــلآخـر. وقـد قطع القـاتل بجريمتـه هـذه الصلة. فـلايستحق الميراث بسببها.

يقول رسول الله ﷺ: «ليس للقاتل شيء»(٤).

ويقول رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً. فإنه لايرث وإن لم يكن له وارث غيره»(٥).

واختلف الفقهاء في تحديد القتل المانع من الإرث:

جعل الإسلام العتق فدية القتل الخطأ. وكفارة اليمين. وكفارة الظهار

الشافعيــة: يقولون كـل قتل يمنع من الميراث. ولو كان القاتل صبياً أو مجنـوناً. أو كان خطأ مباشراً أو متسببا.. ولو كان بحق كحد أوقصاص.. وحتى ولو كان عن طريق الشهادة أو تزكية الشهود. أو دل عليه أو أعان من دل عليه.

فـلايـرثه مطلقـاً. لأن فيـه مظنـة استعمال الإرث بقتله. فعوقب بحرمانه منه. زجراً له وتحذيرا لسواه. على أن القـاتل عمـداً يستحـق القصـاص بـلارحمة ولاهوادة.

– الحنفية: ذهبوا إلى أن القتل الذي يمنع من الإرث هـو: القتل العمـد وشبــه العمـد والخطأ، والجاري مجرى الخطأ(٦).

– الحنابلة: يقولون القتل الذي يمنع من الإرث هو: (كل قتل مضمون بقصاص أو دية أوبكفارة فيشمل العمد وشبـه العمد. والخطأ وقتل الصبـي والمجنون والنائم).

– المالكية(٧): يقولون القتل المانع من الميراث هو: القتل العمـد العدوان، سـواء أكان مبـاشراً أم سبباً، وشبه العمد. أن يقصد بفعله العادي القتل والتسبب المقصود منه القتل كأن يحفر في طـريق مورثه حفرة يقع فيهــا ويمــوت أو يضع لــه سماً في الطعـام أو الشراب، أوشهد عليه زوراً ليقتل.

والقتل الــذي لايمنع مـن الميراث: القتل الخطأ. أو دفاعاً عن النفس.

٣– اختلاف الدين:

المراد بأختـلاف الـدين: هـو اختـلاف الـدين بين المسلم وغير المسلم.

فنجد: بالنسبة للمسلم وغير المسلم:

– فقد أجمع الفقهاء(٨) على أنـه لايرث المسلم من غير المسلم. ولايـرث غير المسلم مـن المسلم إذا وجـد سبب من أسباب الارث.

فلا تـرث الزوجة الكتـابية زوجهـا المسلم إذا مات ولايرثها إذا ماتت.

بـدليل: مــاروى عن اسامـة بن زيـد أن النبي ﷺ قال: «لايرث المسلم الكافر ولايرث الكافر المسلم»(٩) ومارواه البخـاري ومسلم وغيرهما، أن رسـول الله ﷺ قال: «لايتوارث أهل ملتين شتى».

وذلك لأن اختلاف الديـن يمنع الولاية بينهما. وفي الإرث معنى الولاية. لأن الوارث يخلف المورث في ماله ملكاوتصرفاً.

– ذهب معـاذ بن جبل. ومعـاوية بن أبي سفيـان وسعيد بن المسيب والنخعي، إلى:

أن المسلم يـرث من تركة غير المسلـم. ولايرث غير المسلم من المسلم.

ودليلهم: بـالنص: مارواه أبـو داود. عن معـاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام يـزيد ولاينقـص» فقد قـالوا: إن الـزيادة وعـدم النقصــان تـوريث المسلم من غير المسلم دون العكس.

– وبالقيـاس: فقد قـالوا: إنـا رأينا الإسـلام يبيح للمسلم التزوج بكتـابية ولايبيح للكتـابي أن يتزوج بالمسلمة.

وبالنسبة لغير المسلمين:

فقـد اختلف الفقهـاء بخصــوص تــوريث غير المسلمين:

– ذهب أبــو حنيفــة والشــافعي(١٠): أن غير المسلمين يتـوارث بعضهم من بعض – مهما اختلفت ديانتهم – لأن جميع هذه الأديان في نظر الإسلام ملة واحدة تخالف الإسلام.

واختلافهـم كاختلاف المذاهـب في الإسلام (فيرث النصراني من اليهــودي، ويــرث اليهـــودي من النصراني).

– وذهب الحنابلة والمالكية: إلى أن هذه الأديان ملل مختلفة فـالنصرانية بجميع مـذاهبها ملة واليهـودية بجميع فرقها ملـة. والمجوسية ملة.. وهكـذا. فلايرث أحدهما من الآخر.

فمثـــلاً: لايــرث اليهـــودي النصراني. ولايـــرث النصراني اليهودي.

وبالنسبة للمرتد:

المرتـد: هـو من خـرج من ملـة الإسـلام بإرادتـه واختياره.

إرث المرتد: فقد أجمع العلماء أن: المرتد لايرث غيره من المسلمين.

– أماتوريث المسلمين من المرتد:

يرى جمهـور العلماء: أن المسلم لايرث المرتـد لأنه لاتـوارث بين المسلم والكافـر ومـالـه في هذه الحالـة يكون غنيمة للمسلمين.

ويرى الأحناف: أن مال المرتد يكون لورثته من المسلمين.

٤- اختلاف الدارين:

المراد باختلاف الدارين: اختلاف الدولتين، الذي يرتب اختلاف الجنسية أو الرعوية بحسب التعبير الحديث.

الارث: بالنسبة لاختلاف الدارين بين المسملين:

فقد اجمع الفقهاء: أنه لايمنع من التوارث بين المسلمين حيث المسلم يرث من المسلم مهما اختلفت دولهم وجنسياتهم. فيرث المسلم المصري المسلم الانجليزى أو الألمانى.. وبالعكس.

حيث إن المسلمين مهما كانت دولهم وجنسياتهم تابعون حكماً للدولة الإسلامية الواحدة مهما اختلفت الحكومات والسياسات. وأقيمت الحدود والفواصل فلاتتعدد الدار - أي الدولة - بالنسبة للمسلمين ولاتختلف.

بالنسبة لاختلاف الدارين
بين غير المسلمين:

فقد اختلف الفقهاء في ذلك:

- فيرى المالكية والحنابلة(١١): أن يرث غير المسلم قريبه غير المسلم. مهما اختلفت دولهم وجنسياتهم. إذالايوجد دليل على المنع من الميراث بعد تحقق سببه وشروطه.

- ويرى الحنفية والشافعية: أن اختلاف الدارين يمنع من التوارث بين غير المسلمين.

فلايرث المصري غير المسلم من الأنجليزي غير المسلم. ولاالعكس.

ودليهم عدم وجود التناصر والموالاة بينهما. لاختلاف الدار (أي دولة كل منهما). والموالاة والتناصر أساس الميراث.

*أمثلة(١٢):

مثال١:

رجل قتل زوجته قتلاً موجباً للحرمان من الإرث وثبت لدى المحاكم وتركت هذه الزوجة (ثلاث بنات، وأم، وأخ وأخت شقيقين، وزوجها المذكور). فما نصيب كل منهم؟

الحل

الزوج القاتل: لايرث شيئاً لأنه محروم من الميراث بسبب قتله لزوجته.

لماراوه أحمد عن عمر رضى الله عنه. أن رسول الله ﷺ: «ليس للقاتل شيء»

- ٣ بنات: ٢/٣ فرضاً بالتساوي بينهن.
- الأم: ١/٦ فرضاً. لوجود الفرع الوارث
- الأخ والأخت الشقيقين: الباقي تعصيباً. للذكر مثل حظ الأنثين.

مثال٢:

امرأة قتلت زوجها قتلا موجبا للحرمان. وترك هذا الزوج (بنت إبن، وجدة لأم، وجدة لأب، وثلاث أخوات شقيقات، وأخا لأب) وترك ماقيمته ١٢.٠٠٠ دينار فكيف توزع التركة؟

الحل:

- الزوجة القاتلة: لاترث شيئاً لأنها محرومة من الميراث بسبب قتلها لزوجها.
- بنت الابن: ١/٢ فرضاًلانفرادها ولعدم وجود من يعصبها (١٢٠٠×١/٢=٦٠٠٠دينار.
- جدة الأم، وجدة لأب: ١/٦ فرضاً. مناصفة بينهما. (١٢.٠٠٠×١/٦=٢٠٠٠ دينار.
- الثلاث أخوات شقيقات: الباقي تعصيباً (١-(١/٢+١/٦)= ١/٣=.٠٠٠ ١٢×١/٣=٤٠٠٠ دينار.

حيث أصبحن عصبة مع بنت الابن. وتوزع بالتساوي بينهن.

الأخ لأب: لاشيء لحجبة بالأخوات الشقيقات اللاتي صرن عصبة مع الغير. وهنا فقد أصبحن في قوة الأخ الشقيق. فيحجبن مايحجبه الأخ الشقيق.

مثال٣:

مات رجل وترك (زوجتين الأولى مسلمة والثانية مسيحية، وله بنت من الأولى وابن من الثانية، وأم، وأخ شقيق) فكيف توزع التركة؟

الحل:

الزوجة المسيحية: لاترث شيئاً لأنها محرومة من الميراث لاختلاف الدين.

لماروه البخاري ومسلم. عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لايرث المسلم الكافر،

القتل خطأً أو دفاعاً عن النفس.. لايمنع من الميراث

ولايرث الكافر المسلم».
– الزوجة المسلمة: ١/٨فرضاً. لوجود الفرع الوارث.
– الأم: ١/٦ فرضاً لوجود الفرع الوارث.
– الابن والبنت: الباقي تعصيباً للذكر مثل حظ الأنثيين.
وهنا يلاحظ: أن ابن الزوج المسلم من المرأة المسيحية محكوم بإسلامه.
– الأخ الشقيق: لاشيء لحجبه بالإبن.

مثال٤:

مات رجل مسلم عن (زوجه غير مسلمة، وأخوين لأم مسلمين، وبنت ابن مسلمة، وابن أخ شقيق مسلم) وترك ٦٠ فدانا. فكيف توزع التركة؟

الحل:

الزوجة غير المسلمة: لاترث شيئاً. لأنها محرومة من الميراث. لاختلاف الدين.
– الأخوين لأم المسلمين: لاشيء لحجبهم بالفرع الوارث.
– بنت الابن المسلمة: ١/٢فرضاً لإنفرادها ولعدم وجود من يعصبها (٦٠×١/٢)=٣٠فدانا
– ابن الأخ الشقيق المسلم: الباقي تعصيباً (١-١/٢=١/٢)-(٦٠×١/٢=٣٠ فدانا)

مثال٥:

مات شخص مسلم عن (زوجة، وأم، وعم شقيق، وابن غير مسلم) فما نصيب كل منهم؟

الحل:

الإبن غير المسلم: لاشيء يرثه لأنه محروم من الميراث لاختلاف الدين.
وهنا: يكون وجوده كعدمه. فلايحجب غيره من الميراث. ولايؤثر على ميراث غيره.
– الزوجة: ١/٤ فرضاً. لعدم وجود الفرع الوارث.

– الأم: ١/٣ فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ولاعدد من الاخوة.
– العم الشقيق: الباقي تعصيباً (١-(١/٤+١/٣)=٥/١٢)

مثال ٦:

أخوان لأب مسلمان مقيمان بمصر. أحدهما من رعايا مصر. والثاني من رعايا حكومة ألمانيا. وقد توفي أحدهما (وهو الذي من رعايا الحكومة المصرية) عن: (بنت صلبية، وأخيه المذكور الذي هو من رعايا الحكومة الألمانية بدون وارث له سواهما). فمن يرث ومن لا يرث. وكيف تقسم التركة؟

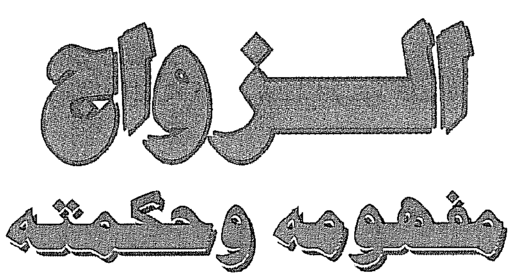
الحل:

البنت: ١/٢ فرضاً. لانفرادها. ولعدم وجود من يعصبها.
الأخ لأب: الباقي تعصيباً (١-١/٢= ١/٢ التركة)
حيث أجمع الفقهاء. إنه لايمنع من التوارث بين المسلمين باختلاف الدارين. مهما اختلفت دولهم وجنسياتهم.
وهنا: لايمنع من الميراث كون الأخ الوارث من رعايا حكومة ألمانيا. لأن ذلك ليس من موانع الإرث الشرعية■

المسلم يرث من المسلم مهما اختلفت دولهم وجنسياتهم

الهوامش:

١) متفق عليه.
٢) متفق عليه.
٣) النساء/٩٢.
٤) رواه أحمد.
٥) رواه أحمد باسناده.
٦) القتل العمد هو القتل بآلة من شأنها أن تقتل غالباً (كالمسدس أوالعصا الغليظة).. والقتل شبه العمد: أن يتعمد ضربة بآله لاتقتل غالبا.. والقتل الخطأ أن يخطيء الهدف فيصيب إنساناً آخر. والجاري مجرى الخطأ: هو مايقع ممن لاقصد له (كمن يقع من مكان عال على غيره فيقتله).
٧) أخذ القانون المصري بمذهب المالكية فيما يلي:
– في القتل بالتسبب: يصبح القتل العمد مانعاً من الميراث سواء باشر القاتل القتل أم كان شريكا فيه أم تسبب فيه.
في القتل الخطأ: لا يعتبر مانعاً من موانع الإرث.
٨) أخذ القانون المصري: برأي جمهور الفقهاء في عدم التوارث بين المسلم وغيره.
٩) رواه البخاري ومسلم.
١٠) أخذ القانون المصري (برأي الحنفية والشافعية) في توارث غير المسلمين بعضهم من بعض.
١١) أخذ القانون المصري بمذهب المالكية والحنابلة.
١٢) حسب مآأخذ به القانون المصري.



تعد الأسرة اللبنة الأولى للمجتمعات الانسانية، على اختلاف عرقها، ومعتقداتها، ومقوماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفلسفية والدينية. فهي الحجر الاساسي في تكوين هذه المجتمعات، فإن كانت الاسرة سليمة البنيان والاساس كان المجتمع كذلك، أما إذا انحلت واختلت أسس الاسرة، انهد صرحها وصرح المجتمع كنتيجة حتمية. لهذا عنى الاسلام بالاسرة، وأولاها قسطا وافرا من التشريع، كما أولى الفقهاء هذه البنية الاجتماعية أهمية قصوى، وأفردوا لها الكتب والأبواب، وقعدوا لها نظاما خاصا بها يسمى نظام الأسرة في الاسلام، ولا غرو في ذلك، اتباعا لكتابهم المبين واقتداء برسولهم الأمين ﷺ. ولا وجود لأسرة دون زواج شرعي، ولا وجود لزواج دون زوجين. ومنه كان الزواج أو النكاح مهداً لميلاد الاسرة التي يولد بها المجتمع. فالزواج في الاسلام رابطة مقدسة، رهينة بالتعظيم والتبجيل والتكريم. فالله شرع لنا الزواج بقوله تعالى(١): ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ [النور/٣٢]. وقوله عز وجل(٢): ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ [النساء/٣].

بقلم / عبدالعزيز قريش

أ- الزواج في اللغة:

الفرد الذي له قرين(٣). وإذا أريد به الذكر والانثى قيل: زوجان، قال الله تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى﴾ [النجم/٤٥]. ويقال للرجل والمرأة: زوجان، والزوج يطلق على الذكر والانثى: قال تعالى: ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة/٣٥]. وقد يقال: للأنثى زوجته، وإن أنكرها الأصمعي، ويقال تزوج فلان امرأة. ولا يقال: تزوج بامرأة. وجاء في المنجد في اللغة والاعلام(٤):

زاج: زوجا بينهم: حرش. زوجه امرأة، أو بامرأة، أو لامرأة: عقد له عليه. وزوج الشيء بالشيء، وإليه: قرنه به. زاوجه: خالطه وقارنه. وأزوج بينهما: قرنهما. وتزوج امرأة، وبامرأة: تأهّل بها – وفي قوم: أخذ امرأة منهم – يقال: (تزوّجه النوم) أي خالطه. تزاوج وازدوج الكلام: تشابه في سجع أو وزن – والقوم: تزوج بعضهم بعضاً. الزوج جمع أزواج وزوجه، وجمع الجمع: أزاويج: البعل – الزوجة – القرين – كل واحد معه آخر من جنسه. فيقال للاثنين (هما زوجان)، و(عندي زوجا حمام)، أي ذكر وأنثى. و(اشتريت زوجي نعال) أي نعلين – الصنف من كل شيء – الزوجة جمع زوجات: امرأة الرجل. الزواج: الاسم من تزوّج.

ويسمى الزواج بالنكاح(٥). يقال: نكح فلان امرأة. إذا تزوجها أي إذا عقد عليها الزواج. كما يقال ذلك إذا جامعها. وهذا يعني أن النكاح يطلق على العقد، وعلى الوطء، ولهذا اختلف علماء اللغة: هل إن النكاح حقيقة في العقد؟ مجاز في الوطء، أو إنه حقيقة في الوطء، مجاز في العقد، أو انه حقيقة في كل من العقد والوطء، والرأي الأول هو الأصح، ويعضده أن النكاح إذا ورد في الشرع يراد به العقد في الغالب، بل إن كثيرا من المفسرين يرون أن النكاح لم يرد في القرآن إلا للدلالة على العقد لا على الوطء. قال تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى منكم﴾ [النور/٣٢]. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ [الأحزاب/٤٩]. وحتى في قوله تعالى: ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة/٢٣٠]. يدل على العقد، أي حتى يعقد عليها زوج آخر، ثم بينت السنة أن العقد وحده لا يكفي في تحليل المطلقة ثلاثا لزوجها الأول، بل لابد من أن يجامعها الزوج الثاني بعد العقد.

ب- الزواج في الشرع(٦):

عرّفه الفقهاء بعدة تعاريف منها:

١- النكاح عقد على البضع بعوض. ويرد عليه بأنه يشمل بعض صور الزنا كما يشمل نكاح المتعة.

٢- النكاح عقد يفيد ملك المتعة قصدا، وهو مثل التعريف الأول.

٣- عرفه ابن عرفة بقوله: النكاح عقد على مجرد متعة التلذذ بآدمية غير موجب قيمتها ببينة قبله غير عالم عاقدها حرمتها إن حرمها الكتاب على المشهور أو الاجماع على الآخر.

٤- وقد عرفته مدونة الأحوال الشخصية المغربية في فصلها الأول بقولها: (الزواج ميثاق ترابط وتماسك شرعي بين رجل وامرأة على وجه البقاء غايته الاحصان والعفاف مع تكثير سواد الأمة بإنشاء أسرة تحت رعاية الزوج على أسس مستقرة تحمل للمتعاقدين تحمل أعبائها في طمأنينة وسلام وود واحترام).

الترغيب في الزواج

الزواج رغب فيه الاسلام قرآنا وسنة واجماعا لما فيه من العفاف والكفاف، وتصريف للطاقة الجنسية في وجهها المرغوب فيه، وفي جعبتها المخصصة لها. فهو الطريق الشرعي للاشباع الجنسي حيث قال الاستاذ فتحي يكن(٧): (لذلك كان الزواج في الاسلام الطريق الانساني

تعد الأسرة اللبنة الأولى للمجتمعات الإنسانية، على اختلاف عرقها، ومعتقداتها، ومقوماتها

الاخلاقي الأوحد الذي يؤدي إلى الاشباع الجنسي للفرد من غير إضرار بالمجتمع. بل كان الواحة الطبيعية الفطرية التي تجمع بين الرجل والمرأة وتمنحها الراحة النفسية والحسية.... وكانت الأخرة المقدسة التي تتوالد عنها الأواصر والصلات المجتمعية الأخرى...).

أ- الترغيب في الزواج بالقرآن الكريم(٨):

لقد رغب القرآن الكريم في الزواج في غير ما آية، ومن ذلك نجد قوله تعالى: ﴿ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم/٢١].

﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ [النور/٣٢].

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ [الرعد/٣٨].

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾ [النحل/٧٢].

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم/٢١].

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ [الأحزاب/٤٩].

﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة/٢٣٠].

﴿وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ [النجم/٤٥].

﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ [البقرة/٢٣٢].

ب- الترغيب في الزواج بالسنة النبوية الشريفة:

والسنة الشريفة هي التي رغبت في الزواج، ومن ذلك قوله ﷺ:

* عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: «أربع من سنن المرسلين: الحناء، والتعطر، والسواك، والنكاح»(٩).

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»(١٠).

* عن ثوبان رضي الله عنه. قال(١١) لما نزلت: [آية التوبة/٣٤]: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم».

قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، فلو علمنا أي المال خير فنتخذه؟... فقال: «لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه».

* عن ابن عباس(١٢) رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربع من أصابهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وبدنا على البلاء صابرا، وزوجة لا تبغيه حوبا في نفسها وماله».

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص (١٣) أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة».

* عن أبي أمامة(١٤) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما استفاد المؤمن - بعد تقوى الله عز وجل - خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله».

* عن سعيد بن أبي وقاص(١٥) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء».

* إن رسول الله ﷺ قال(١٦): «ثلاثة من السعادة: المرأة الصالحة، تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة تلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق».

«وثلاثة من الشقاء: المرأة تراها فتسوءك، وتحمل لسانك عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة قطوفا فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق».

* عن أنس (١٧) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي».

* عن معقل بن يسار (١٨) أنه ﷺ قال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم».

* عنه ﷺ قال(١٩): «من استطاع الباءة فليتزوج» وسيأتي مفصلا.

* عن أبي هريرة(٢٠) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لجمالها، ولمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

* عن أبي مسعود(٢١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

* عن أنس(٢٢) رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا - كأنهم تقالوها - فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟... أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ج- الترغيب في الزواج بآثار السلف الصالح:

حيث رغب السلف الصالح رضي الله عنهم في الزواج قولا وعملا فمن ذلك(٢٣).

* قال ابن عمر رضي الله عنه: (لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور).

* قال ابن عباس رضي الله عنه: (لايتم نسك الناسك حتى يتزوج).

* قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا).

* يقال: إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أم ولده عبد الله وقال: أكره أن أبيت عزبا.

حكمة الزواج

في حكمة الزواج قال رسول الله ﷺ: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة

رغب الاسلام في الزواج.. قرآنا وسنة وإجماعا لما فيه من العفاف وتصريف للطاقة الجنسية في وجهها المرغوب فيه

تنمو غريزة الابوة والأمومة وتتكامل في ظلال الطفولة.. وتنمي مشاعر العطف والود والحنان.. وهي فضائل لا تكمل انسانية إنسان بدونها

فليتزوج فإنه اغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فحدد حكمتين هما لب الحكم الأخرى التي استخرجها العلماء من الزواج، وهما: الغض من البصر، وإحصان الفرج.

١- الغض من البصر:

البصر يعد أهم الحواس التي يعتمد عليها الإنسان في حياته، فهذا البصر إن أطلق دون تقييد، فقد يهوي بالانسان إلى درجة الحيوان، عندما يتردى ببصره، فيطلق له العنان ليرى ما حرم الله، ويتعدى الحدود، فإنه بذلك يكون وبالا على الانسان.

وحتى لا يكون الانسان كذلك، فقد قيد الاسلام بصره، وحدد مجالات رؤياه فيما أحلّ الله تعالى وأمره بغض البصر في مجالات ما حرم.

وغض البصر يتأتى بعدة ضوابط منها الزواج، حيث المتزوج يتعود النظر إلى زوجته، فتتشبع عيناه بها، فيحصل له الغض من البصر، وهكذا تحصل الحكمة الأولى من الحديث الشريف.

٢- إحصان الفرج:

ففي الزواج إحصان للفرج من الزنا التي طالت المجتمعات الانسانية في زماننا هذا، والذي تسبب في العديد من الأمراض الجنسية، وأعظمها خطرا فقدان المناعة (السيدا) أو (الايدز) كما يسميه المجتمع الأمريكي، مجتمع الخلاعة والانحلال الخلقي، والميوعة الساقطة.

فإحصان الفرج بالزواج من امرأة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع، تحطم الشهوة الجنسية وتكبح جماحها، وترشدها فيصبح بذلك الانسان متعففاً، ومحصنا عن الزنا وموبقاته، فتحصل الحكمة الثانية من الحديث الشريف. وحكمة الزواج لا تقف عند هذين المطلبين بل تتعدى ذلك إلى مطالب أخرى من جملتها:

١- طلب الولد:

حيث جاء عنه ﷺ أنه قال: «تزوجوا الولود فإني مكاثر بكم الأمم»(٢٤). وعن ابن عمر رضي الله عنه انه كان يكثر النكاح ويقول: ما أتزوج إلا لأجل الولد(٢٥).

فطلب الولد يكثر سواد الأمة الاسلامية، وفي ذلك تجدد للأمة الاسلامية عقيدة وعلما وعملا. فالكثرة فيها تنوع وتكامل وانسجام وتحد للآخرين. وفي هذا قال الامام أبو حامد الغزالي: (الولد، وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الانس. وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفعل في اخراج البذر وبالأنثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع، كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج.

ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لعجائب الصنعة وتحقيقاً لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم. وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا. (الأول) موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الانسان (والثاني) طلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير من مباهاته. (والثالث) طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده (والرابع) طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله)(٢٦).

٢- الترويح عن النفس ومؤانستها بالمجالسة:

وفيها قال الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: (ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمعت وثابت، وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت، وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات، ولذلك قال الله تعالى (ليسكن إليها) وقال علي رضي الله عنه: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا أكرهت عميت. وفي الخبر «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه، فإن في هذه الساعة عونا على تلك الساعات)(٢٧).

٣- توفير الوقت للقلب للعبادة والتفكر في الله تعالى:

فالزواج يعين الزوجين على اقتسام المسؤولية، وبذلك يحصل من الوقت ما يساعد كلا الطرفين على العبادة، فلو تكفل الإنسان رجلا أو امرأة بالقيام بجميع الاعمال لما بقي له من الوقت ما يصرفه في العبادة والتفكر في ملكوت الله تعالى. ولهذا قال الامام الغزالي في هذا المقام: (تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة، فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش، في منزله وحده، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاعت أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق)(٢٨).

٤- مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية:

قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله: (مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعة في إصلاحهن وارشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده، فكل هذه أعمال عظيمة الفضل، فإنها رعاية وولاية، والأهل والولد رعية، وفضل الرعاية عظيم، إنما يحترز منها من يحترز خفية من القصور عن القيام بحقها، والا فقد قال عليه الصلاة والسلام: «يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة» ثم قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط، ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها)(٢٩).

آثار الزواج النافعة

وقد أجمل هذا كله، ولخصه الأستاذ الشيخ السيد سابق(٣٠) بقوله في حكمة الزواج: (وإنما رغب الاسلام في الزواج على هذا النحو، وحبب فيه لما يترتب عليه من آثار نافعة تعود على الفرد نفسه، وعلى الأمة جميعا، وعلى النوع الانساني عامة:

١- فإن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها، وهي تلح على صاحبها دائما في إيجاد مجال لها: فما لم يكن ثمة ما يشبعها انتاب الانسان الكثير من القلق والاضطراب، ونزعت به إلى شر منزع.

والزواج هو أحسن وضع طبيعي، وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة واشباعها. فيه يهدأ البدن من الاضطراب، وتسكن النفس عن الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله.

وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة:﴿ومن آياته إن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم/٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه» [رواه مسلم وأبو داود والترمذي].

٢- والزواج هو أحسن وسيلة لانجاب الأولاد، وتكثير النسل، واستمرار الحياة مع المحافظة على الانساب التي يوليها الاسلام عناية فائقة، وقد تقدم قول رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم» (رواه أبو داود والنسائي والحاكم).

وفي كثر النسل من المصالح العامة والمنافع الخاصة ما جعل الأمم تحرص أشد الحرص على تكثير سواد أفرادها باعطاء المكافآت التشجيعية لمن كثر نسله وزاد عدد أبنائه. وقديما قيل: إنما العزة للكاثر. ولا تزال هذه حقيقة قائمة لم يطرأ عليها ما ينقضها.

دخل الأحنف بن قيس على معاوية - ويزيد بين يديه، وهو ينظر إليه إعجاباً - فقال: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟... فعلم ما أراد - فقال:

يا أمير المؤمنين، هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف لمن بعدنا، فكن لهم أرضا ذليلة وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وان استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك فيملوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك.

فقال: لله درك يا أبا بحر، هم كما وصفت.

٣- ثم إن غريزة الابوة والأمومة تنمو وتتكامل في ظلال الطفولة، وتنمي مشاعر العطف والود والحنان، وهي فضائل لا تكمل انسانية إنسان بدونها.

٤- الشعور بتبعه الزواج، ورعاية الأولاد يبعث على النشاط وبذل الوسع في تقوية ملكات الفرد ومواهبه. فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه، والقيام بواجبه. فيكثر الاستغلال وأسباب الاستثمار مما يزيد في تنمية الثروة وكثرة الانتاج. ويدفع إلى استخراج خيرات الله من الكون وما أودع فيه من أشياء ومنافع للناس.

٥- توزيع الأعمال توزيعا ينتظم به شأن البيت من جهة، كما ينتظم به العمل خارجه من جهة أخرى. مع تحديد مسؤولية كل من الرجل والمرأة فيما يناط به من أعمال.

فالمرأة تقوم على رعاية البيت وتدبير المنزل، وتربية الأولاد، وتهيئة الجو الصالح للرجل ليستريح فيه ويجد ما يذهب بعنائه، ويجدد نشاطه. بينما يسعى الرجل وينهض بالكسب، وما يحتاج إليه البيت من مال ونفقات.

وبهذا التوزيع العادل يؤدي كل منهما وظائفه الطبيعية على الوجه الذي يرضاه الله ويحمده الناس، ويثمر الثمار المباركة.

٦- على أن ما يثمره الزواج من ترابط الأسر، وتقوية أواصر المحبة بين العائلات وتوكيد الصلات الاجتماعية مما يباركه الاسلام ويعضده ويسانده.

٧- جاء في تقرير هيئة الأمم المتحدة الذي نشرته صحيفة الشعب الصادرة يوم السبت ٦/٦/١٩٥٩م أن المتزوجين يعيشون مدة أطول مما يعيشها غير المتزوجين سواء أكان غير المتزوجين أرامل أم مطلقين أو عزابا من الجنسين.

وقال التقرير:

إن الناس بدؤوا يتزوجون في سن أصغر في جميع أنحاء العالم، وإن عمر المتزوجين أكثر طولا.

وقد بنت الأمم المتحدة تقريرها على أساس أبحاث واحصائيات تمت في جميع أنحاء العالم خلال عام ١٩٥٨م بأكمله، وبناء على هذه الاحصاءات قال التقرير:

إنه من المؤكد أن معدل الوفاة بين المتزوجين، - من الجنسين - أقل من معدل الوفاة بين غير المتزوجين، وذلك في مختلف الأعمار.

واستطرد التقرير قائلا:

وبناء على ذلك فإنه يمكن القول بأن الزواج شيء مفيد صحيا للرجل والمرأة على السواء، حتى ان أخطار الحمل والولادة قد تضاءلت فأصبحت لاتشكل خطرا على حياة الأم.

وقال التقرير:

إن متوسط سن الزواج في العالم كله اليوم ٢٤سنة للمرأة و٢٧للرجل. وهو سن أقل من متوسط سن الزواج منذ سنوات».

الهوامش:

(١) و(٢) قرآن كريم.
(٣) احكام الأسرة في الشريعة الاسلامية وفق مدونة الأحوال الشخصية ص:١٧-١٨.
(٤) المنجد في اللغة والاعلام ص:٣١٠.
(٥) أحكام الأسرة في الشريعة الاسلامية وفق مدونة الأحوال الشخصية: ص:١٨.
(٦) نفسه ص:١٨.
(٧) الاسلام والجنس ص:٢٩-٣٠.
(٨) جميع الآيات مستقاة من القرآن الكريم.
(٩) رواه الترمذي.
(١٠) رواه الترمذي.
(١١) رواه الترمذي وابن ماجة.
(١٢) رواه الطبراني.
(١٣) رواه مسلم.
(١٤) رواه ابن ماجة.
(١٥) رواه أحمد.
(١٦) رواه الحاكم.
(١٧) رواه الحاكم والطبراني.
(١٨) رواه أبو داود والنسائي.
(١٩) متفق عليه (رواه البخاري ومسلم).
(٢٠) متفق عليه.
(٢١) متفق عليه.
(٢٢) متفق عليه.
(٢٣) جل ما ورد في هذا البحث استقيته من أحياء علوم الدين المجلد الثاني ص:٢٢ إلى ٢٣ بتصرف.
(٢٤) رواه أبو داود والنسائي.
(٢٥) احياء علوم الدين المجلد الثاني ص:٢٢.
(٢٦) نفسه ص:٢٣.
(٢٧) نفسه ص:٢٨و٢٩.
(٢٨) نفسه ص:٢٩.
(٢٩) نفسه ص:٣٠.
(٣٠) فقه السنة ص:١٠-١٢.

انحراف الطفولة.. وعلى من نلقي اللوم..؟!

بقلم: سعد رفعت راجح

...لماذا ينحرف الطفل؟..سؤال يتبادر إلى خلد الكثير منا.. ليس على مستوى الأفراد العاديين فحسب ..بل وعلى مستوى علماء النفس والتربية والمختصين، منا من لايكلف نفسه عناء البحث الناجع لمثل هذه الظاهرة الخطيرة.. وهو في حيرة من أمره.. يتساءل: ماهي سبل الوقاية وطرائق العلاج لمثل هذه الأسباب.

...ونؤكد في البداية.. للجميع أن انحراف الطفولة ليس واحداً من الصفات الوراثية كما تشير إلى ذلك المدرسة القديمة في علم النفس .. معتمدة على المثل الشائع والخاطيء(من شابه أباه فما ظلم)..فما هي إذن البواعث الحقيقية التي تحدو بالطفل ليقع في هذا المستنقع الآسن من العقوق والتمرد ضد القيم والمباديء الأخلاقية والخروج عن الجادة والصواب.. والخوض في الاتجاهات السلوكية الشاذة.. مما يضر بمستقبل هؤلاء الأطفال ويسيء إلى سمعة الأسرة، وبالتالي إلى مايترتب على ذلك من عواب وخيمة على المجتمع قاطبة.. ناهيك عن نزوع الطفل نحو التشرد الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم خطر الانحراف وتطوره نحو أرتكاب الأخطاء والجنح والجرائم..؟!

لاشك أن انحراف الطفولة يرجع إلي الوسط والبيئة.. بما في ذلك رفقة السوء وسوء التربية وسوء البيئة والظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشون فيها وفي ظلها.. ولكن : الدراسات والابحاث والاحصاءات الاجتماعية والمعلومات التي لها علاقة بهذا الموضوع على عاتق من تلقى بالمسؤولية تجاه هذه الشريحة الحساسة من المجتمع..؟!

إن معظم الدراسات ترجيء انحراف الطفولة إلى الآتي:-

أولاً: الأسرة

والأسرة من المؤسسات الاجتماعية والتي تتشكل فيها شخصية الطفل ويتطلب فيها مايسميه علماء النفس.. (بالتهيج العام).. والذي يعتبر المادة الخام التي تتشكل فيها الانفعالات لدى الطفل..وكلما كانت الأسرة يخيم عليها جو من الهدوء والدعة.. خرج الطفل عقلانياً يحكم على الأمور من خلال الأطر التي حددها الدين والمجتمع الذي يحيا فيه.. أما اذا كانت العلاقة بين أفراد الأسرة ملتهبة وخاصة بين الأبوين وتتسم بالتفكك وعدم مراقبة الأطفال.. والطلاق وموت أحد الأبوين(الأب أو الأم) أو كليهما حيث يترك الأطفال بين أحضان الاقرباء والجيران.. ليمهد السبيل للطفل للخوض في الاتجاهات السلوكية الشاذة.. فالأسرة إذن إماأن تخرج لنا المهندس والمدرس والطبيب والعامل الناجح.. واما ان تخرج لنا قوافل من المتشردين والمنحرفين.. ولأهمية الأسرة في تنشئة الأطفال والتي تعتبر اللبنة الأولى لبناء المجتمعات.. فقد أعلنت الأمم المتحدة العام المنصرم عام ٩٤م عاماً دولياً للأسرة.

ثانياً: رفقاء السوء

ومن العوامل التي يعزي إليها انحراف الطفولة.. رفقة السوء.. ويأتي هذا العامل في المقام الثاني حيث ان ترك الأسرة للطفل(الحبل على الغارب) دون احياء مبدأ الثواب والعقاب ليخلق للطفل الفرص نتيجة لحظه العاثر للتعرف على شرذمة السوء والتي ينجرف في تيارهم إلى هوة سحيقة يصعب بعد ذلك الخروج منها..وماتناول المخدرات وتعاطي المنبهات والمنشطات في مرحلة الطفولة المتأخرة.. والمنتشرة في مجتمعاتنا العربية بشكل مخيف وعلى المستوى الخارجي بصورة مرعبة إلاويرجع السبب فيه إلى مايسمى بطباع الشارع..(رفقاء السوء).

وهناك الكثير من الدراسات تؤكد أن الطفل في المرحلة من (١٣ ـ ١٨) سنة.. مرحلة المراهقة.. تكون

انحراف الطفولة ليس واحداً من الصفات الوراثية كما تشير إلى ذلك المدرسة القديمة في علم النفس

نسبة انحراف الذكور اكثر من الإناث لأن الطفل يتحرر من رقابة الأسرة والمدرسة ولقلة الخبرة وانعدام التجربة كثيراً مايصدم الطفل باشكاليات ومصاعب يصعب عليه مواجتها غالباً مايكون اندفاعهم متهوراً بزعم الاعتما وعلى النفس.. مما يجعلهم أداة صعبة للانحراف.

ثالثا: الاعاقة

..ولاشك (أن كل ذي عاهة جبار) فقد اثبتت الدراسات المسحية لعلماء النفس أن الاعاقة الجسدية والأمراض العقلية والنفسية التي يصعب الشفاء منها باعث من بواعث الانحراف عند الأطفال، فالطفل المعوق ينحرف منتقماً من مجتمعه بلا شفقة ولا رحمة .. ذلك المجتمع الذي آواه ولم يمد له يد الرحمة والشفقة.. ومما لاجدال فيه أن الطبيب الماهر هو الذي يشخص المرض بنجاح ويعرف أسبابه بمهارة..ويصف العلاج بتركيز وحنكة ليشفي المريض باذن الله ..فما هو العلاج الناجع لهذه الظاهرة الخطيرة..؟!!

ويسألونك عن العلاج

١ـ على الأسرة تنشئة أطفالهم تنشئة إسلامية وأخلاقية سليمة.

٢ـ وعلى الأب.. التنبه لاي تغيير في سلوك طفله.. مقوضاً أي بوادر للانحراف بالشدة التي لاتخلو من الرحمة.

٣ـ على المدرسة.. عمل الآتي:

أ ــ الندوات التي تدعو إلى الاستقامة وتحقر الانحراف بكل اشكاله من سرقة وتعاطٍ للمخدرات وغيرها.

ب ـ إقامة الأنشطة: رياضية ـ ثقافية ـ فنية تحت شعار (لا للانحراف)

ج ــ إقامة مسابقات علي مستوى المحافظات والمتمثلة في الأبحاث الطلابية والتي تتناول تأثير الانحراف على الفرد والأسرة والمجتمع وتوزع الجوائز على الفائزين وليكن من بند الأنشطة المدرسية.

د ــ رصد جوائز عينية قيمة للطلبة المثاليين تشجيعاً للطلبة الآخرين للاقتداء بهم سلوكياً، وخلقيا وعلميا.

٤ـ وعلى الدولة عمل الآتي:

أ ــ تأطير مؤسسات رعاية الطفل بأسس ذات كفاءة ومستوى ثقافي لائق.

ب ـ ايجاد المرونة في التشريعات والقوانين الخاصة بالطفولة لمسايرة التطورات التي تواكب حياة الاطفال.

ج ــ الحد من.. (الطبقية)..لأن الفوارق الطبقية تؤثر في نفسية الطفل سلباً.

دـ الاهتمام بالجانب التربوي والاعتناء بالطفل عن طريق خطة قومية شاملة للطفولة.

هـ ــ التنسيق في البرامج الخاصة باعداد الطفولة بين الأسرة والمدرسة ومؤسسات رعاية الطفولة وذلك من اجل تسهيل الدمج الاجتماعي فالمجتمع للجميع لايقبل التفرقة.

و ـ محاربة الجريمة وإصدار الأحكام الصارمة ضد المنحرفين وتطبيقها وانشاء دور لرعاية الأحداث.

ن ـ تشجيع الدراسات المسحية والأمبيريقية(١).. لمعرفة أسباب انحراف الطفولة في المجتمعات العربية ووصف العلاج المناسب بما يناسب كل بيئة من البيئات العربية من منطلق الحفاظ على كيان الأمة العربية والإسلامية.

ي ــ عدم عرض الأفلام والتمثيليات المتسمة بالإجرام والانحراف والتي تجعل من المجرم بطلاً محبباً لنفس الطفل حتى لايحاول تقليده.. وما السرقة وغيرها إلا جراء هذا الإعلام الفاسد والذي يهدف إلى سلخنا من هويتنا العربية والإسلامية..وخلق جيل مائع لايستطيع الدفاع عن نفسه فما بالنا بأمة تبغي سيادة العالم من جديد .

لاشك ان العلاج يحتاج إلى بذل مجهود كبير مخلص لينتقل من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي الذي هو الأمل لبناء أمهات المستقبل ورجال الغد المرتجى لأمة عربية واسلامية قوية.■

على الأسرة تنشئة أطفالهم تنشئة إسلامية وأخلاقية سليمة.

هوامش

١ـ البحث الأمبيريقي: هو البحث الذي يحتكم إلى الواقع أي يدرس أموراً قائمة فعلاً في (الواقع) والتي تجرى وفقاً لقواعد المنهج العلمي الأساسية والتي تشمل: الموضوعية ـ بيان نقاط الضعف في البحث ــ بيان نقاط القوة فيه واستخدام الارقام كلما أمكن ذلك. الأمر الذي يعطي قيماً مقبولة ومرضية للبحث.

جعل الاسلام للفقراء نصيبا في مال الاغنياء، فالمال مال الله تعالى

إشكالية الفقر العرضي والعلاج من المنظور الإسلامي

اثر الاحتياج في الانحلال الخلقي والتدهور الاجتماعي

منذ التاريخ القديم والفقر يعتبر من أعداء الإنسان، حيث انه يدفع في كثير من الاحيان الى المذلة والهوان، ولذلك قال الرسول محمد: «يكاد الفقر ان يكون كفرا» [رواه أبو نعيم في الحلية] وبالتالي فهو ظاهرة من ظواهر التخلف ومؤشر يؤكد التفكك الاسري والتدهور الاجتماعي، وكلما انتشر هذا الداء العضال مع الثنائي الخطير (الجهل والمرض) اصبح هذا الثالوث البغيض اخطر الاخطار على حياة البشر التي تهلك الفرد والاسرة والمجتمع وتزرع في النفوس الحقد والكراهية بين الناس. ولذلك نجد أن رجال الرياضة والمصلحين وعلماء النفس والاجتماع عالجوا - باقوال وحكم كثيرة - الامراض الاجتماعية والاخلاقية الناتجة عن الفقر بكل خلفياته ومظاهره المتفاقمة.

ومن جملة ماقيل في هذا المجال: لاخير في مجتمع نصفه في فاقة ونصفه الآخر في رخاء.

وعني الفكر السياسي الحديث بمشكلة الفقر في العالم وعبر عن تصور الحياة الديمقراطية في الكثير من المجتمعات لكونها لم تكن قادرة على اشاعة روح العدالة الاجتماعية والمساواة الحقيقية في العيش وفي ممارسة الحياة، وفي التعبير اشارة الى ان مايتحقق في مجالات الحياة الديموقراطية يدخل في نطاق المزاعم، والواقع يؤكد بان الحقائق لاتخفيها المزاعم، وقد علق على مثل هذه النازلة رجل سياسي فقال مامعناه: ان البطون الجائعة لاتصفق.

وعبر مراحل التطور التي عرفها المجتمع الانساني مرت البشرية بأزمات قاسية وعايشت ويلات وفواجع مهولة نتيجة غزو هذا الوباء الكاسح، الذي ينشأ بفعل عوامل تصعب مواجهتها في غالب الاحيان نظرا لترسبها وعمقهاواستراتيجيتها ومن بين هذه العوامل المنتجة للفقر: الحروب، ولايجهل احد ما للحروب من مخلفات وضحايا ومآسٍ ودمار وخراب ويتامى وأرامل ومعوقين.

كما ان هناك عوامل أخرى تولد الفقر كالكوارث الطبيعية ونكبات

بقلم: علال البوزيدي

الدهر واسباب اخرى من بينها سوء التدبير والفرقة والتطاحن والفتنة، كل هذه العوامل سلبية في اساسها وتؤدي في معظمها الى اشاعة الفقر في الاوساط، وبذلك يعم الانحلال والفساد والإفلاس الاجتماعي.

الطمع فقر حاضر

عنوان هذه الفقرة استلهمته من حكمة مأثورة ووصية مشهورة التمسها سعد بن ابي وقاص من الرسول عليه الصلاة والسلام عندما قال: يارسول الله: أوصني وأوجز فاجابه النبي: «اياك والطمع فانه فقر حاضر».

وهي وصية ينبغي ان يستوعبها فكر وعقل كل مسلم مؤمن، فيجعل منها نبراسه الذي ينير طريقه واسلوبه الذي يمارس به حياته، اذاً فما احوجنا الى الاتعاظ بمثل هذه المواعظ للانتفاع بها في تفكيرنا وتدبيرنا وسلوكنا ومعا ملاتنا مع بعضنا البعض فبهذه الوصايا الخالدة يمكن لنا تقويم اخلاقنا واصلاح انفسنا ونكران ذاتنا ونبذ ماببيننا من خلافات وتحسين مايربطنا من علاقات، والتواضع والتراحم والتكافل الاجتماعي في الاسلام حافل بمثل هذه الوصايا والمواعظ، ولكن هل هذه القيم تجد من التطبيق الفعلي الحقيقي مايتطابق مع نصوص الشريعة الاسلامية الخالدة.

اعتقد جازما بأنه لو حصل ذلك التطبيق المنشود، لكان المجتمع الاسلامي في كل جهات الدنيا معافى من الامراض الاجتماعية ولاأثر فيه للفقر الذي هو مصدر كل بلاء ووباء ولم يخالط سلوك الافراد والجماعات الطمع والنفاق والانانية وحب الذات والتهافت علي جمع المال والتقاعس في اداء الزكاة. فلو كان الكبير يرحم الصغير والغني يأخذ بيد الفقير والقوي يشد ازر الضعيف لكان الأمر أهون والعلاج أسهل.

ولكن الناس تاهوا في دوامة افتقدوا معها القيم والمثل العليا وكان هذا سببا رئيسياً في نشوء الامراض التي يعاني منها المجتمع الحديث فلم تعد هناك مبادرات للخير كفيلة بمواجهة مايكتسح خلايا المجتمع من انواع الشرالمتمثل بعضها في الانحراف الخلقي والتفكك الاسري والانحطاط الاجتماعي، حتي اصبح الواقع يدق ناقوس الخطر وتحول التفكير من الوقاية إلى العلاج، بل كلما اتجهت المحاولات لمعالجة إشكالية ما إلا

واصطدمت بإشكالية أعوص منها واخطر.

وكلما تعمق المرء في البحث والتحليل ازداد اقتناعا بأن طغيان الماديات من بين العوامل السلبية التي اصبحت تحول بين الناس والقيام بالواجبات النافعة للمصلحة العامة، فنتج عن ذلك تفوق في الاستهلاك على الانتاج، ومن هنا دخل الفقر بدون استئذان الى العديد من المجتمعات بعد ان تسلل وتسرب إلى مجتمعات اخرى.

للفقراء نصيب في مال الاغنياء

إن هذا التشريع الحكيم الذي نص عليه القرآن الكريم شيء لم يكن بإمكان الفكر الانساني ان يتوصل اليه لو لم يأت به القرآن العظيم بوصفه كتاب الله المنزل على رسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وبوصفه كذلك دستور الأمة الاسلامية التي جاء في حقها: ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس﴾ الى آخر الآية، ويحضرني بعض ماقاله الاستاذ احمد البيلي من السودان في قصيدة له بعنوان:(القرآن الكريم دستور المسلمين) من بين ماجاء فيها:

قد دعيتم للهدى فاستمسكوا
ان حبل الله موصول متين
ذلك القرآن نبراس للهدى
ومنار لجميع العاملين
عز شعب قد مشى في ضوئه
لم يحد عنه يسارا او يمين
شرعة الله الى الخلق فمن
حاد عنها حاد عن نهج مبين
فيه خير الدين والدنيا معا
فيه ماكان وماسوف يكون
كل من رام هدى في غيره
ضل سعيا وغدا في الخاسرين

وهكذا تتنافس الافكار والاقلام في توضيح وبيان فضل الاسلام الذي جاء فعالج العديد من الاشكاليات الاجتماعية في سهولة ومرونة ويسر وجعل بين الناس مودة ورحمة وحث على التعاون والاحسان والبر وهذه الخصائص والصفات هي التي تعتمد كأسلوب ناجح في العمل الاجتماعي والخيري.

واذا كانت العلوم الحديثة قد توصلت الى أن مشكلة الفقر لها الاثر السيء، بل هي مصدر الجرائم والمناكر والفواحش، والسبب الاكبر في انحراف الانسانية عن الجادة والصواب، فان المشكلة لم تتجاوز بعدُ العرض، اما العلاج فلايتم ولن يتم الا بالرجوع الى نصوص القرآن والشريعة الاسلامية الخالدة، فبالخروج بهذه النصوص والتعاليم من الاقوال الى الافعال اذا ذاك، يمكن القضاء على مشكلة الفقر الخانقة والضنك والبؤس والحرمان ومايتبع ذلك من مشكلات تحط من كرامة الانسان وقدره في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي والخوف من الفقر..

ذلك ان ضرورة التعايش الاجتماعي او السلم الاجتماعي تعتبر حتمية مهما طغت الطبقية ومهما تمسك الناس بالمذهب المادي وهذه الحتمية من الابعاد التي لاتناقش ولاجدال فيها ونستلهم المفهوم الحقيقي لذلك من قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾إنه أمر من الله عز وجل وعلى اساسه ينبغي ان يكون التطبيق العملي في البرامج والمخططات الهادفة الى محاربة الفقر ومعالجة آفاته المتعددة.

كيف كانت محاربة الفقر في صدر الإسلام

اذا كان تاريخ الاسلام حافلا بالوصايا والتعاليم النيرة الصالحة لكل زمان ومكان، فحري بنا أن نستلهم من معطيات هذا التاريخ مايفيدنا في وقتناالحاضر، والذي تموج فيه المشاكل الاجتماعية، بل وتتفاقم باستمرار، ذلك انه في العهد النبوي الشريف وفي عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم يحدثنا التاريخ ان محاربة الفقر كانت قولا وفعلا.

فهذا سيدنا ابو بكر رضي الله تعالى عنه: كان يتصدق بماله كله وقد جاء على لسان عروة بن الزبير قال:لقد انفق ابو بكر ثروته كلها وتقدر بأربعين الف درهم في سبيل الله كما قال عروة: اخبرتني عائشة رضي الله عنها،انه مات وماترك درهما ولادينارا.

وفي سيرة سيدنا عمر رضي الله عنه وارضاه انه كان يولي الفقراء رعاية كبيرة وعطفا يتجاوز الوصف وماأكثر ماقيل عن عدل عمر وبره بالفقراء والمحتاجين.

وكانت تسود هذه الروح في المجتمع الاسلامي، ولذلك كان هذا المجتمع في اوج عظمته، بل كان المجتمع المثالي في الاخلاق والتماسك والتكافل الاجتماعي.

الفقر مصدر عدة آفات اجتماعية

ان البحث والتقصي في السلوك الفردي والجماعي — ومن خلال اجتهادات كل المدارس التي تجتهد وتتنافس في مجالات العمل الاجتماعي — يوقفنا على ان معظم الآفات الاجتماعية مصدرها الفقر. فحتى بعض التأويلات او التحاليل لبعض الظواهر الاجتماعية التي تحاول اللعب بالكلام خوفا من التهويل وهروبا من الواقع فنجد مثلا أن من يقول بأن الهجرة من البادية الى المدينة اومن المجتمع المتخلف الى المجتمع الصناعي مصدرها الحاجة الى العمل، والواقع ان مصدرها الحقيقي هو البحث عن العيش والدافع اليها في معظم الاحيان هو الفقر. وظاهرة البغاء هناك من يحاول إرجاعها للشذوذ او الانحراف، ولكن غالبا مانجد بان الدافع اليها هو الفقر، نفس الشيء بالنسبة الى السرقة والى الانحرافات الاخرى التي يكون ضحيتها الأطفال والشباب، كالطلاق وتعاطي المخدرات الخ.

وخلاصة القول: ان الفقر عندما يتسلط على الفرد والاسرة والمجتمع يفعل الافاعيل ويجلب كل انواع الهوس وبالتالي فهو مصدر كل بلاء.

ذلك ان الفقر يقحم الناس في اليأس والقنوط ويدفعهم الى عدم الوفاء بالالتزامات. وبذلك يتفشى الانحلال الاخلاقي والانحطاط الاجتماعي والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب■

لا خير في مجتمع نصفه في فاقة ونصفه الآخر في رخاء

المتاحف العلمية

بقلم / رجب سعد السيد

يتبع المعهد القومي – لعلوم البحار والمصايد بالإسكندرية – متحف للأحياء البحرية، بالإضافة إلى معرض (أكواريوم) للأسماك الحية التي تعيش في البحرين المتوسط والأحمر. وخلال سنين عملي بهذا المعهد، كنت أرافق – من حين لآخر – ضيوفي لزيارة المتحف. وكنت – في كل مرة – أعجب لتلك الدهشة التي تبدو على وجوه الضيوف، وغيرهم من الزائرين، وهم يتنقلون بين المعروضات الحية والمحنطة، واللوحات التعبيرية، والمعروضات الهيكلية، ويطلبون المزيد من المعلومات عن أنماط الحياة في البحر ان عجبي من دهشة الزائرين مردود إلى أنني اعتدت مشاهدة المعروضات التي يمثل بعضها جانبا من عملي اليومي الروتيني. ولكن، تبقى الدهشة دليلا على تعطش العامة للثقافة العلمية التي تقدم لهم في صورة مشوقة، خصوصا فيما يتصل بعوالم أخرى لاتزال تغلفها – بالنسبة للسواد الأعظم من مواطنينا – الأسرار، ويحيط بها الغموض، مثل عالم الفضاء، وعالم البحار والمحيطات.ويهمنا، في هذا المجال، أن نتحدث عن أهمية وضرورة وجود متاحف بحرية في البلاد الساحلية. فهذه المتاحف تلعب – أو يمكن أن تؤدي – دورا كبيرا في مجال الإعلام والتثقيف العلمي، فيما يختص بالبحار وإمكاناتها التي لا تزال متاحة للإنسان دون أن يتمكن – حتى الآن – من استغلالها الاستغلال الأمثل لحل بعض مشاكله المعاصرة والمستقبلة، مثل نقص الغذاء الآدمي. وهي قضية تستحوذ اهتمام الكثيرين من العلماء في أنحاء كوكبنا.

نعود إلى متحف علوم البحار بالاسكندرية. إنه يحتل جزءا من مبنى قلعة (قايتباي) التاريخية المشهورة. لقد شهدت هذه القلعة تاريخا حافلا بالنضال ضد العديد من الغزوات البحرية. ولكن ذلك ليس موضوع حديثنا الآن. غير أن القلعة لا تزال متماسكة ومحتفظة بملامحها المعمارية. وهكذا، يتاح للزائر المتعدد الاهتمامات أن يستقرىء جدرانها وممراتها وفتحاتها. ثمة – إذن – متحفان في متحف! ويشتمل هذا المتحف البحري على قسمين يمثل كل منهما بيئة بحرية مختلفة: قسم لبيئة وأحياء البحر المتوسط، واخرى لبيئة وأحياء البحر الأحمر.وأول ما يلفت نظر الزائر فور دخوله المتحف، ذلك التكوين الهيكلى الضخم.. إنه لحوت صغير من النوع المعروف باسم حيتان البالين. إنه ليس سمكة. ويندهش معظم الزائرين لهذه الحقيقة. وتزداد دهشتهم عندما يعلمون أنه حيوان ثدبي، تلد أنثاه وترضع صغيرها. ونظرة إلى أجزاء من الهيكل العظمى تؤكد وجود الصلة بينه وبين مجموعة الحيوانات الثديية. ويأخذ الزائر – وقد بدأت الحقائق تخفف من وطأة الدهشة عليه – في تلمس ملامح هيكل هذا الحيوان.. فهذه عظام الرأس، وهذه عظام الساعد، وهذه عظمة الكتف، وهذه عظام القفص الصدري. فعلا.. إنها قريبة الشبه بعظام الآدميين!.ولا تلبث الدهشة أن تطل مرة أخرى من عيون الواقفين أمام الواجهة الزجاجية التي تقف خلفها (عروس البحر). إنها ثدييات بحرية أخرى، تقطن البحر الأحمر، وهي شديدة الشبه بالإنسان. يكفي فقط أن تنظر إلى نظام تخميس الأصابع في الطرف العلوي لهيكل العروس ليتأكد وجه الشبه. أنها حيوانات بحرية وديعة، تقتات أعشاب البحر، ويربطها إحساس غريزي قوي بالحياة الأسرية. يحكي صياد خبير أن أحسن طريقة للإيقاع بهذه الكائنات البحرية، أن يختطف صغير الأسرة من بين أبويه، فيظل الأبوان في أثر المختطف، حتى يصل بهما إلى المياه الضحلة، فيسهل الإمساك بهما!.ويحتوي المتحف على بعض أنواع من الأسماك الغضروفية التي تعيش في البحرين الأحمر والمتوسط، أهمها عينة ضخمة من القرش الأزرق المفترس، والقرش ذو المطرقة، والقرش الذئب، والقرش ذو المنشار. وثمة أنواع أخرى من الأسماك الغضروفية مثل القيثار المغزلي، والقوابع الكهربية (الطوربيد)، والشفنين البقري، وهي أسماك تشبه الخفاش، لها قيمة اقتصادية، إذ يتقبلها سكان المناطق الساحلية كمصدر لأنواع ممتازة من اللحم ذي القيمة الغذائية العالية. أما الأسماك العظمية، فثمة عشرات من أنواعها الشائعة في مياه البحرين المتوسط والأحمر، أهمها أسماك تنتمي إلى عائلات الحمام وذات الشراع، والشعري، والنهاش، والبوريات، والماعزيات، والببغاء، والتونة، والوقار، والمرجانيات، والبراكودا. كما يحتوي المتحف على نماذج عديدة للقشريات، والرخويات البحرية، ولحيوانات الشعاب المرجانية في البحر الأحمر، ممثلة تمثيلا (بانوراميا) يحتفظ للكائنات بألوانها ومواقعها النسبية من القاع وملامح من سلوكياتهولا تتاح لكل الزائرين – للأسف – فرصة اكتمال المتعة بوجود الوسائل المناسبة لتوصيل مثل هذه المعلومات إليهم. فالامكانات المحدودة تؤدي إلى تواضع الخدمة الثقافية والترويحية التي يقدمها هذا المتحف حاليا.وقد أتيحت لنا فرصة زيارة سريعة لمتحف (دنفر) للتاريخ الطبيعي، بمدينة (دنفر) بولاية (كولورادو) بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو نموذج متكامل للمتحف العلمي الذي لا ينقصه الجانب الترويحي والتثقيفي العام. وفي جولتك داخل المتحف، يمكنك –

إن تنوع البيئات في العالم العربي يمكن أن ينتج لنا مجموعة رائعة من المتاحف العلمية

كمتخصص – أن تحصل على بغيتك من المعلومات، وأيضا يمكنك الاستمتاع باستعراض الأنواع المختلفة من الحيوانات والعلاقات الحيوية. والمعروضات مقدمة بشكل مترابط، تحكي العلاقات بين الكائنات المختلفة، بالإضافة إلى أنها مزودة بلوحات ذات معلومات مختصرة. فإذا أردت المزيد يمكنك أن تلجأ إلى مكتبة ضخمة تحتوي على عدة آلاف من الكتب المتخصصة.وأيضا، يقدم المتحف خدمات مساعدة للزائرين عن طريق العروض الفيلمية والتسجيلات الصوتية التي تتم في صالات عرض ضخمة مخصصة لهذا الغرض. ويهتم المتحف بزائريه من الأطفال اهتماما خاصا. ويخصص لهم طاقما من المرافقين يساعدونهم على الاستمتاع بالمعروضات وتقبل المعلومات التي تتناسب وأعمارهم. ويجهز لهم المتحف عروضا سحرية مناسبة، ويقدم لهم هدايا رمزية عبارة عن مستنسخات من بعض معروضات المتحف، مما يدخل البهجة إلى نفوسهم، ويجعل زيارة المتحف العلمي حدثا لا ينسى طيلة العمر.

نريد من جامعاتنا، ومراكزنا العلمية على امتداد عالمنا العربي أن تسعى إلى تحقيق مثل هذه النماذج المشرفة من المتاحف العلمية. إن تنوع البيئات في العالم العربي يمكن أن ينتج لنا مجموعة رائعة من المتاحف العلمية.

ولاتنقصنا الكوادر الفنية والعلمية، ولا الطاقات والامكانات المادية، ولا النوايا الطيبة، أحيانا ينقصنا الخيال والقدرة على استشراف المستقبل. والمتاحف العلمية جزء من المستقبل ودرب إليه. لأنها تتصل بالتربية العلمية للأجيال الجديدة. إن زيارة واحدة لمتحف علمي ممتاز يمكن أن تترك أثرا في الطفل أو الشاب الصغير أقوى كثيرا من قراءة العديد من الكتب والمجلات أو مشاهدة البرامج والأفلام العلمية. المهم أن يخرج المتحف إلى حيز الوجود في صورة جديدة بدوره العظيم في تشكيل العقلية العلمية للأجيال القادمة■

العقيدة وقضية الانحراف

بقلم: محمد سيد عامر

على مسار ثلاثة عشر عاماً، أرسى الإسلام قواعد العقيدة الصحيحة، وقمة هذه القواعد هي الوحدانية الخالصة، وهذه الوحدانية تؤدي بطبيعتها إلى العبودية الخالصة، وأية خلخلة في الوحدانية تؤدي أيضاً إلى خلخلة في العقيدة. جاء الإسلام من جوف الصحراء العربية بأسمى عقيدة هي الإيمان بالإله الواحد، وصححت فكرة الفلسفة النظرية، كما صححت فكرة العقائد الدينية، فكان تصحيح الإسلام لكل من هاتين الفكرتين أعظم المعجزات التي أثبتت له – في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة – أنه وحي من عند الله.

والعقاد – رحمه الله –يتحدث عن العقيدة الإسلامية السليمة من منابعها الأصلية وعموداها الأساسيان: الكتاب والسنة قبل أن يطرأ عليها أو يتسلل إليها مزيج من الأفكار الدخيلة عليها. وعلى هذا الأساس يجب أن تقوم العقيدة الإسلامية على أساس ما شابها بعد ذلك من أفكار لا تعترف بها، كذلك يؤكد العقاد أن العقيدة الإسلامية نشأت أصيلة تملك الإكتفاء الذاتي وجديدة بالنسبة لما سبقها من عقائد.

ويتعمد بعض المستشرقين التشكيك في أصالة العقيدة الإسلامية وجدتها، ففي موسوعة الحضارة التي أصدرتها هيئة (اليونسكو) أن: (الإسلام تركيب ملفق من اليهودية والنصرانية ورواسب الوثنية).

ويرى المستشرق المجري اليهودي (جولدتسيهر) أن التأثيرات الروحية التي جاء بها الإسلام من غيره واستوعبها وتمثلها، هو الذي يميز أهم عصوره وأن محمداً ﷺ مؤسس الإسلام لم يبشر بجديد من الأفكار.

ولندع هؤلاء المستشرقين ولنعد إلى عقيدة الإسلام في صفائها ونقائها وجوهرها التوحيد. لذا كان التوحيد هو الهدف الأسمى للدعوة الإسلامية، وهو الحد الفاصل بين الناس، وليست العناصر والأجناس حدوداً بينهم..

وإذا تصفحنا آي الذكر الحكيم وجدنا الدعوة إلى التوحيد لا تخلو منها صفحة واحدة من الكتاب تصريحاً أو تلميحاً.

وما يثار حول العقيدة الإسلامية اليوم من دخل ودخن، إن هو إلا امتداد لما أصابها من تدخل الأفكارالأجنبية الدخيلة في فترات الضعف بعد مضى عهود الصحابة والتابعين حملها أفراد انتموا إلى الإسلام ولم تخلص نواياهم، وتأثر بهم – على مسار الزمن – أناس لم يكن لديهم رصيد من الفكر الإسلامي الأصيل، يقيهم شرور هذه الأفكار الدخيلة.

فالتوحيد في الإسلام خالص مشرق لا لُبس فيه ولا غموض ولكن الذين دخلوا في الإسلام أمم مختلفة، وشعوب متباينة، وكل أمة قد حملت معها إلى عقيدة التوحيد صوراً وأشكالاً من معبوداتها ومقدساتها. وهذا ما يقوله أيضا مفكر غربي هو (لوثروب استوراد): (وأما الدين فقد غشيته غشية سوداء. فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس.. سجفاً من الخرافات، وكثر عدد الأدعياء والجهلاء).

إن ما قاله هذا المفكر الغربي هو بيت القصيد من هذا البحث، لأنه يمثل خلاصة الانحراف الذي أصاب عقيدة التوحيد اليوم فقيام الأضرحة في بيوت الله مناف للعقيدة، كذلك في أثناء الدعاء لانشرك مع الله أحداً سواه، والتوسل بغير الله سبحانه مناف لعقيدة الإسلام.

إن الخروج على كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة، يمثل قمة الانحراف عن عقيدة الإسلام السليمة، وقد أدى الانحراف إلى انتشار البدع والخرافات باسم الإسلام ولا جدال في أن الاسلام منها بريء■

التوحيد في الإسلام خالص مشرق لا لُبس فيه ولا غموض

دروس من محنة البوسنة والهرسك

تأليف: محمد قطب

الناشر: دار الشروق بالقاهرة

١٤١٤هـ/١٩٩٤م

عرض وتعليق: محمد علي وهبة

جرح المسلمين الأكبر، تتضاءل بجانبه محنة البوسنة وسائر المحن التي يعاني منها المسلمون في الشرق الأوسط

جرح المسلمين الأكبر، تتضاءل بجانبه محنة البوسنة وسائر المحن التي يعاني منها المسلمون في الشرق الأوسط، فرغم شراسة هذه المحن وعنفها وقسوة إيلامها، فهي ليست سوى نزيف لجرح المسلمين الأكبر، أو محنة المسلمين الكبرى؟

هذا مايتعرض له الاستاذ/ محمد قطب في كتابه الهام: (دروس من محنة البوسنة والهرسك).

الكتاب من اصدارات دار الشروق بالقاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. وينقسم إلى مقدمة وأربعة فصول. يخترق المؤلف من خلاله قلب المأساة، ويغوص في أعماق وتشعبات جذورها التاريخية، ويتطرق إلى انعكاساتها المأساوية، ليس على العالم الإسلامي فحسب، وإنما على العالم المسيحي أيضا، بل على الإنسانية قاطبة، وينتهي إلى رصد العلاج الإسلامي الشافي الوافي لها، على النحو الذي لايسمح بتكرارها، وبما يعيد للمسلمين مكانتهم الدعوية المرهوبة والمرغوبة على مستوى العالم بمشيئة الله.

وإن كانت الدروس المستفادة من محنة البوسنة والهرسك، التي يثيرها الاستاذ محمد قطب في هذا الكتاب، ليست هي كل الدروس التي يمكن الخروج بها من أتون تلك المحنة، التي أحدثت زلزالا مروعا، ليس في الكيان المسلم وحده،وإنما في الكيان الإنساني على مستوى العالم، إلا أن المؤلف قد وضع يده على جانب هام من الدروس والعظات الإيمانية المتعلقة بمحنة المسلمين الحقيقية الكبرى، والتي تعتبر المحنة البوسنية وغيرها مجرد ظواهر وعوارض متولدة عنها، وباقية ببقائها.

والكتاب بما - يزخر به من دروس وعظات ذات قيمة بالغة - يعتبر دعوة مفتوحة لعلماء المسلمين ومفكريهم، ليدلوا بدلوهم في موضوعه الهام، لاستخلاص المزيد من الدروس والعظات المستفادة من المحنة، التماسا للخروج الكبير، المنشود من المحنة الكبرى للعالم الإسلامي.

يطرح الاستاذ محمد قطب في مقدمة الكتاب أربعة أسئلة مصيرية هامة حول:(سبب وقوع المحنة البوسنية، وموقف الغرب منها، وطريق الخلاص للأمة الإسلامية، ومستقبل العالم الإسلامي على المستوى العالمي).

ويتناول في فصول الكتاب الأربعة الاجابة على هذه الأسئلة المصيرية، معالجا إجابة كل سؤال في فصل كامل من فصوله.

محنة المسلمين الكبرى

لماذا وقعت المحنة «البوسنية» على هذه الصورة، التي فاقت في بشاعتها كل تصور؟

الإجابة على هذا السؤال الهام هي ما يتضمنه الفصل الأول من الكتاب تحت عنوان: «بشاعة المحنة».

ومن الصور التي يستعرضها المؤلف لتصوير بشاعة المحنة صورة (طفل رضيع، أمسك به وحوش الصرب، ثم وضعوه على النار ليشوى أمام عيني أبيه، فلما تم شيه، قطعوه قطعا، وأجبروا أباه تحت تهديد الرصاص على أن يأكل من لحم طفله، ثم أطلقوا عليه الرصاص فقتلوه!!). بخلاف صور أخرى أكثر بشاعة يتضمنها الفصل الأول بصورة مؤثرة.

ويؤكد المؤلف على أن محنة البوسنة ماهي إلا عرض لمحنة أخرى أكبر، هي محنة المسلمين الحقيقية، التي تتمثل في تقاعس المسلمين عن الأخذ بمقتضيات الإيمان والعمل الصالح، ومقتضيات العبودية لله عز وجل،مما باعد بينهم وبين وعد الله بالاستخلاف والتمكين في الأرض، حيث يقول جل شأنه في ذلك:﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني

لايشركون بي شيئا﴾ (النور/ ٥٥).

كما يبرز المؤلف وجها آخر للمحنة الحقيقية للمسلمين، وهو فصلهم بين شهادة أن لا إله إلا الله وبين العمل بمقتضياتها كعقيدة وشريعة ومنهاج حياة، وهي الركن الأول من أركان الإسلام.

فأجيال السلف الصالح، التي عرفت دينها على حقيقته، ومارسته في عالم الواقع، قد أيقنت أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ذات مقتضيات ضخمة تشمل الحياة كلها، بشرط ألا ينفصل فيها القول عن الفعل، ولاتنفصل فيها الكلمة وتصديقها بالقلب عن العمل بها في الواقع الحياتي المعاش، كبرهان على ماقيل باللسان ووقر في القلب.

وإن كان العالم الإسلامي يعاني من الجهل والتخلف والضعف الحربي والعلمي والفكري والاقتصادي الخ، فكل هذه الأمور، وكما يشير المؤلف – ليست أسبابا للانحدار، بل هي ظواهر للسبب الأصيل، وهو الإنحراف عن طريق الله، وهو الضعف التدريجي في التمسك بمصدر القوة والاستخلاف والتمكين.

وإن كان الغربيون قد عمدوا إلى فصل الدين عن العلم وعن الدنيا، وأخذوا بالأسباب، وبلغوا مابلغوه من تطور حضاري مادي كبير، فيجب أن يتعرف المفتونون بالغرب في هذا الشأن على حقيقتين هامتين:

أولا: إن الغربيين ماكان لهم أن يصلوا الى معشارماوصلوا إليه لولا مانقلوه من أسباب الحضارة عن المسلمين، والتي كانت في معظمها ابتكارا إسلاميا خالصا، وأن المسلمين ماوصلوا إلى أسباب الترقي الحضاري إبان حضارتهم الزاهرة إلا من خلال تمسكهم بالأصل وهو مقتضيات لا إله إلا الله، كشريعة وعقيدة ومنهاج حياة.

ثانياً: إن الشريعة الإسلامية لاتعرف الفصل بين الدين والعلم، أو الدين والدنيا، أو الدنيا والآخرة، أو الايمان ومقتضياته العملية.

وكما يقول المؤلف في هذا الشأن ان المسلمين عندما عمدوا إلى الفصل بين الإيمان ومقتضياته العملية، وعندما صارت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله لديهم مجرد كلمة تقال باللسان، أو كلمة باللسان وتصديقا بالقلب دون العمل، وصلت الأمة الإسلامية إلى ماوصلت اليه، حتى بلغت أو كادت تبلغ مرحلة القصعة، التي حذر منها الرسول الكريم ﷺ.

ولعل ذلك يكون هو الدرس الأول الذي يجب أن يعيه المسلمون، ويعملوا بقوة على الأخذ بمقتضياته العملية، حتى تعود لهم مكانتهم السيادية ومهابتهم في عيون أعدائهم.

أكبر خسارة للغرب وللعالم

منذ سقوط غرناطة في عام ١٤٩٢م، وطرد المسلمين من الأندلس، ثم ملاحقتهم خارج الأندلس بأمر من البابا، وبدء الحروب الصليبية، ثم الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي وماارتبط بذلك من مساعدة الغرب لليهود في إنشاء دولة لهم في فلسطين، ومايترتب على ذلك من تحالف غربي صهيوني لحصار العالم الإسلامي، وذلك بعد استفادة الغرب القصوى من معطيات الحضارة الإسلامية، بدأ العالم الإسلامي ومازال يتعرض لسلسلة طويلة من المآسي بسبب هذا التحالف اليهودي النصراني ضد المسلمين.

ولعل ذلك هو الدرس الثاني الهام، الذي يجب أن تعيه شعوب العالم الإسلامي، ولا تتردد للحظة في الوعي به، والتعامل معه وفق حقائقه التاريخية والواقعية الملموسة.

وهذا الدرس ليس بجديد، بل هو قديم قدم الدعوة الإسلامية، حيث أشار جل شأنه إليه في قوله: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة/ ١٢٠).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ (البقرة/ ٢١٧).

هذا مايتناوله المؤلف في الفصل الثاني تحت عنوان: (موقف الغرب).

كما يشير المؤلف بهذه المناسبة إلى أن موقف الغرب من محنة البوسنة والهرسك، وكذلك مواقفه العدائية المكشوفة بشكل أكثر قبحاً وبشاعة ضد المسلمين على مر التاريخ، لم تقتصر آثارها المأساوية على المسلمين فحسب، والعالم الغربي، بل العالم أجمع قد تعرض لأكبر خسارة في التاريخ بسبب عدم دخول أوربا ذاتها في الإسلام من ناحية، وبسبب الموقف الغربي النصراني المتحالف مع الصهيونية في عدائه المتواصل ضد الإسلام والمسلمين من ناحية أخرى، حيث مايجب أن يعيه الغرب والعالم أجمع هو أن الشريعة الإسلامية ليست شريعة خاصة تخص المسلمين وحدهم، بل أنزلها جل شأنه هداية ورحمة للإنسانية جمعاء، حيث يقول جل شأنه في ذلك: ﴿وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ (سبأ/ ٢٨).

كما يقول سبحانه في ذلك أيضا: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة﴾. (النحل/ ٨٩).

العودة إلى منهج لا إله إلا الله

قال ﷺ: «تركت فيكم ماإن تمسكتم به

محنة البوسنة وغيرها من المحن.. ماهي في حقيقتها إلا مفاتيح للصحوة الإسلامية ووقود وطاقة هائلة للمستقبل

مـــن بعدي لن تضلوا أبدا كتـاب الله وسنتي». (رواه أبو داود).

ولعلـه جل شأنـه قد أراد بهزيمـة المسلمين في موقعـة أحد مع وجـود الرسـول الكريم ﷺ بين ظهرانيهـم، أراد سبحانـه أن تكون درسـا عمليا يستفيد منه السلف الصالح في حياتهم، ويستفيد منـــه خلفهم من بعـــدهـم، حيث تعجبـــوا من الهزيمة، قال لهم سبحانه:

﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو مـن عند أنفسكم إن الله على كل شيء قـدير. ومـاأصـابكم يوم التقى الجمعـان فبإذن الله﴾ (آل عمران/ ١٦٥و١٦٦).

فهـو، وإن كـان قدراً، فهـو من عنـد أنفسكم، بسبب مخالفتكم لأمر الله ورسوله ﷺ. وقد وعى المسلمون الـدرس يومئـذ، فلم يعـودوا يخالفون أمـر رسـول الله ﷺ .أمـا حين تفلتـوا،ونسـوا، وانحـرفوا عـن كتاب اللـه وسنـة رسـوله. فقـد لحقتهم السنـة، التي لاتجامل، ولاتحابي، واحتل الأعداء بلادهم.

وهذا هـو الدرس الثـالث، الـذي يجب أن يعيه المسلمون دائما، وهو الـدرس الأعظم، الذي يجب أن يتذكره المسلمون في كل محنة.

وهـذا مايتنـاوله المؤلف في الفصل الثـالث من الكتاب تحت عنوان: (طريق الخلاص).

وخـلاصتـه أن الأمة الإسـلاميـة ان أرادت أن تستعيد أمجاد سلفها، وأن يكـون لها مكانتهـا المرهوبة وسيادتها وعزها، فلايجب أن تقبل بغير مقتضيات كتاب الله وسنة رسوله بديلا.

فطريق الخلاص بالنسبة لـلأمة الإسلامية لن يكون إلا بـالعودة الصـادقة لمقتضيـات لا إله إلا الله الإيمانية والعملية، فهي المخرج لهذه الأمة من كل المحن والمآسي، التي تعـاني منهـا، وهي التي يحذرها العدو الصليبي الصهيوني، ويحاول أن يحول دونها بكل السبل.

ويشير المؤلف إلى بعض مقتضيـات (لا إلـه إلا الله) العمليـة، ومنها: إعـداد القوة:﴿وأعـدوا لهم مااستطعتم من قوة﴾ (الأنفال/ ٦٠).

والقوة هنا مذكـورة على إطلاقها،فهي لاتقتصر على القـــوة العسكـــريـــة، وإنما تشمل القـــوة العسكرية والاقتصادية والاجتماعية.. إلخ.

ومن مقتضيـات لا إلـه إلا الله العمليـة كـذلك الأخذ بـالعلوم الشرعيـة والأدبية والكـونية، التي حث كتاب الله العظيم وسنـة رسوله ﷺ المطهرة على الأخذ بها.

والأخـذ كـذلك بمبـــادىء الحريـة والعـدالـة والمساواة، وفق المنهاج الإسلامي الرشيد. وينهي المؤلف الفصل الثـالث بقولـه:(إننا نحتـاج لذا ت المنهج،منهج لا إلـه إلا اللـه)،الذي أزال الغـربـة الأولى للإسلام، لنزيل به الغـربة الثانية، مقتدين في ذلك بأعظم الخلق في التـاريخ كلـه، محمـد بن عبداللـه ﷺ حيث أن هذا الاقتداء هـو إلزام إلهي تعبدي، كما قال جل شأنه في ذلك: ﴿لقد كان لكم في رسول اللـه أسوة حسنة لمن كـان يرجـو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب/ ٢١).

الكتاب دعوة مفتوحة لعلماء المسلمين ومفكريهم ليدلوا بدلوهم في موضوعه الهام



تحت هذا العنوان يستعرض المؤلف في الفصل الرابع والأخير من الكتاب رؤيته المستقبلية للإسلام، كدين ودنيا وآخرة. ورؤيته هذه في حقيقتها ليست ضرباً من الخيال، بل هي لصيقة تماماً بالواقع المعاش للعالم الإسلامي، ومنبثقة من أنفاسه ونبضه ولحم وجوده الحي.

فهو يري أن محنة البوسنة والهرسك وغيرها من المحن المأساوية التي يعاني منها العالم الإسلامي اليوم، ماهي في حقيقتها إلا مفاتيح للصحوة الإسلامية، ووقود وطاقة هائلة للمستقبل الزاهر للإسلام.

ويضرب مثالا لذلك بمحنة البوسنة والهرسك ذاتها، فيقول:

(لقد كان كثير من أهل البوسنة والهرسك قبل المذبحة الأخيرة قد ضاعوا من وجهة النظر الإسلامية، كانوا تحت الضغط المستمر، وثقل الأمر الواقع، سواء قبل الشيوعية، أوفي أثنائها قد نسوا إسلامهم، فكانوا، كما أخبر رسول الله ﷺ عن بعض الأقوام في آخر الزمان يقولون: سمعنا آباءنا يقولون: لا إله إلا الله، ثم جاءت المذبحة وهم على ذلك.. فكيف حالهم اليوم؟!

لقد عادوا!

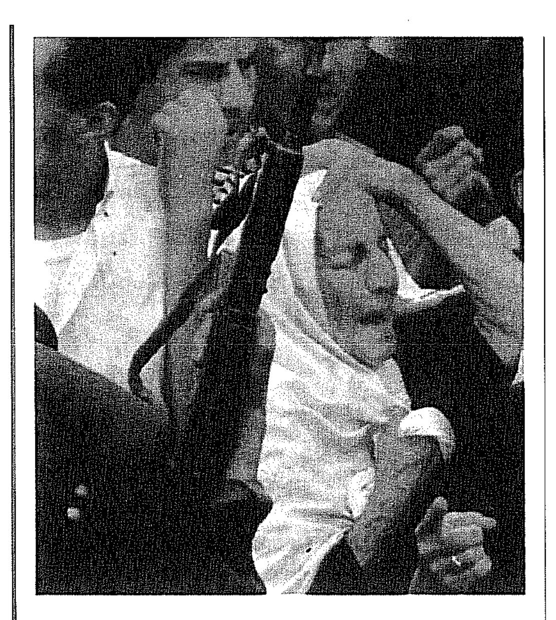
عادوا فأحسوا أنهم مسلمون.ذلك أن أعداءهم، والعالم الصليبي الصهيوني كله يحاربونهم لأنهم مسلمون!!،فذكرتهم الحرب بصفتهم، التي كادوا ينسونها، وعادوا إلى الإسلام!!.ولاعجب في ذلك حيث الإسلام دين الفطرة.

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم/ ٣٠).

كما يشير المؤلف إلى أن أعداء الإسلام إذا شددوا الحرب بغرض القضاء على الصحوة الإسلامية – كما يزين لهم الشيطان فإن ذلك – في تدبير الله – يكون هو الأداة ذاتها التي يقدرها الله لزيادة حجم الصحوة الإسلامية وتعميقها وترسيخها.

كما يشير إلى شواهد إفلاس الحضارة والأنظمة المادية في الغرب والشرق، مما يعني أن المستقبل لن يكون إلا للإسلام ،فيقول:(لقد تخبط الغرب ومازال منذ عهد النهضة، منذ تمرد على الكنيسة،ولم يدخل في الوقت ذاته في الإسلام، وانتقل من دين يحارب العلم«في الفترة الكنسية»، إلى علم يحارب الدين، ومن دين بلا حضارة إلى حضارة بلا دين)

في حين أن الإسلام دين لايحارب العلم ولا



الحضارة ،بل هو الدين الذي انبثق منه التقدم العلمي الهائل، الذي تعلمت منه أوروبا في نهضتها، وهو الدين الذي أنشأ أكمل حضارة في التاريخ، الحضارة التي شملت الإنسان كله، روحه وجسده، عمله وعبادته، فكره ومشاعره، وعمله من أجل الدنيا، وعمله من أجل الآخرة، في توازن واتساق لامثيل لهما.

ولعل في انهيارالشق الشيوعي من الحضارة المادية ماينبىء بقرب انهيارشقها الرأسمالي الاحتكاري.وإن كان هذا الأخير قد يتأخر انهياره بعض الوقت لحكمة أرادها الله سبحانه، فإن ذلك ينبىء في الوقت ذاته، بل يؤكد أن المستقبل بالنسبة للإنسانية جمعاء لن يكون إلا للإسلام.

وينهي المؤلف الفصل الأخير بقوله: (حين يعود الإسلام إلى التمكين مرة أخرى في الأرض، كما بشر رسول الله ﷺ في أكثر من حديث صحيح، فسيقوم العالم الإسلامي من وهدته ليحمل الراية من جديد لهداية البشرية، وسيدخل في دين الله(الإسلام) أقوام لم يكونوا قد دخلوا فيه من قبل، وستملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً من قبل، وسيذوق الغرب ذاته النعمة الربانية، التي منّ الله بها على عباده، وسيعلم الناس هناك أن عدواتهم للإسلام كانت حماقة لامبرر لها في واقع الأمر، وأنهم – من اهتدى منهم – قد خرج من الظلمات الى النور).

ولعل ذلك هو الدرس الرابع، الذي يجب أن تعيه شعوب العالم الإسلامي، بأن تتيقن، وبوعي كامل من أنها تحمل أعظم رسالة قيادية عرفتها البشرية في تاريخها، هي رسالة الإسلام، التي لامستقبل للإنسانية قاطبة إلا بها بمشيئة الله■

خلاص لأمة الإسلامية لن يكون إلا بالعودة الصادقة لمقتضيات.. لا إله إلا الله.. الإيمانية والعملية

تيسير النحو العربي

إن اللغة العربية هي وعاء الثقافة الإسلامية، ومن ثم لا يستطيع إنسان أن يقف على كنوز فكرنا، ونتاج عقولنا من شعر ونثر وتاريخ، وفلسفة إلا إذا أتقن فنونها، ونال قسطا من علومها..

من أجل هذا كان لزاماً على القائمين بها أن يبسطوها ويوضحوها، لأن الغاية من القاعدة سلامة النطق، فلا غرو أن تطفو قضية التيسير على السطح، وتوضع على مائدة البحث والدرس، ولذلك فقد شغلت أذهان كثير من الباحثين، فتناولوها شداً وجذبا، وقبولا ورفضا؟ فبعضهم أفرد لها المؤلفات، وبعضهم تناولها في ثنايا الموضوعات؟... وهذه الدراسة إطلالة على قضية التيسير نوضح من خلالها أبرز مظاهر المشكلة.. الدوافع، والردود.

بقلم/ ياسر جلال شعبان محمد

بادئ ذي بدء فإن التبرم من النحو العربي، والضجر بقواعده وضيق الصدر بتحصيله، بل والإعراض عنه أحياناً ظاهرة ملحوظة تحتاج من الطبيب المعالج وضع دواء للداء، هذا الدواء يتمثل في تيسير النحو كي يستطيع الذهن تقبله ومن ثم هضمه، وينشرح الصدر لاستقباله.. ونحن إذ نطالب بالتيسير لا نرمي إلى التهوين من شأن علم النحو، وإبعاده والحط من قدره (ولكننا نرمي إلى تأليف قلوب الدارسين، وترغيبهم في درس اللغة العربية، وبأننا لا نُدرس لهم إلا ما ينتفعون به ككاتبين، أو قارئين، أو متكلمين...)(١).

هذا... وقد ظهرت محاولات بذلت في سبيل إزالة الصعوبات وتعبيد الطرقات من أجل تعلم العربية واستخدامها؟

وقد كانت أولى هذه المحاولات مع بداية عصر النهضة الحديثة في مصروالتي تولى كِبْرها (محمد علي) (حيث سلك أصحاب النهضة باللغة العربية خطوات عملية، ودفعوا بها إلى الاستجابة لمطالب النهضة العلمية، والحربية، والصناعية التي ظهرت بالوادي، فأحيوا بذلك ألفاظا، وأساليب واصطلاحات)(٢).

ثم جاء بعد ذلك رفاعة الطهطاوي والذي هدته بصيرته النافذة إلى أن الناشئة محتاجة في تعلمها النحو إلى كتاب مبسط، فألف لها كتابا سماه (التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية)، ثم جاء من بعده حفني ناصف وألف مع بعض رفاقه كتابا مبسطا في النحو لتلاميذ المدارس الثانوية باسم (قواعد اللغة العربية) بيد أن الأمر مازال في حاجة إلى تبسيط وتوضيح منهجي، فقدم (علي الجارم ومصطفى أمين) كتابهما (النحو الواضح).

ثم ازدادت الحياة اللغوية تأثرا بما حولها من مظاهر التجديد والتغيير فارتفعت أعناق، وعلت أصوات تنادي بإحياء النحو وتيسيره، وكان من بين هذه الأصوات، صوت الأستاذ/ إبراهيم مصطفى حيث ألف كتابا بعنوان (إحياء النحو) يقول عنه د. شوقي ضيف (والذي يحذو فيه حذو ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) وبخاصة في قضية العامل)(٣).

وفي عام ١٩٣٨م ألفت وزارة المعارف المصرية كتاباً لتبسيط قواعد النحو والصرف للتسيير على الناشئة، وقد رأت اللجنة آنذاك الاستغناء عن الإعرابين التقديري والمحلي، (التقديري في المفردات والمحلي في الجمل).

ثم كانت قرارات مجمع اللغة العربية الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٤٥م والتي درس فيها مقترحات تيسير قواعد النحو والصرف ثم أصدر قراراته فيها على أساسين هما:

أولا: أن تلك المقترحات صالحة للمناقشة والمراجعة.

ثانيا: أن كل رأي يؤدي إلى تغيير في جوهر اللغة، وأوضاعها العامة لا ينظر إليه، ومن ثم اتفق المجمع مع لجنة الوزارة على وجوب الاستغناء عن الإعرابين التقديري والمحلي..(٤)

إلا أن مجمع اللغة القاهري قرر الإبقاء على الإعرابين التقديري والمحلي، وذلك بتاريخ ١٩٧٩م حيث عدل عن رأيه الذي أقره سنة ١٩٤٥م. هذا... وقد تناول الباحثون واللغويون قضية التيسير من زوايا مختلفة، وكانت بين مطالب بالحذف في بعض أبواب النحو، ومطالب بضرورة إعادة صياغته من جديد كي يتلاءم وروح

اللغة العربية.. وعاء الثقافة الإسلامية.. وبدونها لا يمكن الاطلاع على كنوز الفكر الإسلامي.

العصر، وتركزت دراساتهم حول عدة نقاط رئيسية جعلوها مضمار بحثهم، فتناولوا باب التنازع في العمل، وباب الترخيم، وباب الإعرابين: التقديري والمحلي وأخيرا الأمثلة الفرضية...

أولا: باب التنازع في العمل

في الحقيقة ما شعرت أن باباً في النحو يضرب بالفصاحة عرض الحائط مثلما فعل باب التنازع في العمل، وليس العيب عيبه، إنما مرده إلى واضعيه، الذين أثقلوا كاهل الدارسين والباحثين بأشياء افتراضية كي تسلم لديهم القاعدة.

(لقد نهج النحاة في دراسة الظواهر النحوية المنهج المتبع في دراسة العلوم الطبيعية، وهذا خطأ فادح، ومن أجل هذا توهموا فكرة العامل في الإعراب، ليعللوا بها ظواهره التي تطرأ على أواخر الكلمات بين ضم، أو فتح، أو خفض، أو سكون.. وأقوى العوامل عندهم الفعل، وما يماثله في الاشتقاق فهو عندهم يرفع الفاعل، وينصب المفعول، فعللوا علامات الإعراب بمثل علله، ولم يكتفوا بذلك بل توهموا لهذه العلل عللا ثانية ثم أوغلوا فتوهموا للثانية عللا ثالثة!! وهذا ما يعرف في النحو بـ(العلل الثواني والثوالث)(٥).

ولقد تصدى لهذه الظاهرة (ابن مضاء القرطبي) الذي يقول: إنهم - أي النحاة - يرفضون في باب التنازع صورة من التعبير دارت على ألسنة العرب، وذلك أنهم قد يعبرون بعاملين ثم يأتون بعدهما بمعمول واحد على نحو ما نرى في مثل (قام وقعد إخوتك) ونظيره قول علقمة:

تعفق بالأمر طى لها وأرادها
رجال فبذت نبلهم وكليب(٦)

وقد رفض النحاة هذه الصورة لأنه لا يصح أن يجتمع عاملان على معمول واحد، فإما أن نعمل الأول ونضمر الثاني، وهذا ما اختاره الكوفيون لسبقه، وإما أن نعمل الثاني، ونضمر الأول، وهذا ما اختاره البصريون للجوار، وتبعهم في هذا ابن مضاء القرطبي إذ يقول (ومذهب البصريين أظهر)(٧).

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن البيت السابق يشهد بفساد رأيهما أي البصريين والكوفيين جميعا! لماذا؟ (يقول: لأنه لا توجد في اللغة شواهد تساند رأي البصريين والكوفيين في إضمار الفاعل؟ لا في الفعل الأول، ولا في الفعل الثاني، بل حذف معهما جميعا، وهذا يدل على صحة مذهب الكسائي، والذي يذهب إلى جواز حذف الفاعل؟ دل كذلك على صحة ما ذهب إليه سيبويه من حذف الفاعل في الفعل الأول لدلالة السياق عليه، إذ يقول: إنهم تركوا إعمال الفعل حين استغنى بالآخر لعلم المخاطب)(٨).

هذا بالنسبة إلى صورة تعدد الأحداث المنسوبة لشخص واحد، أما بالنسبة للفعلين المتعديين لمفعولين أو ثلاثة نذكركم بمثالين لهما.

أ- (أظن ويظنني أخاً - زيداً وعمراً أخوين) في الفعلين المتعديين لمفعولين.

ب- (أعلمني وأعلمته إيَّاه إيَّاه زيد عمراً قائما) في الفعلين المتعديين لثلاثة مفاعيل.

(هذا الإفراط في إدخال الجمل بعضها في بعض، وحشد كلماتها لا يستسيغه ذوق العربي، وان كل ما استشهد به النحاة لا يعدو بضعة شواهد كلها من الشعر، والأفعال فيها تتعدى إلى مفعول واحد فقط)(٩) مثل الفعل (هوى) في قول الشاعر:

هَوِينني وهويت الغانيات إلى
أنْ شِبتُ فانصرفتْ عنهن آمالي(١٠)

ويكفي أن أذكر في هذا المقام ما نقله السيرافي: (أن الجرمي ومن ذهب مذهبه لا يرون إجراء التنازع في الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة، لأن هذا الباب خارج عن القياس، وإنما يستعمل فيما استعملته العرب وتكلمت به، وما لم تتكلم به فمردود)(١١).

ثانيا: باب الترخيم

نظرا لأن اللغة وسيلة التخاطب، وأداة التفاهم بين الناس، فقد طالب عدد من الباحثين بحذف هذا الباب من النحو العربي أمثال د/حسن عباس، ود/شوقي ضيف، ود/ابراهيم السامرائي وغيرهم، فقد وضع النحاة شروطا لترخيم المنادى: من كونه معرفة، غير مستغاث ولا مندوب، ولاذي إضافة، ولاذي إسناد؟

كما أن ترخيم المنادى يكون في :

أ- العلَم الزائد على ثلاثة حروف مذكرا ومؤنثا (ياسعا-ياجعف) في ياسعاد - ياجعفر.

ب- الاسم المختوم بتاء التأنيث: مثل (أفاطم مهلا بعض هذا التدلل)(١٢) إلى هنا فلا بأس، لكن الأمر يزداد تعقيدا إذا كان المحذوف للترخيم حرفين! فانظر ما الذي يشترط:

أن يكون المنادى مجردا من تاء التأنيث، أن يكون الحرف الذي قبل الأخير حرف مد، أن يكون زائدا لا أصليا، أن يكون رابعا فصاعدا، أن تكون قبله حركة من جنسه لفظا أو تقديرا، مثال (يامروَ - يامنصُ) في يامروان - يامنصور ومنه قول الشاعر:

يامرو إن مطيتي محبوسة
ترجو الحباء وربها لم ييأس(١٣)

ويعجب د. حسن عباس: بعد أن ذكر أن المحذوف قد يكون كلمة برأسها وذلك في المركب المزجي مثل (يامعدي - يابعلَ - ياسِيبَ) في (معدى كرب - بعلبك - سيبويه) لكن ما الذي يدعونا إلى ترخيم (اثنا عشر)!؟ حتى يقول النحاة (يا اثن) فمثل هذا لم يُرخَّم كما أن العرب - من أخذت عنهم اللغة - لم تقل به، ولنقرأ ماجاء في التصريح (..والمنقول أن العرب لم ترخم المركب المزجي..)(١٤)

ويقول د/ابراهيم السامرائي: إن هذه الأحوال في ترخيم المنادى تجعل من

التبرم من النحو العربي.. والضجر بقواعده.. ظاهرة ملحوظة تحتاج من الطبيب المعالج وضع دواء للداء

الموضوع شيئا كبيرا.. وقد رأينا ما جاء مرخما ورد في الشعر - وهذا ما نميل إليه - والسبب هو الاختصار الذي يمثل طبيعة هذا الباب من جانب، ويوافق لغة الشعر الخاصة من جانب آخر داخل إطار الوزن والقافية..

ونستبعد الرأي القائل بالحذف، ونطالب بإعادة الصياغة فنلتزم بما سمع عن العرب، ونترك ما عداه، لأن هذا من شأنه التكلف المؤدي للإبهام.

ثالثا: الإعراب التقديري والمحلي

بداية ما الذي ألجأ النحاة إلى الاعراب التقديري والمحلي وكيف بدأ؟ لقد (كان العرب شديدي العناية بالإعراب ولذا اتجه النحاة إلى معرفة السبب في ذلك، فاهتدوا إلى أن الإعراب أثر يجلبه العامل.. ومن هذا المنطلق كان السبب في لجوء النحاة إلى الاعراب التقديري والمحلي هو نظرهم إلى الكلمة، وإلى عاملها، فإن لم يجدوه حاولوا جاهدين تقديره، وقالوا: إنه مقدر لم يظهر للثقل أو التعذر، وإن كان جملة حاولوا بيان محلها من الرفع أو النصب أو الجر، أو لأنها لا محل لها من الإعراب، لأنها لا تخضع لعامل من العوامل التي وصلوا إليها)(١٥).

والآن إطلالة سريعة على الاعراب التقديري والمحلي كي نكون على بينة عند سرد الآراء ومناقشتها.

(أ) الإعراب التقديري:

هو مالم تذكر فيه العلامة على آخر المعرب لسبب من أسباب ثلاثة هي:

١- التعذر: في الاسم المقصور (مصطفى) فتقدر عليه الحركات الثلاث وكذا في المضارع المعتل بالألف (يخشى - لن يخشى) فتقدر عليه الضمة والفتحة فقط.

٢- الثقل: في الاسم المنقوص (القاضي) فتقدر عليه الضمة والكسرة فقط وكذا في المضارع المعتل بالواو والياء تقدر عليه الضمة فقط للثقل (يرمي- يدعو)

٣- الاشتغال: في الاسم المضاف إلى ياء المتكلم (هذا أبي) فعلامة رفع أب ضمة مقدرة لاشتغال المحل بالكسرة التي تناسب الياء. وكذا في الاسم المحكي (مَن زيدا؟ لمن قال: رأيت زيدا. فعلامة رفع (زيدا) في السؤال ضمة مقدرة لاشتغال المحل بحركة الحكاية؟

وكذا في الاسم المجرور بحرف جر زائد كخبر ليس مثال (ليس خالد بشاعر) فشاعر خبر منصوب بفتحة مقدرة.

(ب) الإعراب المحلي:

ويأتي في ثلاث صور:

١- المبنيات: أي مجيء الكلمة المبنية في الجملة في موقع لو كانت غير مبنية لتأثر لفظها بالعامل، وظهرت عليه أوجه الإعراب ولأجل أنها مبنية كان تأثرها في المحل لافي اللفظ.

مثال (هذا صديقي) فاسم الاشارة - هنا - في محل رفع ومثله إذا كان في محل نصب أو جر.

٢- الأسماء المعربة المجرورة بحرف التعدية

مثال: (مررت بزيد) فإن الاسم المجرور بالباء في محل نصب على المفعولية.

٣- الجمل التي لها محل من الإعراب:

مثال: (محمد أبوه طيب) فجملة (أبوه طيب) في محل رفع خبر(١٦).

من خلال ما سبق عرضه، يرى فريق من الباحثين: (عدم جدوى الإبقاء على الاعرابين، وعدوا إلغاء الاعرابين وسيلة من وسائل التيسير، وأنه لا أثر لهما في سلامة النطق وافهام المعنى، ويكفي في إعراب الأشياء التي يقع فيها الاعراب التقديري والمحلي بيان وظيفة الكلمة في الجملة من أنها مسند أو مسند إليه...)(١٧)

مثال: (هذا مهذب) هذا اسم إشارة للمفرد مسند إليه، ومهذب مسند مرفوع.

أما الفريق الثاني، فيتساءل: ما التيسير في هذا؟

(إن الكلمات التي فيها هذا الإعراب ليست مصدر صعوبة على القارىء، أو المتكلم، لعدم تغير الحركات عليها باختلاف مواضعها، بل ليت اللغة كلها من هذا الصنف، إذن لزالت الصعوبة الأساسية، ثم إن هذا الإعراب التقديري والمحلي لابد منه لفهم المعنى، كما أنه لابد من معرفة موقع الاعراب للكلمة التي لم تظهر عليها الحركة حتى يمكن ضبط تابعها بعدها،ودع عنك - فوق هذا - ما لابد منه في فهم معنى بناء الكلمة، من معرفة أنها وقعت في موضع تغيير الآخر بكذا ولم تغير...)(١٨)

ثم هب - جدلا - أننا رضينا بإلغاء الإعرابين التقديري والمحلي فـ(أين البديل عن الإعراب المحلي، وكيف يتساوى وضع اسم الاشارة في الأمثلة التالية: (حضر هؤلاء الرجال، رأيت هؤلاء الرجال، كنت مع هؤلاء الرجال) صحيح أن اسم الإشارة لم يتأثربالعلة التي هي العامل؟ لكن اسم الإشارة لم يستطع أن يقاوم العامل لأنه تابع مكمل...)(١٩).

وإليكم ما يقوي هذا الرأي ويدعمه:

١- قرار مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢- قرار المجمع العلمي العراقي.

٣- قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٩م.

حيث رأوا ضرورة الإبقاء على الاعرابين التقديري والمحلي.

رابعا: الأمثلة الفرضية

إن هذا المبحث لا يحتاج منا إلى مناقشة واستدلال بقدر ما يحتاج منا إلى عرض لبعض صوره كي نتبين كيفية خروجه عن المألوف، ومنافاته للذوق،

(ومن هذا ترك استعمال قرآني لتصور، حيث لا يجيز البصريون نصب اسم الفاعل للمفعول به إذا كان زمنه ماضيا فلا يقال:

(زيد ضارب عمرا أمس) بل يضاف اسم الفاعل إلى مفعوله في المعنى فيقال: (زيد ضارب عمرِ أمس)، وينقض قاعدتهم قوله جل شأنه

قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن كل رأي يؤدي إلى تغيير في جوهر اللغة.. وأوضاعها العامة لا ينظر إليه

﴿وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد﴾ [الكهف/١٨]، (فباسط اسم فاعل بمعنى الماضي، وذراعيه مفعوله، ولكن نحاة البصرة تأولوا استخدام اسم الفاعل في الآية على أنه لحكاية الحال)(٢٠).

ومن الأمثلة – أيضا – في باب الإعلال بعنوان (الهمزتين الملتقيتين في كلمة إذا تحركتا معا) حيث تبدل الثانية ياء بشرط أن تكون مفتوحة بعد كسر، وهذه الصورة لم يعثر لها على مثال مستعمل، فإذا أردت مثالا فابن له من (أم) على وزن (إصبع) بكسر الهمزة وفتح الباء – فتقول: (إيَمّ) وأصله (إأمم) حيث نقلت حركة الميم الأولى إلى الساكن قبلها توصلا للإدغام الواجب ثم أبدلت الهمزة الثانية ياء.

(ومعظم أمثلة المتحركتين فرضية خيالية، وأن الذي ألجأ النحاة إلى مثل هذه الفروض أقيسة وتعليلات وتخريجات رموا من ورائها إلى استقامة قواعدهم ونحوهم، مهما كلفهم ذلك من عناء البحث)(٢١).

بالاضافة إلى (أنهم حين تمسكوا بفكرة العامل، اضطروا إلى تلفيق أمثلة من اصطناعهم، لم يرد نظيرها في كلام مأثور، ولذا كانت هذه الأمثلة أشبه في عجمتها بالأحاجي والألغاز التي تقصد إلى المعاياة والتعجيز...)(٢٢).

وأخيرا فإن اللغة قلب جيء بالقالب كي يحفظها وليس من أجل تحجيمها على قدر هذه القوالب، ومن هنا نعلم أن اللغة لا تفرض عليها القواعد، بل يستأنس بأساليبها لاستخلاص قواعدها والقياس عليها..

حقائق ومقترحات

(١) إن قواعد النحو وسيلة لا غاية، فلا ينبغي أن يصرفنا هذا الهدف الفرعي عن الهدف الأساسي لضبط الكلام وهو المعاني(٢٣).

يقول ابن خلدون: (اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين: علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث، والفقه..، وعلوم آلية ووسيلة لهذه العلوم كالعربية).

(٢) عرض النحو جملة بصورة موجزة، ثم تتسع تدريجيا مع مرور الوقت، وبذلك تتمثله الناشئة تمثلا واضحا، شريطة أن يكون هذا العرض الموجز خاليا من الإبهام والغموض الذي من شأنه قطع الاستيعاب والتمثل الواضح لأبواب النحو العربي، ولذا عاب الدكتور/شوقي ضيف، على كتاب (النحو الواضح) وبين السبب قائلا: (لأنه وزع أبواب النحو على سنوات التعليم فتقطعت بذلك أوصاله...)(٢٤).

(٣) الاهتمام بالعامل الاجتماعي للغة: حيث إننا نريد للدراسة النحوية أن تكون تربية لغوية، فالطفل أو الطالب لا يسمع اللغة العربية في البيت، ولايسمعها في البيئة المحيطة به، كما لا يسمعها في المدرسة وبخاصة أثناء الدرس اللغوي، ومن هنا فإن الصعوبة ناشئة عن الاغتراب، ولن نستطيع التغلب على هذه الصعوبة إلا بالشيوع والذيوع، بمعنى أنه: (لن تكون اللغة العربية الفصحى لغة حية خصبة حقا إلا إذا شاعت بين الناس على اختلاف طبقاتهم، وأصبحت أداة يصطنعونها لتأدية أغراضهم المختلفة في يسر وإسماح، وفي غير مشقة وجهد...)(٢٥) خاصة وان العلوم في زماننا قد تصفت وتهذبت، وأمكنت من نفسها، فلا معطل عن سرعة تحصيلها إلا سوء طريقة التعليم(٢٦).

وأخيرا

فإننا نرمي من وراء هذه الدراسة إلى ما يلي:

١– المحافظة على جوهر اللغة، وسلامة أصولها

٢– العمل على التيسير والتقريب بما يناسب ولا يتناق.

٣– ان وجود بعض الصعوبات المتصلة بالتأليف كالافتراض والتعليل، أو المتصلة بالحياة كالاغتراب لا يسعف الفصحى لغة القرآن في صراعها مع العامية.

٤– سيكون من تهذيب الفصحى وسهولتها عامل جديد ذو أهمية بالغة في توثيق الصلة بين أبناء الدين الواحد مهما تباعد المكان، وطال الزمان، وإذ تضعف بتهذيب الفصحى عاميتهم المفرقة لوحدتهم■

إن قواعد النحو وسيلة لا غاية.. فلا يصرفنا هذا الهدف الفرعي عن الهدف الأساسي لضبط الكلام وهو المعاني

الهوامش:

١)الأستاذ أحمد برانق (الاتجاهات الحديثة في النحو) ص٢٧.
٢) الأستاذ أمين الخولي (مناهج تجديد) ص٣٠ بتصرف.
٣) د. شوقي ضيف (تيسير النحو التعليمي) ص٣٢.
٤) المرجع السابق ص٣٩ وما بعدها.
٥) خليفة التونسي – مجلة العربي، عدد ٣٥٠ يناير١٩٨٨م.
٦) ابن مضاء القرطبي (الرد على النحاة) ص٩٥.
٧) المرجع السابق ص١٠١.
٨) د. شوقي ضيف (النحو التعليمي) ص١١٢.
٩) خليفة التونسي – مجلة العربي – عدد٣٥٠ يناير١٩٨٨م.
١٠) راجع البيت في شواهد العيني على شرح الأشموني حـ١ ص٣٥٧. والشاهد في (هويتي–هويت) حيث تنازعا في (الغانيات).
١١) انظر الرد على النحاة ص٩٨ – الحاشية.
١٢) صدر بيت لامرىء القيس – عجزه (وإن كنت قد أزعمت صرمي فأجملي).
١٣) انظر التصريح على التوضيح ص ١٨٦،حـ٢ والبيت للفرزذق.
١٤) المرجع السابق، ج٢ ص ١٨٧. ١٥) محمد شفيق عطا (الاتجاهات الحديثة في النحو) مجموعة محاضرات ص١٣٤.
١٦) راجع الجمل التي لها محل من الاعراب، في (الكامل في النحو والصرف) أحمد قَبِّش ص ٢٢٢.
١٧) الاتجاهات الحديثة في النحو، احمد برانق، ومحمد رضوان.
١٨) أمين الخولي، مناهج تجديد ص ٣٥.
١٩) انظر مجلة الازهر عدد ربيع الآخر ١٤٠٨هـ مقال د.عبدالرءوف، عثمان.
٢٠) د. شوقي ضيف – النحو التعليمي ص٤٧ بتصرف.
٢١) انظر توضيح الصرف د. عبدالعزيز فاخرص ص٣٢ حـ ٤، وكذا مقدمة كتاب (الاتجاهات الحديثة).
٢٢) خليفة التونسي – مجلة العربي عدد٣٥٠.
٢٣) راجع الاتجاهات الحديثة في النحو ص١١٧ وما بعدها.
٢٤) د. شوقي ضيف – النحو التعليمي ص٢٧.
٢٥) أمين الخولي – مناهج تجديد ص٣٢.
٢٦) حسين المرصفي – الوسيلة الأدبية حـ١ ص٢١٣.

عودة من ديار الغربة

بقلم: د. محمد السيد علي بلاسي

مشى في شارع المرج الملاصق لبيته.. إلى أين؟ لايدري..

إن خطـر التغـريب أصبح من أخطـر الأمور التي يخشى منها.. خاصة على المسلمين العرب الـذين يتـوجهون إلى ديار الغرب أيا كان للدراسة أو العمل.. لذا فـانني أهيب بكل متوجـه إلى هناك أن يصقل نفســه، ويحصـن فكـره بثقافـة إسلامية صحيحـة، تبعده عن مهـاوي العطب؛ حتى لايقع فـريسـة لأعداء اللـه يبلبلون أفكاره، ويـردونه عـدوا لـدينـه.. وعليـه أن يتخـذ من السـابقين عبرة، ومن هـذه القصة التي بين أيـدينـا مثـالاحيـا.. نسأل اللـه العافية.. في مدينـة هادئة جميلة عاش «أمجد» وصـديقـه الحميم «حـازم».. ولقد بدأت أواصر الصداقة بينهما منذ كانـا طفلين صغيرين تـرفرف عليهما براءة الطفـولة في مـدرسة الحضـانة المجـاورة لبيتيهما .. وظلت الصداقـة قائمة بينهما؛ فكان لايـرتاح كل واحد منهما إلا إذا رافق صـديقـه الآخـر وجالسـه؛ أيا كـان ذلك في الـذهاب إلى المسجد المجاور لهما، أو في الذهاب إلى المدرسـة أو النـادي، أو في أي رحلـة أخرى.. وذات يوم بعـد صلاة العصر خرج «أمجد» منفردا – ليس كعادته – ومشى في شارع المرج الملاصق لبيته.. إلى أين؟ لايـدري.. كـان يمشي بخطي مبعثـرة.. متمايلة.. غير ثـابتـة ..كأن الريح تعبث به يمينا ويسارا.. فتعجب لذلك صديقه« حازم» الذي كان يطل – آنذاك – مـن شرفة بيته، وظن أنـه من فرط إعجابه بنجاحه جعله يفعل ذلك؛ لاسيما وظهور نتيجته في الثـانوية لم يمض عليـه أكثر من يـوم أويومين .. ولكن « حازم» لم يهدأ باله للذي أملاه عليـه فـؤاده؛ لاعتقـاده أن «أمجد» إنسـان طيب لايمكـن أن يحدث منـه مثل هذا؟!

فكـان أن نزل من بيتـه وهب مسرعـا نحـو صديقـه«أمجد»، ونادى عليـه: يـاأمجد.. يـاأمجد، وكأن «أمجد» لم يسمع شيئا!!! «أمجد» في تفكير عميق جعلـه لايـدري بمـن حـولـه.. أسرع «حازم» نحوه وقال له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. فالتفت «أمجد» عن يمينـه في ذعر ودهشة وقـال: من ؟!! صديقي «حازم».. ماالذي جاء بك ورائي؟ فأجابه «حازم» ليس كالعادة أنت ياأمجد !! ماالذي حدث لك !! فقال «أمجد»: لاشيء يـاصـديقي.. تعجب «حـازم» من أمـر صـديقه وقـال لـه بشيءمن الذهول: أنـا صديقك ياأمجد وأنـت تعلـم أننـي لاأفشي لـك سرا!! صارحني ياأمجد؟ رد «أمجد» بعد أن تنهـد تنهيـدة طـويلـة:قلت لك لاشيء ياحازم.. دعني وشأني..استعـذ بالله ياأمجد؛ وقل لي مـاالذي عكـر صفوك وجعلك مشتت البال والفكـر، وأنا على أتم استعداد لمسـاعدتك بكل مـاأملك؟ ألا تعلم يـاصـديقي أنـه لافـائدة من الصـداقة إذن إن لم تكن بينهـا روح الأخـوة التي تكـاد في بعض الأحيـان تفوق أخـوة النسب ؟! ألم تسمع قول الشاعر:

إن إخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسـه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شملـه ليجمعك

صـارحني ياأمجد بكـل ماعندك عسى أن يكـون لـدى حل لمشكلتك،وأعـدك بأن كلامك سـوف يكون سرا لا أجهر به لأحد.. فقال «أمجد » هيا بنا لنجلس سويا في حديقة النادي القريبة من هنا عسى أن أعوض مافتقدته من نشاط، وهنـاك ساقص عليك الحكـايـة.. وفي الحديقة جلس الصديقان بين الأشجار الـوارفة، والـزهور المطـرزة النافـرة، وكان الـوقت ساعـة الغروب.. فـأخذا يستمتعان بالمناظـر الأخاذة، والمظاهر الطبعية الخلابة..

وهنـا صـاح «أمجد» قـائلا: يبدو أننـا نسينا المقصـود.. الحكاية يـاصديقي تتمثل في أنني أريد السفر إلى «فرنسـا» لاستكمال دراستي الجامعيـة هناك.. فأجابـه «حازم» على الفـور – وهو في حالـة من الارتياب والـدهشة – ولماذا ياصـديقي مع أنك – والحمـد الله – حصلت على مـركز رفيع في الثـانويـة يـؤهلك للالتحـاق بأي كلية في أشهـر جامعـات بلدنـا... هنا ضحك «أمجد» ضـحكة ميتـة قائلا: الأمـر ليس كذلك يـاحـازم. أوما تعلم يـاصـديقي بأن الغرب غني بكثير من ألـوان الحضارة التى تعتبر بلادنا الآن في أمس الحاجة اليها؟؟ شيء عظيم ياأمجد!! فماذا كان رد والدك؟ للأسف لم يوافق بحجة أنه يخاف على من السفر وحدي.. هذا هو الذي جعلك كئيبا متضـايقا ياأمجد؟!!

فأجـابه: نعم يـاحازم.. فهـز «حازم» رأسـه قـائلا: لا ..لا.. الموضـوع لايستحق كل هـذا الحزن.. أرجـوك يـاأمجد لاتحمل هم هـذا الموضـوع.. سـوف أقنع والدك بـأن فكرتك هـذه سليمة، وأجعلـه لايخاف عليك من هذا السفـر فأنـت لم تصبح طفـلا يخاف عليك..

في اليوم التالي وبالصدفة قابل «حازم» والد «أمجد» في الطريق وهـو عائد من عمله – فألقى التحيـة عليه؛ وقـال له: أنا صديق ابنك« أمجد»ويسعدني أن أهنئك بنجاحـه في الثانوية وحصـوله علي هذا المركـز من التفوق.بـارك الله فيك يابني.. هكذا أجاب الوالد..

قال«حازم» هناك موضوع ياعمي أريد

أن أحدثك فيه، وأرجو أن تفسح صدرك لي. قال الوالد: تحدث يابني.. ما اسمك أولا: ابنك «حازم» ..أأنت «حازم» ؟!! حسنا..حسنا..لقد حدثني عنك «أمجد» كثيرا، فوددت أن أراك..فمرحبا بك ياحازم تحدث بماشئت ..فأجابه «حازم»الوقت لايسمح ياعمي..أعطني من فضلك ميعادا للمقابلة لأن الحديث ذو شجون.. فقال الوالد : يمكن ذلك بعد العشاء في منزلنا؟.فأجابه «حازم» وهو كذلك..

توجه «حازم» بعد أن أدى فريضة العشاء في المسجد المجاور لبيته إلى منزل «أمجد».. وكان «حازم» في حيرة من أمره.. أخذ يحدث نفسه: هل سيوافق والد «أمجد»؟!! هل سيقتنع بما أقوله له ؟!! وفجأةوجد نفسه أمام بيت «أمجد»..فتردد قليلا، ثم نادى على صديقه «أمجد» فاستقبله وأجلسه في حجرة الاستقبال، وقدم له قدحا من قهوة، وأخذا يتبادلان الحديث إلى أن دخل عليهما والد «أمجد» فرحب بحازم وجلس.. ثم قال «حازم» لوالد أمجد: سبق أن حدثني «أمجد» عن رغبته في استكمال دراسته الجامعية في «فرنسا» ولكنه وجد معارضة منك!! فلماذا ياعمي؟! فأجابه الوالد: «أمجد» يابني لما يزل صغيرا يخشى عليه السفر وحده إلي تلك الأماكن..فقال«حازم» لاياعمي.إن «أمجد» لم يصبح صغيرا يخشى عليه من السفر وحده، ثم إن «أمجد» طالب متفوق ولو ذهب إلى هناك سوف يكون له مستقبل باهر يستطيع أن يخدم به بلده، ويرقى بها إلى اعلى مستوى علمي في تخصصه.وبعد فترة من التجاوب وافق الوالد واستجاب لرغبة ولده«أمجد» وشكر «حازم» على إخلاصه نحو صديقه وبلده..

وسافر «أمجد» إلى فرنسا.. وهناك التحق بكلية الصيدلة فكان من ألمع الطلاب فيها.. ومضت السنة الأولى والتي بعدها ولم يعد «أمجد»؛ فكان صديقه المخلص «حازم» بين الحين والآخر يراسله كي يطمئن عليه.. فأخبره «أمجد» بأنه لن يعود إلا بعد ان ينهي دراسته هناك..

ومرت الأيام.. وتوالت الأعوام.. وعاد «أمجد» إلى بلده.. وهناك استقبله «حازم» بحفاوة بالغة..وفي منزل «أمجد» جلسا وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث حول «باريس»، والجامعات هناك، وماتتمتع به تلك البلاد من حضارة وتقدم.. و«حازم» في دهشة مما يسمع..فجأة؛ نهض «حازم» من مجلسه قائلا: يبدو أن الحديث شيق وقد انسانا تلك الفرصة العظيمة!! فأجابه «أمجد» على الفور متعجبا: أي فرصة تقصد ياحازم؟!!

فرد عليه «حازم»بدهشة: ألا تعلم ياصديقي أن الليلة هي ذكرى الإسراء والمعراج، وهناك احتفال في التلفاز بمناسبة تلك الذكرى العطرة؟!! فهز «أمجد» رأسه قائلا:نعم.. نعم.. لم تكن في بالي هذه الذكرى.. قال «حازم»: من فضلك أرجوك ائذن لي بالانصراف كي أتمكن من مشاهدة الجزء المتبقى من هذا الاحتفال.. فقال «أمجد»: لا.. انتظر معي ههنا نشاهده سويا.. وجلسا لمشاهدة الاحتفال..

وأحضر«أمجد» مشروبا باردا، فشرباه وأخذا يتابعان الاحتفال بانتباه.. فإذا بأمجد يحملق صوب المحاضر قائلا في سخرية واستهزاء:انظر ياحازم!! انظر إلي ذلك الذي يقول: إن الرسول «محمد» أسرى به ليلة الاسراء بالجسد والروح؟! أليست هذه سفسطة وأساطير؟؟ كيف يعقل ذلك مع أن الانسان إذا مافارق جزءا محدودا من الغلاف الجوي يحدث عنده اختناق ويموت؟! فتعجب «حازم» من كلام صديقه ورفع حاجبيه بعصبية قائلاله: أليس الله على كل شيء قدير ؟!!

فصاح «أمجد» قائلا: كيف ذلك مع ان هذا مخالف لقوانين الطبيعة؟!!

فرد عليه «حازم» بدهشة قائلاأيستبعد هذا على الذي جعل النار في يوم من الأيام تفقد خاصية الإحراق؟!! فثار «أمجد» قائلا: اعقل ياحازم.. دعك من هذه الخرافات الإسلامية..إن النار لم تفقد خاصيتها كما يدعى هؤلاء الجهلاء ولكن المطر – آنذاك نزل عليها فأطفأها ولذا لم يحرق «ابراهيم».فأجابه «حازم» وهو في أوج الاغتياظ – ظانا منه أن صديقه يريد أن يصل إلى نقطة معينة – قائلاله: ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾.

فقال «أمجد» هذا أمر يصدق بالقلب ولا يصدقه العقل؛ لأنه ليس من المعقول أن تضع يدك في النار دون أن تحرق.. ألم تسمع ياحازم عن قانون عدم التناقض؟ وأخذ «أمجد» يستطرد نظريات «داروين» وفلسفات «هيجل» وآراء «ديكارت» وغيرهم.. وهنا أصيب حازم بالذهول والشرود.. وأخذ يلتفت هنا وهناك ، وأيقن ان صديقه قد عبثت بفكره تيارات الغرب الهدامة..فكان أن استخدم العقل معه في المحاجة محاولا إقناعه قائلا: أتريد أن تجعل قدرتك كقدرة الله؟! إن الله قد رفع السماء بلاعمد، أليس هذا مخالفا للقوانين الطبيعية؟!! فأجابه «أمجد» ببداهة:بلى.. فقال «حازم»: وهل من الممكن لديك – إذن – أن ترفع هذا – وأمسك بكتاب كان أمامه على المنضدة – ويظل مرفوعا دون أن يقع؟!

وهنا لم يستطع «أمجد» الجواب ولكنه أخذ يجادل ويماطل دون جدوى.. وبعد أخذ ورد – طوال ساعتين – علم «حازم» أن الكلام مع صديقه لايجدي.. فأخذ نفسه وانصرف من منزل «أمجد» حزينا يبكي ويكاد صدره يضيق، وفؤاده يمزق علي ماألم بصديقه من أفكار مسمومة جراء تلك الرحلة العابسة ■

وفؤاده يمزق علي ما ألم بصديقه من افكار مسمومة جراء تلك الرحلة العابسة

وتلك الأيام نداولها بين الناس

روى علقمة بن وائل عن أبيه: أنه وفد على رسول الله ﷺ فأقطعه أرضا، وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان ليعرفه بها. قال: فقال معاوية: أردفني خلفك. فقلت: إنك لا تكون من أرداف الملوك. قال: أعطني نعلك أتقي الرمضاء. قلت: انتعل ظل الناقة. فلما استخلف أتيته، فأقعدني على السرير، فذكرني الحديث. فقلت في نفسي: ليتني كنت حملته بين يدي [رواه الإمام أحمد في مسنده بسند حسن].

لا يبقى تقلب الجديدين شيئا من الدنيا على حاله، فالأقدار ماضية في حياة الناس رفعا وخفضا، عطاء ومنعا، عزا وذلا.

فلا يستغربن عاقل تبدل الحال، ولا تقلب الدول، فبذلك جرى القلم، وسبق الكتاب ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ [الأحزاب/٣٨].

وإلا، فمن ذا الذي كان يدور في وهمه أ يصبح (الطلقاء) وأبناؤهم سادة الدنيا، وقادة الأمم؟ ويعتلي عرش الخلافة من وصفه النبي ﷺ بأنه (صعلوك لا مال له). يأنف الكبراء من إردافه على رواحلهم، ويضنون أن يعيروه نعلا تقي قدميه حرارة الرمضاء. ويكون أقصى إكرامه السماح له بانتعال ظل الناقة! وما أحسبهم بمانحيه هذه التكرمة، لولا حاجتهم الآنية إليه.

ولو علموا ما خبأت له الأقدار لوهبوه الناقة برحلها، ولساروا في ركابه حفاة، يوقونه من الحر والقر.

ولو أنه سبق إلى وهم أبي سفيان، ما سيؤول إليه حال بنيه وذويه، لما وقف يوم حنين يطلب من غنائمها لنفسه وأولاده. ولجادت يداه بكل ما يملك، ولم يحوج عقيلته أن تشتكي إلى رسول الله ﷺ ما تلقاه من بخله وتقتيره.

ولكن أنى لبشر أن يرى ما غاب عن ناظريه، فضلا عن معرفة ما طوي من الغيب، أو خفي من الأقدار؟

نعم، لقد جرت المقادير بما لم يكن في حساب أحد أبدا. حيث لم تمض ثلاثون سنة - وهي فترة وجيزة في عمر الأمم - حتى كان معاوية - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين، وأميرا للمؤمنين، يسوس الملك، ويصرف الأمور، ويعقد الألوية، ويسير الجيوش، ويفتح البلاد. كلمته الأولى في كل

الأقدار ماضية في حياة الناس رفعا وخفضا

بقلم: محمد الجاهوش

شيء، ولا صوت يعلو فوق صوته أبدا.

خضعت لدولته الحواضر والبوادي، في مصر، والشام، والجزيرة، واليمن، وفارس، والروم، وسير الصوائف والشواتي، حتى أسوار القسطنطينية.

ومن الخضراء - قصر الخلافة في دمشق - كانت تخرج الكلمة، فتنفذ في أقصى خرسان. وإلى الخضراء كان يفد الملوك والسفراء، من شتى أنحاء الأرض يعلنون الولاء، ويتلطفون في عرض المطالب.

وهكذا أقبلت الدنيا على المحرومين، فعاشوا - في جنات الشام وأنهارها، وفي ربوع مصر والعراق وخيراتها - ملوك الدنيا، وسادة الأمم، وانتهى إليهم تصريف الأمور في طول البلاد وعرضها، لا يرفض لهم طلب، ولا يعصى لهم أمر، ولا يرد عليهم قول.

إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة
وإن دعوا قالت الأيام آمينا

صفا دهرهم، وحلا عيشهم، وذاقوا من أفاويق الدنيا حلاوتها، ولذاتها، وغمرهم النعيم في بلاد مستحسنة، وزمان يشبه - في الحسن - البلاد، ويربو عليها.

حدث زياد الحارثي، قال: شربت عند يزيد بن معاوية شرابا لم أسلسل مثله، فسألته عنه فقال: رمان حلوان، بعسل أصبهان، بسكر الأهواز، بزبيب الطائف، بماء بردى.

فسبحان من يورق الصخر لأقوام، ويجري بلاقعهم زلالا سلسبيلا، ويبتلي آخرين حتى يظلم نهارهم، وتضيق مذاهبهم.

وتبقى سنة التغيير، وتبدل الأحوال ماضية في حياة الناس.

فبينما المرء يرفل بزينته، ويزدهي بقوته، ثاني عطفه تيها وكبرا، إذ به

مسلـوب العـافية، معـدوم النعمـة تـزدريه الأعين، ويـدفع بالأبـواب، وبالأمس كان ملء السمع والبصر!

وآخر أتته الـدنيا على غير ميعاد، وأقبلت - بـزينتهـا - تخطب وده، بعد تمنع ونفار، وتدخل حماه دون طلب ولا استئذان.

إنه قـادر جار، وفلك دائر، والمرء بينهما يتقلب من حال إلى حال.

وممن أجاد في تصوير هذا المعنى أحمد شوقي - رحمه اللـه - حيث يقول:

رب طفل برح البؤس به
مطر الغيث فتيا ومطر
وصبي أزرت الدنيا به
شب بين العز فيها والخطر
ورفيع لم يسوده أب
من أبو الشمس ومن جد القمر
فلك جار ودنيا لم يدم
عندها نحس، ولا السعد استمر

أي واللـه، إنـه فلك جـار، وقـدر مـاض. فليت الـذين يطأطئـون هاماتهم، ويفرطون بقيمهم ودينهم - جريا وراء متاع الدنيا ومناصبها - يتعظـون، ويعتبرون. فلـو أن أحدهم تروى قليلا لأدرك أن الرزق لا يستجلب بحيلـة ولا ذكـاء، ولا يخضع لمعيار القوة والضعف.

فلو كانت الأرزاق تأتي على الحجا
هلكن - إذا - من جهلهن البهائم!

إن مواقع النـاس - في دنياهم - سبق بها القدر في الكتاب الأول، فما أصـابهم لم يكن ليخطئهـم ومـا أخطأهـم لم يكن ليصيبهـم، رفعت الأقلام وجفت الصحف.

فحري بطلاب المعالي أن يحرصوا على طـريق العـز، ولا يبتغـوا عنـه بدلا.

وجدير بـالمؤمن ألا يضيق صدره بـالشدائد والـرزايـا، ففيها صهـر معادن الـرجال، واختبـار عزائمهم، وصقل مـواهبهم، وهي مفتـاح التغيير في حياة الأفراد والأمم.

فإن وراءها أمنا وخفضا
وعطفا للمديل على المدال

فمن ابتلي فليصبر، صبرا مقـرونا بـالـرضا، فما عـرف المعـالجون - لكشـف الضر - دواء أنجـع مـن الصبر. وحسب الصابريـن ما ميزه الله تعـالى به عن أهل طـاعته ﴿إنما يـوفى الصـابـرون أجـرهـم بغير حساب﴾ [الزمر/١٠].

ومهما طال ليل المحن، فلن يكون سرمدا أبدا، ولسوف ينشق ليله عن صبح أبلج، ولا يدري المكروب متى يلج عليه الفجر.

فكل الحوادث وإن تناهت
فموصول بها فرج قريب

ومن قـدر لـه طـرف من جـاه أو غنى، أو تعلق منهما بسبب، فليحذر الأشر والبطر، وليعقل النعمة بعقال الحمد، وليقيـدها بقيـد الشكر، فإن للنعم شرودا ونفـورا. وقلما ذهبت نعمـة عـن قـوم، ثـم عـادت إليهم. فكـريم المحتد يعلـو بالنعمـة أصالة، ويزداد بإقبـال الدنيا شكرا وتواضعا، وحبا لإخوانه وأصحابه، لا سيما قرناء مرحلة الفاقة، ويبس العيش. فيدنيهم ويـواسيهم ويبذل لهم نائله ونداه.

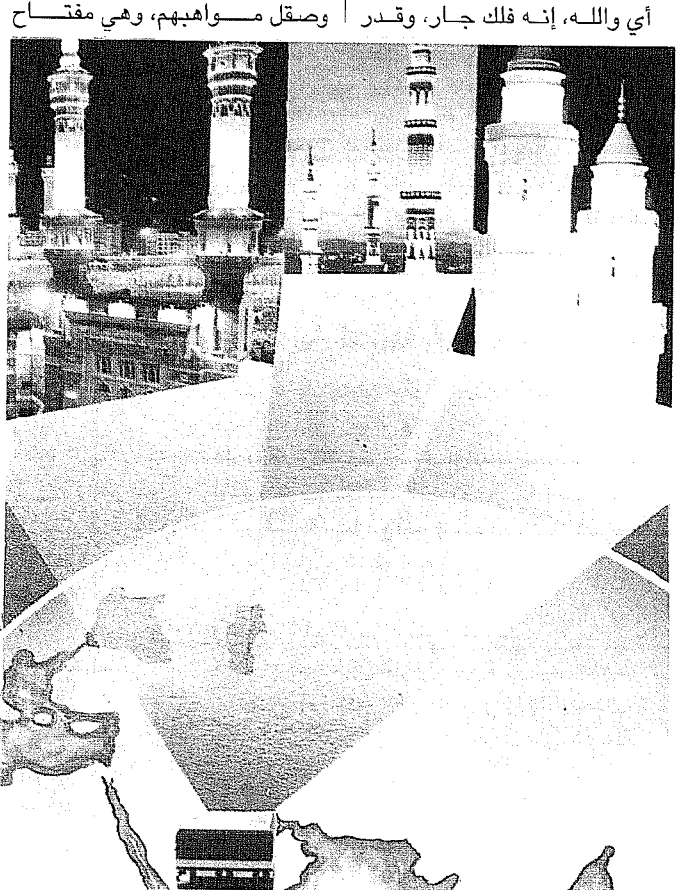
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يصحبهم في المعشر الخشن

وتأمّـل - أخي - مـوقف أمير المؤمنين - معاوية - كيف أكرم من بخل عليه، وأدنى من أبعده وجفاه. ومـا كـان تـذكيره إيـاه إلا إظهـارا لجميل فضل الله ومنته فيما آل إليه ﴿وأمـا بنعمـة ربك فحـدث﴾ [الضحى/١١].

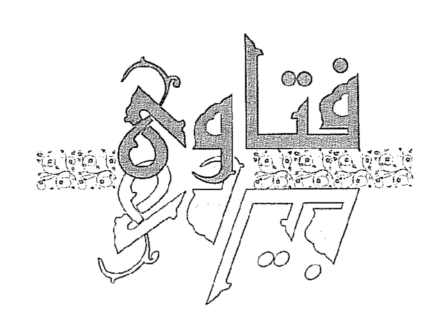
فما أضل من يطلب نـوال الله من عند سواه! ﴿قل إن الفضـل بيد الله يؤتيه من يشـاء والله واسع عليم﴾ [آل عمـران/٧٣]. ﴿إن في ذلك لـذكـرى لمن كـان لـه قلب أو ألقى السمع وهـو شهيـد﴾ [ق/٣٧].

سـدد اللـه الخطى، ووفق الجميع، والحمد لله رب العالمين■

مهما طال ليل المحن .. لن يكون سرمدا أبداً



منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..



حكم الغناء والاستماع

ورد للجنة السؤال التالي:

ما حكم المغني الذي يغني الأغاني الخليعة التي تثير الشهوات وتفسد العقائد؟ وما حكم السامع لها في وسائل الإعلام كالتلفاز، والمذياع، والمسرح وغيرها؟

وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

يختلف حكم الغناء باختلاف حاله وما يرافقه، فإن رافق الغناء محرم كالموسيقى المصاحبة للمحرمات، أو كان بصوت امرأة يسمعه الأجانب عنها، أو كان فيه اختلاط محرم، أو خلوة محرمة، أو شرب خمرة وما إليها، أو كان في ألفاظه فحش أو ميوعة أو إثارة شهوات فهو محرم لما رافقه، وإذا خلا الغناء عن كل تلك المحرمات وأمثالها فهو مباح بشرط ألا يجعل ذلك مهنة بأجر أو بغير أجر.

فإذا فقد هذا الشرط كان الغناء حراما، أو مكروها لما فيه من إضاعة الوقت بغير فائدة، ولما فيه من المفاسد، أما غناء الأم لطفلها لينام، أو الحدو للابل لتسير، أو تغني الإنسان لنفسه للانسجام مع العمل فمباح مطلقا ما لم يرافقه محرم.

والغناء المحرم والمكروه يستوي فيه أن يكون في المنزل أو في الشارع أو في الإذاعة أو غير ذلك ويكون المنع أشد كلما كان العموم أكثر، لكثرة الفساد بكثرة العموم.

ما يجوز وما لا يجوز في التمائم والتعاويذ

ورد للجنة السؤال التالي:

ما الحكم الشرعي فيما هو معروض أمام حضراتكم (بما اصطلح على تسميته بالجامعة بين عامة الناس) وهو عبارة عن سور من القرآن الكريم وآية الكرسي تم وضعها في حرز من الجلد، ربط بخيط لتعليقه على رقبة الشخص الذي يخشى العين أو السحر أو الشر بصورة عامة؟

وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز تعليق التمائم والتعاويذ إذا توافرت الشروط التالية:

١ – أن يكون ما كتب فيها من القرآن الكريم أو من أسماء الله وصفاته أو من المأثور الثابت عن النبي ﷺ من الرقي، والاذكار أو بأي ذكر لله تعالى مطلقا.

٢ – أن تكون بكلام مفهوم المعنى غير مشتملة على الطلاسم والرموز التي لا يفهم معناها.

٣ – أن يعتقد حاملها أنها لا تنفع بذاتها بل بإذن الله سبحانه وتعالى وقدرته ومشيئته.

٤ – ألا تشمل على شرك بالله سبحانه وتعالى أو معصية.

٥ – أن تكون التميمة فيما يخرز ويخاط.

٦ – أن يترك حملها عند الجماع أو الغائط.

لذلك فإن اللجنة ترى عدم جواز تعليق التميمة المشار إليها لتضمنها كلاما غير مقروء.

الشراء بالأقساط المؤجلة

ورد للجنة السؤال التالي:

هل يجوزأن أشتري سيارة من شخص، وأن أحول ثمنها على بيت التمويل ليدفع ثمنها من راتبي بالأقساط ثم أبيع هذه السيارة بالحال (كاش) قبل استكمال دفع ثمنها؟

وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

لا مانع شرعا من شراء السيارة، أو أية سلعة أخرى بالأقساط المؤجلة، وبيعها بثمن حال، سواء أكان أكثر من ثمنها المؤجل أو أقل، شريطة أن تباع لغير من اشتريت منه أولا، وهذه الصورة تسمى عند الفقهاء (بالتورق).

لابد من تنزيه المصاحف عن الامتهان

ورد للجنة السؤال التالي:
من الأمور اللافتة للنظر في الأسواق العامة أن كثيرا من القرطاسيات والمكتبات ومحلات عامة تعرض المصحف الشريف للبيع بين سلع أخرى منها كتب مدرسية وقصص مباحة أو غير مباحة ولعب أطفال وغير ذلك، ولا ريب أن هذا لا يليق بكرامة القرآن وقد يمسك به ولو على سبيل الاستطلاع المسلم وغير المسلم، ومن على طهارة أو غير طهارة فهل يجوز؟ وإن كان لا يجوز فهل تتفضل لجنة الفتوى مشكورة بإصدار فتوى بضرورة صيانة القرآن عن العبث وحث الباعة وأصحاب القرطاسيات على أن يخصصوا في مكتباتهم أو محالهم مكانا مميزا مفصولا عن السلع الأخرى لبيع المصاحف والكتب الدينية بحيث لا يقصد هذا المكان إلا الذين يقدرون القرآن ويرغبون في الشراء فعلا. إننا نرجو أن تستجيب اللجنة لهذا الطلب خاصة أن أحد الشبان الغيورين على الدين وكرامة القرآن عندما أراد نصح أحد الباعة بضرورة تخصيص مكان للمصاحف على نحو ما سمعنا أجاب بقوله: احضر لي فتوى بذلك، وأملنا عندما تصدر الفتوى إن شاء الله أن نصور منها نسخا نوزعها على باعة المصاحف بالحكمة والموعظة الحسنة، والله تعالى نسأل أن يوفقكم إلى خدمة القرآن وأن يجعلكم دائما عونا على نشر تعاليمه. وجزاكم الله خيرا.

وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
يجب شرعا تنزيه القرآن الكريم عن الامتهان وصيانته من العبث، ولقد شرع الإسلام لتحقيق ذلك جملة من الأحكام منها: عدم جواز مس المصحف إلا بطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، لقوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾، ومنها: عدم جواز المسافرة به إلى بلاد الكفار لنهيه صلى الله عليه وسلم. «أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» متفق عليه ولذا لا يجوز عرض المصحف الشريف للبيع، إذا كان في ذلك امتهان له بأن يعامل كسلعة من السلع أو عرض تجاري كغيره من العروض، بل الواجب تخصيص مكان يليق بقدسيته وسموه بعيدا عن العبث.

حكم قراءة كتب السحر والتنجيم

ورد للجنة السؤال التالي:
هل يجوز للمسلم أن يقتني هذه الكتب (المرفقة):
١ - دليل الحيران في طالع الإنسان.
٢ - الطب الروحاني للجسم الإنساني.
٣ - أبو معشر الفلكي الكبير للرجال والنساء.
٤ - إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم.
٥ - سحر برنوخ.
٦ - شمس المعارف الكبرى.
وبم تنصحون من تعامل مع ما ورد في هذه الكتب لأجل أن يستشفى بها من بعض الأمراض التي يعاني منها كالوسوسة والضيق النفسي بسبب ظروفه الصعبة.

وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
تدور موضوعات الكتب المشار إليها في نص الاستفتاء على السحر والتنجيم الاستدلالي، بمعنى الاستدلال بالتشكيلات الفلكية على الحوادث السفلية.
أما السحر فقد أجمعت الأمة على تحريمه لقوله تعالى: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ [البقرة/١٠١]، ولقول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر منها السحر. كما ذهب جمهور الفقهاء إلى أن تعلم السحر حرام وكفر.
أما التنجيم الاستدلالي فهو منهي عنه كذلك لادعاء أصحابه أنهم يعلمون الغيب بأنفسهم منه، أو أن له تأثيرا على الحوادث بذاتها، وقد جاء في الحديث: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد» [أخرجه أبو داود]، وحديث: «من صدق كاهنا أو عرافا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد». ولذا لا يجوز اقتناء هذه الكتب أو القراءة فيها بقصد التعلم منها والعمل بها، والسبيل للاستشفاء من أمراض القلب والنفس هو الرقية المشروعة بآيات القرآن والأذكار المأثورة، والمداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد/٢٨].

هل يجوز مخالفة قانون المرور؟

ورد للجنة السؤال التالي:
هل يجوز شرعاً مخالفة قانون المرور لمجرد انه قانون وضعي، وهل الالتزام به داخل ضمن قول الله تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم﴾ وهل يثاب أو يأثم من يلتزم أو يخالف القانون المذكور اعلاه؟

وأجابت اللجنة بالتالي:
مادام قانون المرور يلبي مصلحة المواطنين، ويدفع الضرر عنهم، وقد صدر من سلطة مسلمة مأمونة، فان التزامه واجب ولو كان وضعياً، ويثاب عليه فاعله ان قصد بالتزامه به توفير المصلحة ودفع الضرر في المال والنفس، وأثم مخالفه لما فيه من التمرد على امر ولي الامر وتعريض نفسه للعقوبة وغيره للضرر، وقد ضبط الفقهاء هذا الحكم بمجموعة من القواعد الكلية، منها: «اذا امر ولي الامر المسلم بمباح اصبح واجباً وتصرف الراعي منوط بالمصلحة»

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ــ ١٢ ظهرا ومن ٤ ــ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

نشرت (الغارديان) البريطانية، المقال التحليلي التالي عن انتصارات الكروات على الصرب، مع توقعات الصحيفة لمستقبل الصراع في يوغسلافيا السابقة.. ونظراً لأهمية الموضوع وعلاقته بشكل مباشر بقضية إسلامية عزيزة كقضية البوسنة والهرسك. ارتأت (الوعي الإسلامي) نشر ترجمته. وهذا لا يعني أنها متبنّية لمضمونه.

صرب كراايينا ضحية أم أداة ؟!

انطوت الانتصارات الكرواتية في منطقة كراايينا على احتمالين اولهما جيد والثاني سيء، وهما متضافران في اسلوب التحارب اليوغسلافي الجهنمي، والاول يتصل بالاخفاق المتصاعد لقوات صرب البوسنة. أما الثاني فيتعلق بالتأكيد المتعاظم للوحشيةالتي تصاحب التعصب العرقي. أما الاحتمال الآخر المتصل بالثاني فهو بقاء مخطط الحرب اليوغسلافية وعقلها المفكر(سلوبودان ميلوسيفيتش) من خلال تضحيته بالرجال الذين قادهم إلى هذه الحرب.

فالنصر المحقق ضد الصرب كان نصرا للتطهير العرقي ايضا، من خلال فرار صرب كراايينا إلى البوسنة، وهو نصر ينبغي عدم الاستمتاع به.أما الامتحان الذي كان مطلوبا للصرب فقد تحقق وهكذا صارت الدولة الصربية غير الشرعية في البوسنة تسير في اتجاه نازل لاسباب عسكرية ونفسية.

النصر الكرواتي المحقق ضد الصرب كان نصراً للتطهير العرقي ايضاً

لكن من هذه النقطة نفسها ستنطلق خيرات كثيرة في زغرب وسراييفو وحتى في بالي (عاصمة صرب البوسنة) حيث يجب على الصرب إما ان يصروا على الفصل بين شعوب يوغسلافيا السابقة واما البدء في عملية مؤلمة لإرساء بعض عناصر التعاون او حتى التعايش.

وعلى النحو نفسه، ستكون هناك قرارات يتوقف عليها اضفاء الشرعية على ميلوسيفيتش وجعله احد اعمدة السلام النهائي اذا اراده، او زعزعة موقعه بعد مرحلة قصيرة من الاطمئنان.

نجم عن الانتصارات الكرواتية في كراايينا تحويل الازمة في يوغسلافيا السابقة إلى ازمة ذات جبهتين.فمنذ ان تجمدت خطوط النار في كرواتيا عام ١٩٩٢، تمكن المتمردون الصرب من تركيز نيرانهم علي البوسنيين المسلمين فضغطوهم بين جبهتين بمساعدة من الكروات في مرحلة مبكرة أما الآن فصارالصرب مضغوطين بين جبهتين ولن يتمكن صرب البوسنة ابدا من نسيان الضربة الكرواتية عندما يقصفون المسلمين، او عندما يقصفهم المسلمون.

الضربة تقوي القوات الصربية!

ويصح القول ايضا ان الصرب صاروا يسيطرون الآن على اراض محكمة، وان انضمام اجزاء من القوات النظامية لصرب كرواتيا الي قوات الجنرال راتكوملاديتش يكون قوة عسكرية ضاربة كبيرة وهكذا اصبح الصرب اقوى واضعف في آن، لكن في موقف دفاعي اضعف مما كان في اي وقت مضى بالرغم من ذلك.

اما دخول القوات النظامية لجمهورية صربيا للمؤازرة هؤلاء فسيقلب هذه المعادلة لكن سلوبودان مليوسيفيتش لا يقف في الموقف نفسه لخصمه رئيس كرواتيا فرانيو تودجمان. فبالنسبة إلى هذا الاخير، يمثل دخول الحرب مفتاح تحقيق السيطرة السياسية في بلاده، الذي يمنحه قيادة لاتمس في مواجهة خصومه ويضمن انتصاره في الانتخابات المقبلة لكن النكوص عن خوض الحرب هو المفتاح بالنسبة إلى ميلوسيفيتش اذ يقوم موقعه السياسي في صربيا على مدى ابقائه بلاده بعيده عن القلاقل وخارج الحرب.

وهذا لايعني انه لن يواصل ارسال الامدادات والرجال الى الصرب عبر الحدود، انما يعني ان ثمة حدودا لدعمه الخفي لهم.

تحالف ولكن..

لقد صارت كرواتيا والبوسنة حليفتين بعد اتفاق على تعاون عسكري شامل وقعتاه قبل بضعة اسابيع،وليس هناك سبب يمنع الكروات من التقدم الى تحرير جيب بيهاتش المسلم من قوات الزعيم المسلم الاحمر فكرت عبديتش.. وربما يكون التقدم الكرواتي ابعد من ذلك. ويمثل مدى التعاون العسكري الكرواتي – البوسني في المستقبل احد القرارات المهمة التي تمس المسألة الاثنية المركزية: فهل نقف امام مجرد انتصار

على قوات الصرب، ام نقبل على تحقيق انتصارآخر على التعصب العرقي الاعمى ايضا؟ ومن السخف القول بأن الانتصار الاول لن يكون جديراً بالاهتمام دون الانتصار الثاني، لكن كم يكون عظيما لو تحقق الاثنان معا.

مايتصف بالاهمية نفسها للتغيير الموضوعي في الموقف العسكري هو التغيير النفسي فمن الصعب المبالغة في تأكيد مقدار تعويل الصرب، عندما لعبوا دورهم الانشقاقي، على تحقيق نصر في الحرب، ففي اعالي الاراضي المطلة على بحر الادرياتيك بدأت الاراضي الخاضعة للصرب تمتد نحو حدود صربيا نفسها، وهذه الاراضي في الأساس فقيرة معزولة عن الشواطيء الزاخرة بالآمال وعن معظم المناطق الصناعية في وسط البوسنة.

الغروق في الأزمة

ونزح نحو نصف سكان (الجمهوريتين) الصربيتين المتمردتين (في البوسنة وكرواتيا) الى صربيا، بعدما كانوا يشكلون١,٢مليون نسمة قبل الحرب ومابقي فيها من صناعة كان مقتصرا على المعدات الحربية اما الجزء الاساسي من الشبان فكان مشغولابالمهام الحربية وكانت القرى فيها موحشة والمصانع صامتة والزراعة محرومة من الوقود والاسمدة،وهكذا عاد الناس فيها الى زمن العربات التي تجرها الجياد والثيران وهذه هي المملكة المتردية التي اقتحمتها دبابات كرواتيا في نهاية الاسبوع الماضي لتجتث الاسطورة التي نسجتها البسالة الحربية الصربية على نحو مجهول من جميع انواع العجز.

من العلامات البارزة ان قيادة صرب البوسنة، غرقت بعد ساعات من الهجوم الكرواتي في ازمة كان يمكن ان تكون فكاهية لو لم تقع بين اشد الرجال وحشية في البلقان فقد كان كل من رادوفان كارادزيتش وقائد قواته(المعزول) راتكوملاديتش يمسك بخناق الآخر وهما يواجهان اعظم خطر تعرض له شعبهما ويتصارعان على مايمثل القضية لكل منهما. فلاشيء كان يوضح بصورة افضل حقيقة مفادها ان دون الانتصار العسكري لصرب البوسنة وكرواتيا لايبقى لهم غير الخوف والإدانة.

صراع القيادات المهزومة

ويمكننا ان نرى في صراع الرجلين يدميلوسيفيتش الذي بدأ وكأنه يستعمل ملاديتش للاطاحة بكارادزيتش بإلقاء اللوم عليه بشأن كارثة كرايينا، وان كان ملاديتش يتحمل مسؤولية مساوية عن الإخفاق فيها. وليس تلاعب ميلوسيفيتش المستمر بالرجال الذين حملهم الى السلطة في الاراضي الصربية المتمردة غير دلالة اخيرة بارزة على نزعته النفعية التي طبعت تصرفاته دوما. فجمهورية صرب كرايينا التي نتحدث عنها الآن بصيغة الماضي كانت في الحقيقة اختراقا لقوة صربيا في الاراضي الكرواتية فقد كان التصميم الاصلي لصربيا الكبرى يقضي باحتلال شاطيء البحر الادرياتيكي، لكن الصرب اخفقوا في الوصول الى الهدف وما بقي لهم كان مجرد جيب مسدود المنافذ من الناحيتين الاجتماعية والعسكرية.

وكان صرب كرايينا يشعرون أن مهمتهم مقتصرة على حماية مؤخرة جيش صرب البوسنة الذي انشغل بمقاتلة المسلمين شرقا لكن هذه المهمة فقدت محتواها، ليس بسبب قوات صرب كرايينا انما بسبب حقيقة بسيطة مفادها ان جبهتهم لم تكن نشطة فما ان عجز صرب كرايينا عن الوصول الى شاطيءالادرياتيكي حتى جاءت قوات الامم المتحدة لتتمركز هناك إفسادا لهدوء المنطقة.

التخلص من الغصن اليابس

لقد كانت كرايينا اشبه بدعامة تسند جسرا غير مكتمل. وحالما تأكد ان الشاطيء الادرياتيكي ابعد من متناول الصرب صارت هذه الجمهورية بلا فائدة وكانت نزعة ميلوسيفيتش النفعية تقضي بالمحافظة عليها في حين كان من غير الملائم التخلي عنها لان زعيم صربيا كان يضمر لعبة طويلة في عقله ثم خذل ميلوسيفيتش كرايينا و١٥٠ الفا هم قوام صربها. وربما يتكرر الامر نفسه مع كارادزيتش او ملاديتش او الصرب العاديين في جمهورية البوسنة.

واليوم -كما في الماضي- يتوقف هبوب الرياح الدبلوماسية الغربية على ميلوسفيتش فالمشكلة في الانتصار الكرواتي انه يعزز التعويل الدبلوماسي الغربي على زعيم صربيا ولايضعفه، وقبل التصدي للمسألة ينبغي على القوى الاجنبية ان تخوض امتحانا آخر، فلس بإمكان الامم المتحدة ان تحقق عودة جماعية للهاربين من كرايينا، لكنها قد تستطيع العمل على وقف فرار من بقوا وتنظيم عودة بعض من فروا. وهنا ستكون الوكالات الدولية محصورة بين قوتين، فمن جهة هناك المتطرفون الكروات الذين لايريدون بقاء اي صربي، ومن جهة ثانية هناك الصرب البوسنيون الذين يرحبون بأية تعزيزات يؤمنها المؤهلون للخدمة العسكرية من لاجئي كرايينا. لكن السجل المحقق لايبشر بالخير فعام ١٩٩٢، انتشرت قوات الامم المتحدة في الاراضي الكرواتية الخاضعة للصرب من اجل نزع السلاح واعادة اللاجئين الكروات لكن شيئا من ذلك لم يتحقق والأمر قد يكون مختلفا الان، فحتى اذا كان عدد من يعودون او يبقون (من الصرب) صغيرا فسيكون الاثر كبيرا. غير ان الوعود تنكث والمفاهيم تتغير، ففي ملافونيا الغربية التي استعادتها كرواتيامن الصرب في مايو الماضي، يتحدث الصرب الباقون فيها عن سلوك جيد للجنود الكروات نهارا وعن مضايقات ليلا، وربما كانت كرواتيا منتصرة الآن، لكنها معرضة للضغط في جميع الميادين، بدءا من امدادات الاسلحة وأملها في الانضمام الى الاتحاد الاوروبي وينبغي، بلاريب عدم القبول بالهجرة الصربية كونها امراً واقعا■

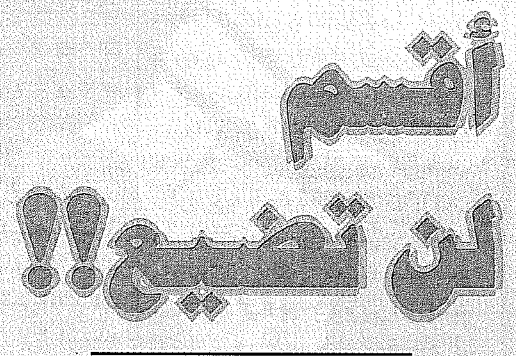
شيشينيا ياسادتي تحترق
سماؤها تمطر ناراً.. ولهبْ
ونحن في لا وعينا
نشيد نصرنا ضجيجا وصخبْ

شيشينيا ياسادتي تختنق
دخانها يغزو السحبْ
ونحن في غوغائنا
نشيد نصرنا قوافي وخطبْ

شيشينيا دموعها على الخدود تنسكبْ
تنتظر معتصماً..
ونحن في جهالة
نرقص في خمارة أبي لهبْ.

شيشينيا ياسادتي تُدمَّر..
أعداؤها قلوبهم قُدت خشبْ
ونحن في الخمارة
نعقد في السر مع جلادها وثيقة ودٍ وحبْ

شيشينيا ياسادتي تُعد قتلاها ألوفاً
ترقب مجيء خالدٍ
ونحن في مجالس القمار نشرب كأس المذلة
نبتغي كسب وسام او لقبْ
نبيع للجوع صغارنا
ونرمي بالملايين على صدر الغواني..
في أدبْ..



أقسم لن تضيع!!

شعر: محمد الصالح بن عزيز

نطلب منهن – فقط – بسمة ودٍ
لايهم بعدها أن نلثم التراب ذلاً
لايهم بعدها أن نجثو على الرُكبْ
نستمتع بقول: (كنا سابقا)
هل تنفع (كنا) لإصلاح العطب؟

شيشينيا ياسادتي تحترق
ونحن كالأطفال نلهو
لهونا.. ياعارنا!!شتم وسبْ
كذلك نحن.. مع الأعداء كالنعامة وداعة،،
أسدٌ على إخواننا
حروبنا..ياعارنا!!..بلاسببْ..
بالأمس ضاعت قدسنا فلم نحرك ساكنا
نلوم بعضنا نفاقاً
وجميعنا يمني نفسه سراً
عساه من بني صهيون يوماً يقتربْ..

آن الأوان سادتي لغسل عارنا
وهل يغسل عار – هكذا – بلا تعبْ؟
آن الأوان سادتي لأخذ ثأرنا
وهل يؤخذ ثأر – هكذا – بلاغضب؟
آن الأوان سادتي أن توقفوا استعبادنا
هل يقدر المقهور – حقا – عَالْغضب؟
آن الأوان سادتي لحل قيدنا
فهل يقدر مهزوم على غير الهربْ؟

شيشينيا ياسادتي.. أقسم لن تضيع!!
هل يضيع حق اهله جادون – فعلا – في الطلبْ؟
لاتفرحوا ياسادتي..
من قال ماتت أمة الإسلام
او قال انتهت.. فقد كذبْ!!

لاتجزعوا ياسادتي!
إذا رأيتم خالداً يقود جيشاً فاتحا
يعيد ماضاع لنا.. فلاعجبْ!!

اشحذْ حسامك

ماأحوج المسلمين في هذا الزمن أن يرددوا ﴿وأعدوا لهم﴾

شعر : محمد عبد الله القولي

اشحذ حسامك في وغى وسلام ... فالبأس عزك في مدى الايام

واسأل إلهك أن يمدك بالرضا ... وبقوة الإيمان والإحكام

قل للبطولات التي عبقت بها ... هذي البسيطة في حمى الإسلام

الأقوياء بدينهم كم عظموا ... وكذاك جل العزم في الأجسام

فهم الأحب إلى الإله وكلهم ... الخير فيه، وعزهم متنام

فالبأس والإيمان إن جمعا فقد ... حظي السعيد بجنة الإنعام

والله يأمر أن نعد قلوبنا ... وجسومنا لمعارك وضرام

وعتادَنا ناراً على أعدائنا ... إن هب في عزم وفي إقدام

يسرى إليه البأس من عزماتنا ... ويقيننا بالله في إعظام

في هجرةٍ (عمرٌ) توعد قومه ... إن يُتِّبع فالرزء للأيتام

وبخيبر شاهدْ(علياً) مرعداً ... والحصن مرتعداً من الضرغام

وبعسرة (عثمان)جهز جيشها ... طوبي لذي النورين ذي الإكرام

وبردة اسد(أبو بكر)رمى ... كيد الطغاة بعزمه الصمصام

قل للبطولات التي عبقت بها ... هذي البسيطة في حمى الإسلام

من للرماية مثل(سعد)معلماً ... يردى العدو يروعهم بسهام؟

من للسباحة ارضعت أبطالنا ... فإذا بهم في أكمل الأجسام؟

من للّياقة مثل أبطال لنا ... للخيل قد وثبوا لخير مرام؟

من للخيول تسابقت فرسانها ... فإذا السنابك في المدى المترامي؟

من للجمال تنافست ركبانها ... طارت إلى الهيجاء سهم حمام؟

أو من لجري مثل ابن الأكوعي ... حامي النبي وسابق الأقوام؟

كم سابق الفرسان فوق جيادها ... وهوى بهم جرياً على الأقدام

يجري ويرمي بالنبال عدوه ... ويرد ماسلبوه رد همام

أومن (كقعقاع) توغل في العدا ... كالنسر في الأجواء والأكام؟

أو (خالد) سيف الإله مؤيد ... ليجيد في الأعداء بتر الهام

أو(حمزة) أسد الحروب تخافه ... الأبطال إذ ترتد في إحجام

و(أبو دجانة)فارس الأهوال لم ... تلد النساء كذا الفتى الضرغام

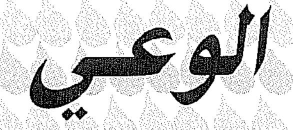
يختال يرقص في اللقاء مباهياً ... بمهند للمصطفى صمصام

أو من أطفال الحجارة دوخوا ... لب اليهود بهذه الأيام؟

كر وفر والشهادة غاية ... يسعى لها ذو خمسة الأعوام

اشحذ حسامك في وغىً وسلام ... فالبأس عزك والإله الحامي

حديقة



الوعي

إعـــداد: أحمد عبدالجبار

شاعر الشعراء

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لابن عباس : اتروي لشاعر الشعراء؟ قال ابن عباس: ومن شـاعر الشعراء يأمير المؤمنين ؟قال عمر ـ رضي الله عنه ـ الذي يقول:

ولـــو ان حمدا يخلـــد النـــاس اخلــدوا
ولكـن حمد النـــاس ليـس بمخلـــــــد

قال ابن عبـاس: ذاك زهير..قال عمـر ـ رضي الله عنــه ـ لانــه كان لايعاظل في الكـلام وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمـدح احدا الا بما فيه.

التغيير

قيل لحكيم: إن فلانا غيرته الإمارة.
فقـال:إذا ولي المرء إمارة فـوجدهـا أكبر منه تغير، وإذا ولي إمـارة فوجدها أقل منه لايتغير.

الحسنة بعشرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر امثــالها إلى سبعمائة ضعف. قـــال تعالى:إلا الصـوم فإنه لي وأنـا اجزي بـه: يـدع شهـوتــه وطعـامـــه من اجلي.للصـائم فرحتـان: فـرحة عنـد فطره، وفرحة عنـد لقاء ربه. ولخلوف فم الصـائم اطيب عنـد اللـه من ريح المسك»رواه مسلم

جرس الحروف

● اجتمع حكماء العــرب والعجم على اربع كلمات:لاتحمل بطنك مـالا يطيق،ولاتعمل عمــلا لاينفعك، ولاتغتر بامــرأة، ولاتثق بمال ولو كثر.

● واختـــار العلماء اربـع كلمات من اربعـــة كتـب: من التـوراة:من قنع شبع، ومن الانجيل: من اعتزل نجـا.ومن الزبور:من سكت سلم.
ومن القرآن الكريم :ومن يعتصم بـالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

● المروءات كلها تبع العقـل، والرأي تبع التجربـة، والعقل اصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر.

ومانيطق عن الهوى

«لما خلق اللـــه الخلق، كتب في كتـــاب، فهـو عنده فوق العرش: إن رحمتـــي تغلـــب غضبي».

صداقة الرغبة والرهبة

قـال حكيم: الصداقـة التي تدور بين الـرغبة والـرهبة شـديدة التحـول والتغير وصـاحبها من صـاحبه في غرور والزلة فيها غير مغفورة وكسرها غير مجبور.

يوم لك ويوم عليك

الـــدهـــر يـــومـــان: ذا أمن وذا خطـــر
والعيش عيشـــان: ذا صفـــو وذا كـــدر
أمـــا تـــرى البحـر تعلـــو فـــوقـــه جيف
وتستقـــر بـــأقصى قـــاعـــــه الـــدرر؟
وفي السماء نجـــــوم لاعـــــداد لها
وليـس يكسـف الا الشمـس والقمـــــر

أمثال

● غش القلـوب يظهر في فلتـــــات الألسن،وصفحـــات الوجوه.

● لســـان الجاهل مفتاح حتفه

● من اعتمـــد على شرف آبائه فقد عقهم.

● من سعادة المرء أن يكون عاقلاً.

من نور كتاب الله

﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ [الفرقان/٢٧-٢٩].

تعبيرات

الحر عبد لرغبات نفسه، والعبد عبد لرغبات الآخرين، اما الحرية الحقيقية فهي ان تعرف الحق فتتحرر من نفسك.

نصائح

- لاتحاول ان تحمي طفلك من ضربة خفيفة او فشل بسيط.
- علم ابنك ان يخاف الله وبني جنسه من البشر. لاترسل طفلك إلى محل العبادة بل خذه انت اليه.

فماذا نقول نحن؟!

إن عملية التعليم ليست عملية تعاط وبيع وشراء، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل،إننا في فترات من التاريخ خسرنا اكبر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانكليزية أو الأوروبية إلى بلادنا الأمريكية. [الدكتورج.ب كونكن في كتابه (التعليم والتربية)].

الصراط المستقيم

عن الحارث عن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول« الصراط المستقيم :كتاب الله» رواه الترمذي.

وروى مسعر عن منصور عن ابي وائل عن عبد الله في قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال :كتاب الله

وروى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: الصراط المستقيم هو الإسلام.

والصراط في اللغة: الطريق الواضح، وكتاب الله بمنزلة الطريق الواضح وكذلك الإسلام.

جفاء وطلاق

ذهب رجل يوما إلى القاضي وأخبره بأنه عازم على تطليق امرأته. فقال القاضي: اسألوه ما اسم امرأته، وما اسم والدها؟ فقال الرجل: لا أعلم. قال القاضي: منذ كم سنة تزوجت؟ أجاب: منذ بضع سنين. ولكنني لم أسامرها في حديث. ولم تكن بيني وبينها ساعة صداقة لأسألها عن اسمها واسم أبيها.

موقف خالد

جاء رجل من الاعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، فقال:اهاجر معك،فأوصى به بعض اصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقسمه،وقسم للاعرابي، فأعطى اصحابه ماقسم له، وكان يرعى ظهرهم،فلما جاء دفعوه اليه،فقال: ماهذا؟قالوا: قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ماهذا يارسول الله؟قال: قسم قسمته لك..قال: ماعلى هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على ان أرمي هاهنا واشار الى حلقة بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال إن تصدق الله يصدقك، ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال:أهو هو؟قالوا:نعم. قال صدق الله فصدقه.

طلب الرزق بعزة النفس

لاتطلبن معيشة بمذلة
وارفع بنفسك عن دني المطلب
واذا افتقرت فداو فقرك بالغنى
عن كل ذي دنس كجلد الأجرب
فليرجعن إليك رزقك كله
لو كان أبعد من محل الكوكب

من أقوال الحكماء

- طائر الطبع يرى الحبة، وعين العقل ترى الشرك. غير ان عين الهوى عمياء.
- إضاعة الوقت اشد من الموت، لان اضاعة الوقت تقطع عن الله والدار الآخرة، والموت يقطع عن الدنيا واهلها.
- من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه

من عظم وقار الله في قلبه ان يعصيه، وقره الله في قلوب الخلق ان يذلوه

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فاكثر مايجني عليه اجتهاده

من فصاحة الأعراب

قال معاوية لأعرابية هل من قرى؟
قالت :نعم
قال: وماهو؟
قالت: خبز خمير ولبن فطير وماء نمير



إعـــداد: التحـــريـــر

مجزرة الخليل

بلال الحسن دار كنعان – دمشق

الطبعة الأولى ١٩٩٥م

يسلط المؤلف الأضواء على الجريمة التي ارتكبها الإرهابي الصهيوني الأمريكي الأصل جولدشتاين في ١٥ رمضان ١٤١٤هـ (٢٥/٢/٩٤م) داخل الحرم الإبراهيمي والتي ذهب ضحيتها عشرات المصلين الفلسطينيين..

يقدم المؤلف عرضا موجزا لتاريخ مدينة الخليل والحرم الابراهيمي، ويصف المجزرة مع تقديم لمحة عن القاتل باروخ جولدشتاين والحاخام الإرهابي مئير كاهانا وحركة (كاخ) اليهودية المتطرفة..

ويناقش الكتاب ثلاث قضايا حرّكتها المجزرة: المستوطنون، الغضب لدى فلسطينيي ١٩٤٨، والتفسير الإسرائيلي لهذا التحرك..

وبأسلوب توثيقي يعرض المؤلف للإجراءات التي اتخذتها الحكومة الإسرائيلية، والمعركة السياسية التي أعقبت المجزرة، وينشر في آخر الكتاب ملاحق تتضمن أسماء الشهداء واتفاقية أمن الخليل والاعتداءات الإسرائيلية على الحرم الابراهيمي..

وجاء في مقدمة المؤلف: (إنه ليس تاريخا ولا تحليلا، وليس أي ادعاء آخر.. إنه ببساطة تسجيل للوقائع المتاحة في شهر المجزرة، تسجيل منظم قدر الإمكان، هدفه وضع اللبنة الأولى في توثيق مجزرة الخليل لكي يتوالى العمل بعدها لتكميل هذا التوثيق وتدوينه وتحليله واستخلاص نتائجه)..

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للامبراطورية العثمانية

مجموعة من الباحثين

نشر: دار جامعة كامبردج – لندن الطبعة الأولى

AN ECONOMIC & SOCIAL HISTORY OF THE OTTOMAN EMPIRE (1300-1914)
CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS - LONDON1994

من الملاحظ الاهتمام الكبير بتراث الدولة العثمانية، وقد خرجت مجموعة من المؤلفات التي تتناول بالدرس والتحليل والتوثيق نشاطات الدولة العثمانية المختلفة، ولا غرابة في ذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الدولة العثمانية أحكمت سيطرتها في ذروة مجدها على أنحاء شاسعة من العالم امتدت من أواسط أوروبا وحتى المحيط الأطلسي في المغرب العربي بما في ذلك عشرات من جزر البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى العالم الإسلامي المعروف، فكان تحت جناحها عشرات الشعوب والأعراق.. ويمكن ملاحظة ثلاث مدارس في الأبحاث التاريخية المتعلقة بالدولة العثمانية: المدرسة العربية، والمدرسة التركية، والمدرسة الغربية (أوروبا وأمريكا)، ولا يعني هذا التقسيم ان كل واحدة من هذه المدارس تختلف عن الأخرى، بل نرى في كل منها فروعا متباينة، وأبرزها ثلاثة اتجاهات: اتجاه لا يرى في الوجود العثماني الا الفوضى والجهل والاستبداد، واتجاه يركز على الجوانب الإيجابية ويهمل ما عداها، والاتجاه الثالث يرغب في اعادة قراءة التاريخ العثماني من دون اي مواقف مسبقة تتحكم فيها العوامل اللافكرية التي لعبت دورا مهما في تكوين الكتابات التاريخية عن السلطنة العثمانية خلال العقود الماضية.. وهذا الكتاب ليس مجرد عمل تاريخي، بل هو موسوعة للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي تتألف من أربعة كتب في مجلد واحد: الدولة العثمانية – المجتمع والاقتصاد (١٣٠٠–١٦٠٠) من تأليف خليل إينالشيك، الأزمة والتغير (١٥٩٠–١٦٠٠) ثريا فاروقي، عصر الأعيان (١٦٩٩–١٨١٢) لروس ماكغوين، عصر الاصلاحات (١٨١٢–١٩١٤) دونالد كواترت. بالإضافة إلى ملحق بعنوان: المال والاعتمادات المالية في الامبراطورية العثمانية (١٣٢٦–١٩١٤) شوكت باموك.

نوابغ الكلم

هاشم محمد سعيد دفتردار المدني

حقوق النشر للمؤلف

الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

كان الكتاب كلمات في صحف العالم العربي ومجلاّته، ثم عكف مؤلفه على تنسيقه وتنظيمه وإخراجه للناس، وما كاد يصل المكتبات حتى نفدت نسخه، فجاءت الطبعة الثانية هذه لتصل – بين الكاتب والناس – حبلَ الفكر الممدود، والكلمات الهادفة..

وحرص المؤلف على ألا يغير فيها كلمة واحدة (لتكون حالة طابع نهضتنا في فاتحة أمرها، وطابع أهدافها العليا التي كنا – ولا نزال – نطمح إليها ليحققها أبطالها الأعلام الذين بنوا أمجادها، وشيّدوا دعائمها)..

النخبة ضد الأهل

وليد نويهض

دار ابن حزم – بيروت

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

ليس جديدا أن العالم الإسلامي يتعرض إلى حملة تشويش سياسية وأيديولوجية تطال ثقافته وعقيدته، إلى جانب الصراعات الدموية المتفجرة في أكثر من جبهة لمحاصرته في نقاط تماس تعتبر بمثابة (خطوط حمر) للمسلمين، سواء في آسيا أو أفريقيا أو شرق أوروبا..

ولكن الجديد في هذه الحملة أنها انتقلت من السياسة إلى الثقافة، ومن الاقتصاد إلى العقيدة، فبات التهجم على المسلمين من المباحات، يستخدم فيه أدوات المعرفة والتاريخ لكسر ما يُعرف بالممانعة الحضارية التي تمتّع بها العالم الإسلامي منذ لحظة تغير موازين القوى الدولية بين الشرق والغرب..

وأخطر ما في الهجمة الجديدة استخدام نخبة من المسلمين (حداثيون ومعاصرون) ارتبطت مصالحها ومواقفها بديمومة تلك الهجمة، وباتت القوى الغربية مطمئنة إلى دور تلك الشريحة في لعب دور الوكيل المحلي لتلك الحملة..

والكاتب يرى أن تصحيح الحاضر يعطل ألغام العنف المزروعة أمام التقدم، ويفتح طريق التطور الذي يشكّل بدوره الإطار المناسب لتوازن العلاقات التي تمر الآن في مرحلة احتقان بين حاضر مأزوم وماض موروث.

الإمتاع في أحكام الرضاع

أ.د. محمد حسن هيتو

دار البشائر الإسلامية – بيروت

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

الكتاب رسالة متوسطة بين الإسهاب الممل، والإيجاز المخل، في أحكام الرضاع على مذهب الإمام الشافعي، فصّل فيه الكاتب كل ما يحتاج إليه من أحكام الرضاع، على الراجح المفتى به في المذهب. وقد يذكر أحياناً – في بعض المسائل الهامّة – بعض الوجوه للأصحاب مع بيان مدركها وما فيه..

وفي نفس الوقت عرض لآراء العلماء في المسائل الخلافية، لاسيما في المسائل الهامّة التي تعتبر أصولاً رئيسة في موضوع الرضاع، وأيّد ذلك كله بالدليل، مع ما دار حوله من نقاش فقهي، أو حديثي، بما يتناسب مع حجم الرسالة ومقصدها.

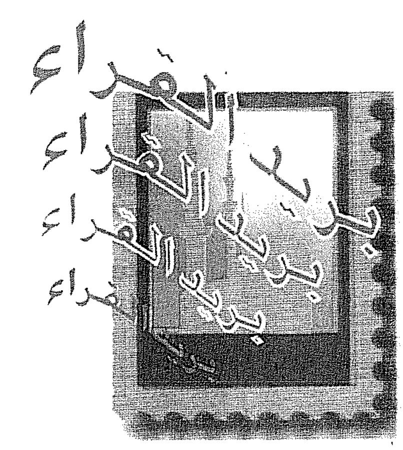
الشريعة المفترى عليها

سالم البهنساوي

الوفاء – المنصورة

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

أمام ظاهرة الصحوة الإسلامية المتنامية في الشرق والغرب، قامت أصوات تنعق وتفتري وتثير الشبهات حول كل ما هو إسلامي شكلاً ومضموناً، وقد يستتر البعض بحجة التخوّف على الإسلام، واتهام بعض دعاته بالتطرف أو الانحراف، أو بالتباكي على مكتسبات العصر السياسية والتقنية.. وفي خضم هذه المعركة الفكرية يجتهد البعض لإنارة الطريق وإزالة الشبهات، وتصحيح التصوّر. وكتاب (الشريعة المفترى عليها) إحدى الدراسات الهادفة، الساعية إلى تبيان موقف الحق في الإسلام نفسه، وفي عمل الدعاة إليه.. فبعض الأقلام التي تحمل أسماء إسلامية، رددت مخاوف غير المسلمين من سيادة الشريعة، مشيعة أن التشريع الإسلامي سيؤدي إلى القضاء على الديمقراطية، وفرض نظام الحزب الواحد، وإعادة النساء إلى مظالم عصر الحريم، واضطهاد الأقليات غير المسلمة.. والكاتب يكشف بإيجاز زيف هذه الادعاءات، سواء فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية أو موقف الحركات الإسلامية المعاصرة من شبهات الخصوم.



الوقت.. تلك القيمة الضائعة

كتب لنا الأستاذ أحمد الراوي شحاتة، مدرس التاريخ بمدرسة خالد بن الوليد الثانوية – الأقصر، بجمهورية مصر العربية كلمة رقيقة فيها إشادة بـ(الوعي الإسلامي) ومضمونها واعتزازه بها، وأرسل لنا مساهمته التالية عن قيمة الوقت التي تكاد تضيع بين كثير من أبناء أمتنا. و(الوعي الإسلامي) إذ تعتز بحسن ظنه، تهديه أطيب التحيات، وتنشر كلمته تعميماً لفائدة الفكرة وحثاً لأبنائنا جميعاً على الاهتمام بالوقت:

لاشك أن أمتنا الإسلامية تعاني العديد من المشكلات المزمنة، والتي يمكننا تصنيفها إلى مشكلات اقتصادية أو سياسية أو تعليمية.. إلخ.

وربما يختلف البعض حول أسبابها وجذورها. فالبعض يرجعها إلى عصور الاستعمار، وآخرون يقولون بقلة الإمكانات المتاحة لبعض الأقطار الإسلامية، وفريق يدعي أن السبب يكمن في الصراعات، والقضايا الخلافية التي جرفتنا، على مدى قرون طويلة إلى هذا المستنقع الضحل من التخلف والجمود... وحقيقة فإننا لا ننكر أياً من هذه الأسباب ومدى فاعليتها بشكل أو بآخر في تنامي مشكلات الأمة وتعاظمها.

ولكن قناعتي هي أن السبب الجوهري الذي يكمن خلف كل ما تعانيه الأمة. هو إغفالنا سواء على مستوى الفرد أو الجماعة لقيمة (الوقت) وعدم استثماره بالصورة التي أمرنا بها شرعنا الحنيف.

نعم.. لقد أهدر كل منا بعض أو جُل وقته دون أن يقدم لمجتمعه أو أمته أدنى مساهمة تخرجها من كبوتها حتى صرنا أهون الأمم وأدنى الشعوب مكانة على كوكب الأرض.

وتناسينا في غمرة الأزمات والأحداث ما جاء به الدين القويم من تعليمات توصي بحسن استغلال الوقت.. أُذكِّر إخوتي بحديث رسول الله ﷺ – على سبيل المثال لا الحصر – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة، والفراغ» [رواه البخاري].

نعم إخوتي فإن الصحة في البدن والفراغ من المشاغل هما رأس المال – للإنسان الحقيقي. فإن أضاعهما ندم حيث لا ينفع الندم ■

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

العمل بالقرآن يورث الأمان

تحت هذا العنوان كتب لنا الأخ ناجح علي عبد الرحمن، من قرية تندة بالمنيا – ج.م.ع. مساهمة منه في تبصير المسلمين بكتاب ربهم سبحانه وتعالى. وله منا كل تقدير وشكر:

كان الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه يقول: عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ فإن الله يعقبها بقوله: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾.

وعجبت لمن اغتم كيف لا يفزع إلى قول الله تعالى ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فالله يعقبها بقوله ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ وعجبت لمن يمكر به كيف لا يفزع إلى قول الله تعالى ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾، فإن الله يعقبها بقوله: ﴿فوقاه الله سيئات مامكروا﴾، وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ﴿ماشاء الله لاقوة إلا بالله﴾. فالله يعقبها بقوله: ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً. فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾ ■

التحية الإسلامية

الأستاذ/ محمود سالم حسين، رئيس جمعية أهل القرآن والسنة – فرع طموه بالجيزة، أراد تذكير القراء الكرام بميزة من مزايانا، وسمة من سمات مجتمعنا المسلم، وهي إفشاء السلام، واستخدام العبارات الشرعية المأثورة عن النبي ﷺ، فكتب يقول:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)؛ هذه تحية الإسلام، أركانها ثلاثة: السلام والرحمة والبركة. تأملت طويلا معانيها، وانتهيت إلى أنها تحمل في ثناياها مفاتيح السعادة للإنسانية جمعاء، فلو وعيها البشر، وحرصوا على إنفاذ مدلولها، لانتفت البغضاء بينهم، وامتنعت الحروب المدمرة، واستقر السلام والرخاء في الأرض.

الركن الأول هو: السلام، تُبشر به التحية، وتدعو إلى بثه في ربوع الأرض، وتجعله البداية الخيرة في كل اتصال للإنسان بأخيه الإنسان، حتى يصير السلام أساس جميع العلاقات الاجتماعية.

والركن الثاني هو: الرحمة، فالتحية تبرز عاطفة الرحمة، وإبراز هذه العاطفة يهدف إلى تحقيق التراحم والتعاون بين الأفراد والشعوب.

والركن الثالث هو: البركة، وهو ثمرة هذين الركنين: السلام والرحمة. والسلام صفة من صفات الله، واسم من أسمائه الحسنى. والرحمة صفة من صفات الله، فهو الرحمن الرحيم، الذي كتب على نفسه الرحمة والبركة هبة من هبات الله، يهبها أينما يستقر السلام، وتسود الرحمة بين البشر. ونحن الذين فَضّلنا الله على جميع خلقه، وجعلنا خلفاءه في الأرض، وقد أمرنا بأن نتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ، لذا أصبح لزاماً علينا أن نرفع لواء الإسلام، وأن نؤدي كل الالتزامات التي تفرضها الرحمة، وتنبثق من معنى الرحمة. ومتى أنجزنا هاتين الفريضتين بكل ما تشتملان عليه، غمرتنا بركات الله. هذه تحية الإسلام، نتلوها عشرات المرات في صلواتنا وفي لقائنا مع بعضنا البعض ، فهلا تأملنا مدلول هذه التحية؟ وهل استوعبنا معانيها .. حتى تستقر في وجداننا .. ويهتدي بها سلوكنا اليومي اهتداء طائعاً مختاراً؟

ألا فلنشترك معا في تدبر هذه المعاني. ولنبدأ بالركن الأول: ركن السلام، فهو يشف عن معنيين. معنى فردي داخلي، ومعنى جماعي خارجي.

أما المعنى الفردي، فهو تلك السكينة التي تغمر قلب المؤمن عندما يشعر أنه قد قام بكل ما فرضه عليه ربه نحو نفسه، ونحو المجتمع، عندما يشعر أنه قد أسهم في إنتاج خير، يعود على ذاته، وعلى من يعولهم، وعلى المجتمع معا، عندما يشعر أنه قد أخذ بيد الضعيف، وأسى المكلوم، وداوى الجريح، ونصر المظلوم. عندما يشعر في أداء واجبه إنه يؤديه ابتغاء وجه الله، قبل ابتغاء الجزاء المادي. والسلام بهذا المعنى النقي أمنية عزيزة المنال، لا سيما في عصر الانحلال المادي، وتكالب الناس للظفر به، مراتب أعلاها مرتبة النفس المطمئنة، التي تعيش في عصمة سلامها الداخلي، وفي قوة لا غالب لها مهما عصفت حولها الأحداث، وتكاثرت عليها الشدائد، حتى تعود إلى ربها في نهاية المطاف راضية مرضية.

وإذا كان السلام النفسي مطلبا عزيز المنال، فإن السلام الخارجي أمنية أعز منالا .. السلام النفسي يتطلب التدريب الذاتي، والعبادات الإسلامية – إذا استكملت أهدافها – تقوم بأكبر دور في هذا التدريب. أما السلام الخارجي فيصطدم في كل خطوة بنزعات الشر التي تهدد كيانه، وحوافز البغي التي تحطم بنيانه. فكل مجتمع – مهما تفاوت أفراده في مراتب السلام النفسي – يود أن يعيش في إطار منيع من السلام الخارجي، حيث لا تفكر أمة في الاعتداء على أمة، ولا يخف بلد إلى غزو بلد آخر. وشعور كل مجتمع بأنه في مأمن من العدوان الخارجي عليه، وأنه قد أعد العدة لصد هذا العدوان، أساساً لتحقيق ما ينشده المجتمع من فلاح وعمران، ولكن كل مجتمع يتألف من أفراد، من نفوس بشرية خصها خالقها بحرية الاختيار بين النجدين، بين الخير والشر، وكل مجتمع يضم بين جنبيه رعاة، حكاما ومحكومين، وقادة ومقودين. ومن بين أولئك وهؤلاء، نفوس نزاعة إلى الشر والبغي، وما فتىء تاريخ الإنسانية حافلا بمعارك عدوانية بين الأمم، وبالدفع والصراع بين المعتدي والمعتدى عليه. ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ [البقرة/ ٢٥١].

ومن هنا كان العمل على صون السلام بهذا المعنى مطلبا محفوفا بالمكاره، يقتضي السهر الدائم، والمجاهدة المستمرة من أجله، فهو يفرض الإعداد الكامل لدفع كل ما ينقضه، والتأهب الناجز لرد كل عادية عليه. لذلك ندبنا خالقنا – وهو العليم البصير بنزعات النفس البشرية – إلى مداومة التأهب والاستعداد لصد كل عدوان على السلام من المفسدين في الأرض. فقال جلت حكمته: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [الأنفال/ ٦٠].

وحدد لنا هدف الاستعداد بأن يكون الإرهاب الرادع، لا الاعتداء الباغي. كما حدد صفة عدونا بأن يكون عدو الله. أي عدو الحق والعدل والخير، وخير الإنسانية جمعاء. ثم أطلق التعبير «بالقوة» لتنصرف إلى القوة المعنوية والمادية معا. تنصرف إلى القوة المعنوية بما يتفرع عنها، وما تغرس في نفوسنا من فضائل خلقية، وصلابة قومية. إذ بغير هذه القوة المعنوية لا يكون لأي سلاح أو عتاد تأثير ناجع في صد العدوان. وتنصرف إلى القوة المادية، بما تشتمل عليه من أعداد الكفاية من الجند والسلاح والعتاد، وما أشارت إليه الآية الكريمة في (رباط الخيل)، وبما تشتمل عليه من تعبئة الموارد الاقتصادية على نحو يكفل أكبر قسط من الاكتفاء الذاتي في المؤن والأقوات، ويكفل التصنيع للقادر موالاة الإمداد بالسلاح والعتاد.

هذه القوة في مادياتها ومعنوياتها، هي الشرط اللازم لحفظ السلام الذي نتنادى به في تحيتنا الإسلامية، لكي نتذاكر مقتضيات السلام، فلا نغفل لحظة عنها، ولا نتراخى في استكمالها. أما الركن الثاني في تحيتنا اليومية فهو: ركن الرحمة، رحمة الله كما أرادها أن تكون بين عباده، وما أوسع آفاق هذه الرحمة، وما يترتب على كل معنى من معانيها. فالرحمة متى انتشر لواؤها في مجتمع، انبثقت عن تراحم وتعاون يرفرفان على سائر طبقاته، فلا تجد فئة مترفة إلى جانب كثرة متربة. والرحمة متى ازدهرت في وجدان المجتمع، سار أفراده في ابتغاء الرزق، وفي سعيهم الاقتصادي بالرفق والعدل، وبالتعاون والتكافل، لا بالكيد والجشع والأثرة والتناحر، والرحمة متى سادت في مجتمع انتفى منه البغي والاستغلال وصار كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

وربنا الرحمن كتب على نفسه الرحمة بعباده، وآيات رحمته لا يحصيها العد، حتى كتبه التي أنزلها على رسله لهداية البشر كانت من آيات رحمته بعباده ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء/ ١٠٧]. ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم. هدى ورحمة للمحسنين﴾ [لقمان/ ٢و٣]. ﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [الأعراف/ ٢٠٣]. ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل/ ٨٩].

ونحن حين نتبادل تحيتنا الإسلامية، إنما نتذكر فريضة الرحمة، ونتذاكر آيات رحمة الله بعباده، فلا غرو أن تكون الرحمة وكل ما بُني عليها من معان واتجاهات، شعار كل مجتمع إسلامي في علاقاته الاجتماعية.

أما الركن الثالث في تحيتنا اليومية فهو: ركن البركة، بركة الله التي يقدمها على كل مجتمع تسوده الرحمة، ويحرص على مقتضيات الإسلام.

فإذا تداعينا ببركات الله في تحيتنا اليومية، فلنتذاكر شرائط استحقاقها.

فبغير عمل دائب يصون السلام، لا تكون بركة ولا نماء، وبغير الرحمة لا يكون تعاون وتكافل بين الناس، فيحل الصراع العالمي بين الشعوب. هذه بعض المعاني التي تتدفق من ثنايا تحيتنا الإسلامية، حبذا لو وعيها كل مسلم، وعمل على هديها. اللهم اهدنا إلى الطريق المستقيم■



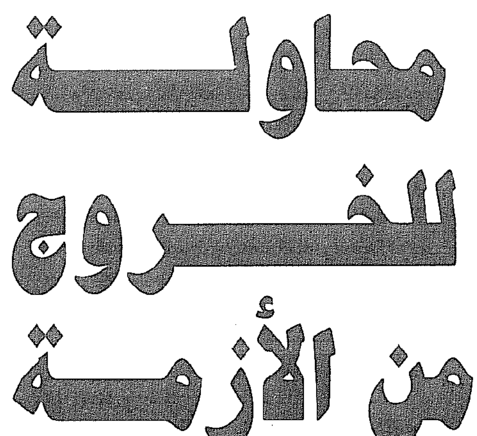
بقلم أ. د: حاتم محمد أبوالعباس

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

عدة محاور لدراسة أزمة الأمة الإسلامية اليوم وهي تعيش محنة في داخل أقطارها وخارج أراضيها، انتقصت من تقدير مكانتها الغابرة والإيمان بجدوى دورها في البناء الحضاري وتوجيه فاعلية هذا البناء نحو إقرار معالم الحضارة الإنسانية الأخلاقية، وعندما تناقش المحاور التي ترتبت عليها هذه الأزمة نجد منها الاعتزاز بالذات وعدم الإيمان بمقدرات الجماعة وافتقاد الأفراد إلى روح الجماعة، واتخاذ الشكل التعبدي جوهرا لكل الأشياء..

فالدين ينصب في الإطار التعبدي ولايخرج إلى تنظيم الشؤون الحياتية والتحدث فيها بلسانه وشرعته واعتباز أن الدين إنما ينحصر في جنبات المساجد وأركانه فكانت هذه النظرية كفيلة بأن تطرح الأزمة في جوانب عديدة ومؤثرة على دورة الحياة بالنسبة للأفراد والجماعات في آن واحد كذلك انعدام وجود المتخصصين الفطناء في مجالات العلوم الدينية وهم علماء الدين، والذين يعتبرون عدة الأمة في هذا العصر الذي نعيش فيه فهم يبصرون الأمة بواجبها تجاه المحاولة المعدة للخروج من الأزمة الراهنة..

وكذلك فساد مناهج التعليم في المؤسسات التعليمية والتي تمتلك دورا خطيرا في تربية الأجيال وتثقيف عقلياتها وكذلك مشكلة توظيف تعاليم الإسلام



بشكل يتواكب مع مشاكل الفرد على المستوى الإسلامي وغير الإسلامي لأننا عندما نطرح الدين فإننا نضع بين يدي العالم كله منهجا صالحا لكل زمان ومكان يتعامل مع أعماق النفس محللا أدواءها وهذا التعامل يصل بالمتأمل لآلياته ومناهجه إلى الإيمان بأنه الدين الكوني الرباني الفطري الذي لديه من الأهلية على طرح البدائل الكثيرة للحلول المطروحة من جانب المعرضين عن إطار التطور الإسلامي والذين يمثلون خروجا على الدين وهم دعاة تغريب للأمة والخوض بها في غمار فصل الدين عن الدولة بل الروح عن الجسد..

فجدير بنا أن نعدد دورنا في الحياة وأهمية هذا الدور في إيجاد المحاولة للخروج من الأزمة ■